الله هو البشارة

تأمُّلات في محبة الله كنعمة من ذاته

إلى
أبراهام ومولي بيبر
اللذان يعملان معاً على جعل الزواج
والموسيقى من أجل المحبة أفضل النعم.

من لدنك تبدأ حياتنا

وإليك منتهاها

لتبدأ عندها الحياة

فأنت الحياة للحياة

وأنت القلب للقلوب

وأنت النعمة التي وهبتها

كلمة شكر

أولاً أود أن أقول ليسوع المسيح: "أَحْمَدُكَ لأَنَّكَ اسْتَجَبْتَ لِي وَصِرْتَ لِي خَلاَصًا". لكن "أُبْصِرَ قُوَّتَكَ وَمَجْدَكَ. كَمَا قَدْ رَأَيْتُكَ فِي قُدْسِكَ، لأَنَّ رَحْمَتَكَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَيَاةِ. شَفَتَايَ تُسَبِّحَانِكَ.. (المزامير، 118: 21؛ 63: 2 3).

ثانياً؛ أقول لنويل Noël وتاليثا Talitha، شكراً لأنكما أحببتماني عندما تواريت عن الأنظار منصرفاً إلى دراستي خلال أيام التأليف الطويلة. شكراً لكما لأنكما كنتما معي الإنجيل النابض بالحياة.

ثالثاً؛ إلى فريق المصلين الداعم من أجلي، شكراً لتضرعاتكم اليومية ولتلك المعارك التي خضتموها من أجلي ضد الشيطان والإثم والضعف والخيانة والغدر. وقد استجاب الله بإسباغ رحمته.

رابعاً؛ وإلى طاقم كبار المعمدانيين في كنيسة بيت لحم، شكراً لكم على الإذن في التأليف، وللتضحية التي بذلتموها من أجل مفهوم نشر الإحساس والمشاعر تجاه فكرة هيمنة الله وسموّه على كل شيء، خصوصاً في البشارة.

خامساً؛ إلى جستن تيلور Justin Taylor، وكارول ستنباش في Desiring God، شكراً للدراسة اللاهوتية اليقظة، وللتحرير والتنقيح المتبصر، والعمل المشرق (الفهرس) بالإضافة إلى الشراكة المثمرة وذلك في إثارة حقيقةٍ أن الله هو الأكثر تمجيداً وتعظيماً وبهاء في دواخلنا عندما نكون أكثر اطمئنانا له.

وأخيراً إلى جوناثان إدوارد Jonathan Edwards، وجون أوين John Owen اللذين كان تمجيدهما للمسيح بمثابة شعاع نورٍ أثيري في روحي وحياتي. شكراً.

هل أن الحب الإلهي هو بمثابة تأييد وموافقة على الإعجاب بالنفس؟

إن ما يحزننا هو أن الرؤية المركزية للإنسان المتطرف حول المحبة تتسلل إلى ثقافتنا وكنيستنا. نحن نعلّم أطفالنا مع أولى خطواتهم غير الثابتة أن الشعور عندما تكون موضع محبة يعني أنك محل أهمية، وقد قمنا ببناء فلسفة تربوية تعليمية شاملة حول هذه الرؤية في منهجيات المحبة وكفاءات الأبوة والأمومة واستراتيجيات البواعث والدوافع والأنماط العلاجية وفن المهارة في البيع. إن معظم الناس العصريين بإمكانهم وبصعوبة تخيل فهم الشعور بمحبة الآخرين عوضاً

عن الشعور بالأهمية. إذا لم تجعلني محل أهمية، فأنت إذاً لا تحبني.

ولكن عندما تكرس تعريف المحبة هذا في علاقة مع لله، فهذا يقلل من قيمته، ويضعف جوهره وجودته، ويسلب منا قناعاتنا ورضانا. فإذا لم يكن منتهى السعادة هو الله، ولم يكن منتهى المتعة الروحية في حضور الله، ولم تكن تلك المتعة هي أفضل نعم المحبة، حينها لن يكون الله هو كنزنا الأعظم، وعطاءاته ليست رحمة أسمى، والبشارة ليست الأخبار السارة التي من الممكن أن تجعل المخطئين يستحقون نعم وعطايا خالقهم. ولا يكون المسيح قد عاني مسبقاً بسبب الخطيئة، وعلى أرواحنا أن تتجاوز حدوده باحثة عما يرضيها.

هذا التشويه للحب الإلهي المتضمن قبول الإعجاب بالنفس هو فكرة غامضة وخفية تتسلل إلى معظم أداءاتنا الدينية. نحن نعلن أننا نعظم الله لمحبته لنا ولكن إذا كانت محبته لنا تنبني على قاعدة الأهمية التي يحيطنا بها، فمن هو فعلاً الذي يمجد ويعظم والحال هذه. لدينا الرغبة في التفاخر بالصليب طالما أن الصليب شاهد على قيمتنا. إذن فمن يكون مفخرتنا ومصدر سعادتنا؟

"فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ، مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلكِنْ مُحْيىً فِي الرُّوحِ".

(بطرس 1، 3: 18)

المقدمة

ما هو أكثر ما يحتاج إليه العالم نعمة بشارة الله الأعظم

إن الشيء المثير للدهشة اليوم كما في سائر الأجيال هو هذا الابتعاد عن الله في حين أن جميع النعم التي تبعث على الرضا هي من عند الله. إن المذهل أنه قلّما يُعلَنْ بأن الله ذاته هو النعمة الأعظم في البشارة. ولكن الإنجيل يعلّمنا أن النعمة النهائية من نعم محبة الله هي الاستمتاع بجمال الله. " وَاحِدَةً سَأَلْتُ مِنَ الرَّبِّ وَإِيَّاهَا أَلْتَمِسُ: أَنْ أَسْكُنَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي، لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى جَمَالِ الرَّبِّ، وَأَتَفَرَّسَ فِي هَيْكَلِهِ" (مزمور، 27: 4). إن أفضل وآخر نعمة من نعم البشارة هي فوزنا بالمسيح "بل إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح (فيليبي، 3: 8) وهذا جميع ما شملته نعمة محبة الله من خلال البشارة لرؤية وتذوق قدسية ومحبة المسيح إلى الأبد والتمتع بذلك.

من أول خطيئة في جنة عدن إلى الحساب والمقاضاة الأخيرة أمام الملك الديّان، سوف يستمر الإنسان في تقبل محبة الله كنعمة على كل شيء سواه. وفي الحقيقة هناك عشرة آلاف نعمة تنبع وتتدفق من نبع محبة الله. لقد أعلنت بشارة المسيح الأمور التي حصلت من خلال موته، عشرة آلاف نعمة مباركة لعروسه. ولكن ما من نعمة من هذه النعم تقود إلى السعادة النهائية إذا لم تقد في البداية إلى الله. ولن تقود واحدة من نعم البشارة إلى السعادة من قبل أي شخص إذا لم يكن المقصود هو السيد نفسه الذي من أجله كانت هبة البشارة الأ.

وفي مثل هذا الموضع، قمنا بتحويل محبة الله وبشارة المسيح لتكون من صميم متعنا المتقبلة إلهياً في الأشياء الأقل أهمية، خصوصاً سرورنا وابتهاجنا في كوننا محل أهمية. إن الاختبار الحاسم لمركزية الله الإنجيلية والإخلاص للرسالة يمكن استشفافها مما يلي: هل تشعر بأنك محل محبة لأن الله يجعلك محل أهمية، أو لأنه، وعلى حساب حبيبه، جعلك قادراً على الاستمتاع لأنه جعله محل أهمية إلى الأبد؟ هل تتعلق سعادتك لفترة قصيرة بمفهوم ورؤية المسيح المصلوب كدليل على قيمتك أو طريقة للتنعم بنعم الله عليك؟ أو كطريقة للتنعم بما يمنّه الله إلى الأبد دائماً؟ هل تجليات الله على المسيح هي أساس سعادتك؟

ذات متعالية أم إشراق رائع؟

إن خطأنا المميت الاعتقاد بأن رغبتنا في أن نكون سعداء يعني الرغبة بأن تكون لنا أهمية كبيرة. وهناك شعور بأن ذلك أكيد. ولكن وفي نهاية الأمر فإن المشاعر الطيبة تتجذر في اعتدادنا بأنفسنا، ولكن ليس بالاعتداد بالله. إن هذا الطريق إلى السعادة هو مجرد وهم. هناك مفاتيح لحل المشكلة، فهناك مفاتيح لقلب كل إنسان وحتى قبل التحول والاهتداء إلى المسيح. أحد هذه المفاتيح أن لا أحد يتوجه إلى جراند كانيون(grand canion) أو إلى جبال الألب لرفع قدر نفسه. ليس هذا ما يحدث في تلك الأعماق الهائلة والذروات المهيبة. ولكننا نذهب إلى هناك، ونذهب تمتعاً بروعة هذه الأماكن. وكيف ذاك إذا كنا نفعل ذلك من أجل صحتنا وسعادتنا؟ الجواب أن ذاك ليس هو المحور الأساس. ففي تلك اللحظات المضيئة الرائعة هناك شاهد في قلوبنا: وإن سلامة الروح والسعادة الكبيرة لا يأتيان من خلال اعتداد نفسي العظيمة ولكن ذلك يأتي من خلال تألق رائع.

النعمة الأسمى، الأفضل، والنهائية في البشارة

تكشف بشارة يسوع المسيح مصدر هذا التألق والإشراق. ويدعوه بولس: "إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ" (كورنثوس 2، 4: 4) وبعد مقطعين يقول: "إِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ".

عندما أقول إن الله هو البشارة إنما أعني النعمة الأسمى، الأفضل، الأجود، والأكيدة التي لا تقبل الجدل، والتي هي نعمة لا تساويها أية نعمة ولا عطية. إنها مجد الله متجلياً في بشارة المسيح التي تكشف عن سعادتنا الأبدية. إن محبة الله المدّخرة تعني وصايته التي تقضي بتقديم كل ما هو ضروري كي يأسرنا بما يرضينا ويسدّ حاجاتنا بشكل أكثر عمقاً واستمرارية. وطالما نحن آثمون وليس لدينا الحق ولا الرغبة في أن نكون لله، فإن الله تعالى شرّع طريق الخلاص كي يمنحنا ذاك الحق وتلك الرغبة. لقد كان الدليل الأبلغ على محبة الله تعالى هو إرساله لابنه كي يموت من أجل مغفرة أخطائنا، وليقوم ثانية حتى يكون للخاطئين الحق للتقرب من الله والتمكن من امتلاك السعادة في حضوره إلى الأبد.

وكي تكون البشارة هي الأنباء السارة بالنسبة للمسيحيين، فيجب أن تمنح هذه البشارة كل النعم المرضية التي تسدّ الحاجات إلى الأبد، والتي بإمكان الآثمين غير المستحقين الحصول عليها والتنعم بها. وفي سبيل أن يكون ذلك حقيقة، يجب أن تتعلق ثلاثة أمور بهذه النعمة: أولاً يجب أن يكون قد تمّ اكتسابها بدم طهارة واستقامة المسيح حبيب الله. يجب أن تستر آثامنا، وترفع غضب الله عنا، وينتقل صلاح وخلق المسيح إلينا. ثانياً يجب أن تكون تلك العطية دون مقابل وليست اكتساباً مقابل

شيء ما. لن تكون هناك أنباء سارّة إذا ما عملنا بجهدنا الشخصي على اكتساب نعمة البشارة. ثالثاً: يجب أن تكون تلك النعمة هي الله نفسه، وهي تفوق جميع العطايا التي يمنحها لنا.

سيكون هناك سوء فهم لهذا الكتاب فيما إذا صُوِّر على أنه بمثابة تقليص لحجم الصراع الذي يثار في سبيل فهمٍ إنجيليٍّ لطرق ووسائل الله التي أتاحها لطلب الخلاص والحصول عليه[1]. والواقع أن هذا الكتاب إنما يركز على القيمة اللامحدودة لهدف البشارة الذي يجب العمل على إعلاء شأنها عوضاً عن التقليل منها.

إن البشارة هي الأنباء السارّة لسعادتنا المفعمة والنهائية في تجليات الله على المسيح. وهذا يعني أن هذه السعادة يجب أن تُكْتسب للخاطئين على حساب حياة المسيح الذي جعل مجده يسطع بالتألق الدائم. ولأنّ هذه السعادة هي بمقابل، وهي نعمة غير مكتسبة يجعلها تشع بتألق متزايد على الدوام. لكن الثمن الذي دفعه يسوع مقابل هذه النعمة والتي هي دون مقابل ليست هي النعمة نفسها. ولكن النعمة هي المسيح نفسه كتجلٍ من تجليات صورة مجد الله الذي يمكن مشاهدته وتذوقه بفرح لا ينتهي.

هل ستكون سعيداً في الجنة إذا لم يكن المسيح هناك؟

إن السؤال الأساسي الموجه لجيلنا ولأي جيل هو التالي: إذا كان باستطاعتك أن تنال الجنة، وأن تكون في تلك الجنة مع جميع أصدقائك الذين كانوا معك في الأرض وتمنح لك كل أنواع الأطعمة التي أحببتها دائماً، و تستمتع بكل الملذات التي كنت تستمتع بها دون عناء، وحولك من الجمال الطبيعي ما لم تره عيناك من قبل، وجميع المتع المادية التي لم تتذوقتها أبداً ولم تستمتع بها، وليس هناك من صراعات أو كوارث طبيعية. هل ستكون في حالة رضا بالجنة إذا لم يكن المسيح هناك؟

والسؤال الموجه إلى المرشدين المسيحيين هو: هل نحن نعظ ونعلم ونقود بأساليب مثل تلك

(1) سوف أقوم بمعالجة هذا السؤال حول الابتهاج الحق بنعم الله في الفصل العاشر. بولس يقول في تسالونيكي 2: 19 "لأن من هو رجاؤنا وفرحنا وإكليل افتخارنا، أم لستم أنتم أيضاً أمام نبينا يسوع المسيح في مجيئه، لأنكم أنتم مجدنا". والسؤال ما زال على هذا الوجه: ما هو المصدر المطلق واللانهائي لأساس وهدف ابتهاجه؟. كما أنه ليس هناك من خلاف بأن ضميرنا النقي هو مصدر سعادة وسرور (رومية 14: 22) والسؤال هو: كيف ترتبط هذه البهجة والسعادة بالله؟ هل أن هذه الأمور هي سبب الابتهاج لأنها تعمل على كشف المزيد فيما يتعلق بذاته، أو أن هذه الأمور تقودنا إليه؟ أو أنه هو الابتهاج بحدّ ذاته لأنه يقودنا إلى تلك الأمور؟

التي تجعل الناس على استعداد لسماع السؤال والجواب فيجيبون والصدى يُرَجّع: كلاّ؟ هل انتقلنا مع العالم من نعمة محبة الله كنعمة منه إلى محبة الله كنعمة نراها في مرآة أنفسنا كما يحلو لنا أن نراها. هل قمنا بتقديم البشارة على أنها نعمة من تجليات الله على المسيح بشكل هامشي أم على الأصح بشكل محوري مركزي وجوهري؟ إذا كان الأمر كذلك، فإني أصلي لأن يكون هذا الكتاب طريقة من الطرق التي ينبهنا الله من خلالها ويجعلنا متيقظين لإدراك القيمة العظيمة وأهمية "نور البشارة وبهاء المسيح الذي هو من تجليات الله". أنا أصلي لأن يكون لدى خدمات الكهنوت نفس الهدف كهدف القس جون أوين John Owen، الكاتب البيوريتاني العظيم من القرن السابع عشر.

وقد كتب ريتشارد دانييل عنه قائلاً:

هناك فكرة واحدة مهمة بالنسبة لجون أوين، وهي التي كثيراً ما كان يوردها بشكل واضح، وهي أنه على الكاتب أن يمضي بعيداً ليطلق على تلك الفكرة اسم المركز والجوهر في علم اللاهوت... وبالتحديد؛ المعتقد والمبدأ الذي ندركه في البشارة، وهو أنه بالروح القدس الممنوح للمسيح، نرى تجليات الله "على وجه المسيح" والتي من خلالها نصبح على مثاله[2].

هل نعمل على إعداد الناس للجنة؟

هل بإمكاننا القول حقاً بأن أتباعنا يتم إعدادهم للجنة حيث المسيح شخصياً. وحتى إذا كان أتباعنا غير مؤهلين لذلك، فهل سيدخلون الجنة؟ أليس الإيمان هو الذي سيأخذنا إلى هناك، إلى الجنة حيث وليمة المسيح المنتظرة؟

لقد ألقى ج. س. رايل J.C. Ryle ذات مرة عظة دينية تحت عنوان "المسيح هو كل شيء". قال فيها:

"ولكن وللأسف. كيف يمكن القول أن هناك القليل ممن يستحقون الجنة؛ في حين يتحدث الكثير على أن "مصيرهم الجنة" بعد موتهم. وفي حين أنهم على نحوٍ بيّن ليس لديهم الإيمان المخلّص، كما أنهم ليست لديهم أية دراية فعلية بالمسيح. و في هذه الحالة فأنت لا تكرم ولا تحترم المسيح، كما

(2) وهناك طريقة أخرى للتعبير عن ذلك، بأن كل كلام جون موري التقليدي في كتابه [الخلاص المنز والمطبق؛ Redemption-Accomplished-and Applied (Grand Rapids, Mich: Eerdmans, 1955)]. هو مهم، وليس فقط ما تضمنه الفصل حول "التمجيد ". إن رؤيتنا هي حول أهمية، طيفه، كمال، اتساع مدى التوبة، ورؤيتنا حول الدافع الفاعل، الانبعاث الروحي، الإيمان، التوبة، المغفرة، التقديس، التحمل والصبر، والاتحاد مع المسيح وهي كلها ذات أهمية.

أنه لا روابط ولا علاقات تجمعك به. فأنت لا تكنّ له الحب. واأسفاه! ماذا بإمكانك أن تفعل في الجنة؟ يجب ألا يكون لك مكان هناك. فإن متعها ليست لك، وسعادتها ستكون سعادة ليس بإمكانك الإحاطة بها. وإن مهامها ومستلزماتها مرهقة وعبء على نفسك. آه.. عليك بالتوبة والتغير قبل فوات الأوان[3].

ليس هناك من شيء يناسب الشخص ليكون أكثر نفعاً على الأرض من أن يكون مستعداً للجنة. وهذا أمر حقيقي لأن الاستعداد للجنة يعني الوصول والحصول على المتعة والسرور. فالاعتقاد بالسيد المسيح، وفهمه وإدراك مجده يعني أن تتغير لتكون على مثاله (كورنثوس 2، 3: 18). ليس هناك من شيء يبارك هذا العالم أكثر من الناس الذين هم أكثر شبهاً بالمسيح. وعندما يكون هناك تشابه مع المسيح؛ حينها بإمكان العالم رؤية المسيح.

إلى ماذا يحتاج العالم بصورة أكبر؟

عندما نحتفي ونقيم طقوساً دينية برسالة المسيح وبمحبة الله، وعندما نرتفع ونسمو بنعمة الخلاص، دعونا نفعل ذلك بطريقة تجعل الناس يرون أن ذلك هو من أجل الله وحده. هل بإمكان هؤلاء الذين يسمعون البشارة من شفاهنا أن يعلموا أن الخلاص هو النعمة المفتداة بالدم التي تمّ افتداؤها بالدم مقابل رؤية وتذوق مجد المسيح. وهل من الممكن أن يصدق هؤلاء ويقولون "إن المسيح هو كل شيء". أو يرددون كلمات المرتل "لِيَبْتَهِجْ وَيَفْرَحْ بِكَ كُلُّ طَالِبِيكَ، وَلْيَقُلْ دَائِمًا مُحِبُّو خَلاَصِكَ: لِيَتَعَظَّمِ الرَّبُّ" (مزمور، 70: 4). وليس في المقام الأول "الخلاص هو العظيم" ولكن "الله هو العظيم في المقام الأول". وهل من الممكن أن نؤكد كنيسة يسوع المسيح ونزيد إصرارا على أن: " الرَّبُّ نَصِيبُ قِسْمَتِي وَكَأْسِي" (مزمور، 16: 5). " كَمَا يَشْتَاقُ الإِيَّلُ إِلَى جَدَاوِلِ الْمِيَاهِ، هكَذَا تَشْتَاقُ نَفْسِي إِلَيْكَ يَا اللهِ. عَطِشَتْ نَفْسِي إِلَى اللهِ، إِلَى الإِلهِ الْحَيِّ" (مزمور، 42: 1). "فَنَثِقُ وَنُسَرُّ بِالأَوْلَى أَنْ نَتَغَرَّبَ عَنِ الْجَسَدِ وَنَسْتَوْطِنَ عِنْدَ الرَّبِّ" (كورنثوس 2، 5: 8). "فَإِنِّي مَحْصُورٌ مِنْ الاثْنَيْنِ: لِيَ اشْتِهَاءٌ أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ، ذَاكَ أَفْضَلُ جِدًّا" (فيليبي، 1: 23).

إن العالم هو أكثر حاجة لتلمس ورؤية أهمية وقيمة المسيح من خلال أعمال وكلمات أتباعه المأخوذين بحب الله. وهذا يكون واقعاً عندما تكون الكنيسة متيقظة إلى الحقيقة أن حب الله المودع هو نعمة بحدّ ذاتها من لدنه. وإن البشارة من تجلياته.

---

(3) ريتشارد دانيل Richard Daniel، الدراسة اللاهوتية لجون أوين The Chrictology of John Owen (Grand Rapids, Mich: Reformation Heritage Book, 2004), 92

لاَ تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ.

لوقا 2: 10 11.

وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِالإِنْجِيلِ الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ، وَقَبِلْتُمُوهُ، وَتَقُومُونَ فِيهِ، وَبِهِ أَيْضًا تَخْلُصُونَ، إِنْ كُنْتُمْ تَذْكُرُونَ أَيُّ كَلاَمٍ بَشَّرْتُكُمْ بِهِ. إِلاَّ إِذَا كُنْتُمْ قَدْ آمَنْتُمْ عَبَثًا! فَإِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضًا: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ،.

كورنثوس (1)، 15: 1 4.

الفصل الأول

نشر البشارة وشرحها

أصلي أن يكون من أحد آثار هذا الكتاب بأن يُصار إلى تبليغ بشارة يسوع المسيح وإعلانها على الملأ ونشر بيانها وتعزيرها وإذاعتها بجميع جوانبها المهيبة، في جميع الأنحاء ليسمعها الجميع. وهذا ما يفعله أي شخص عندما تتناهى إلى سمعه أنباء سارّة. فهو يبلغها ويتحدث عنها. والبشارة تعني الأنباء السارّة. والأنباء السارّة هي للنشر لأن الإعلان على الملأ هو الطريقة التي يتبعها "المنادي" في البلدان ذات الطراز القديم.

أنتم اسمعوا! أنتم اسمعوا! أنتم اسمعوا! يا جميع المتمردين، الثائرين، المعارضين المحتجين على الملك! اسمعوا المرسوم الملكي! إن يوم تصفية الحساب هو قادم! يوم العدل وإنزال القصاص. ولكن اسمعوا الآن ما يلي: كل السكان ضمن منطقة نفوذ الملك! العفو العام بموجب هذا القانون يتم إصداره بسبب رأفة وبركة مخلصكم. لقد تمّ دفع الثمن، وسيتم العفو ومحو جميع الديون والصفح عن حركات التمرد، وغفران الأعمال المشينة، ولن يُستثنى أحد من هذا العرض، ألقوا أسلحة العصيان والثورة، اركعوا بإذعان وخضوع تلقوا العفو العام الملكي كهبة حب ملكي، اقطعوا العهد على أنفسكم بالولاء لمخلصكم. وأظهروا خضوعاً مفعماً بالسعادة والتألق غير مقيد لملككم.

أنباء، أنباء، أنباء

إن كلمة البشارة في العهد الجديد هي evangelion. وهي كلمة مشتقة من مقطع لغوي يضاف قبل الكلمة ويعني جيد أو مبهج، ثم الكلمة الجذر والتي تعني بشارة أو أنباء. وقد تمّ استعمالها في العهد الجديد على نحو واسع لتعني "بشارة النصر، ولكن أيضاً تستعمل بمعنى الرسائل السياسية الخاصة التي تحمل في طياتها الابتهاج والفرح"[1]. في فترة من الزمن حيث لم يكن هناك صحف أو مذياع أو تلفزيون، كان الساعي حامل الأنباء السارّة يوصل الرسائل بنفسه. وكانت تتلى على الملأ كإعلام. كانت تشيع مشاعر احتفالية سارّة. ويكون الساعي جذلاناً وفرحاً بما يتعلق بالأنباء التي عليه إيصالها. لقد كانت أنباءً سارّة.

---

(1) إرلك بيكر Ulrich Backer "الرسالة/البشارة، التبشير والمبشرون" في القاموس العالمي الجديد لعلم لاهوت العهد الجديد، المجلد 3، المحرر كولن براون Colin Brawn.
(Grand Rapids, Mich: Zondervan, 1986), 2:107

إنه من السهل في يومنا هذا أن نفقد الشعور بالدهشة والإعجاب والذهول تبعاً لطبيعة الأنباء التي جاءت في البشارة. إذا كان علينا الإحساس بالأنباء السارة التي كانت حقاً في العهد الجديد؛ يجب علينا ألا ننسى الطريقة التي تمّ الإعلان عنها كما جاء في لوقا 2: 10 11 " لاَ تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ ".

عندما وصلت هذه الأنباء إلى الأرض، كان تأثير ذلك غير عادي واستثنائي لأن الأنباء فريدة وغير عادية. لم يكن من شيء من هذا القبيل قد حصل سابقاً. لم يكن شيء من مثل ذلك قد حصل أبداً. شيء جديد بكل ما في الكلمة من معنى قد دخل التاريخ ويمكن القول بأن التاريخ الحديث برمّته قد بدأ مع مجيء المسيح يسوع.

لِمَاذا شعر المساجين بالابتهاج؟

تصور شكلاً آخر لوصول البشارة. هذه المرة ليس ساعي القرية القديم. ولكن تصور معتقلا حديثا للسجناء الأمريكيين. تصور مجموعة سجناء حرب أميركيين محتجزين خلف أسلاك شائكة في مخيم، طعام قليل وظروف وأحوال رديئة، وذلك مع نهاية الحرب العالمية الثانية[2]. وخارج ذاك السياج، هناك السجانون أحرار يذهبون حيث يريدون. داخل المعتقل، هناك الجنود الأسرى بأجسامهم النحيلة، وعيونهم الغائرة، والذقن الطليقة، وأوساخ وقذارة.

يموت منهم العديد يومياً

ثم وبطريقة أو أخرى يتم تهريب مذياع بموجة قصيرة إلى داخل الثكنات. فيتم التواصل مع العالم الخارجي ومع تطور العمليات الحربية. وذات يوم لمح السجانون من خارج الأسلاك بأن هناك شيئا غريبا جداً. الجنود الأميركيون الضعفاء القذرون بلحيهم الطليقة يبتسمون ويضحكون، والقليل منهم ممن يملك القوة يقذف الأطباق المعدنية في الهواء.

وإن ما أدى الى استغراب كل شخص خارج الأسلاك هو أنه لا شيء قد تغير. وما زال هؤلاء الجنود الأميركيون ضمن دائرة الاعتقال. وما زال لديهم القليل من الطعام والماء. وما زال العديد منهم مرضى ومنهم من يموتون. إلا أن ما لم يعلمه السجانون هو أن لدى الجنود أنباء. لقد تمّ اقتحام خطوط العدو. لقد تمّ خوض معركة التحرر المصيرية الفاصلة. وأن قوافل التحرير أصبحت على

(2) لقد سمعت بهذا القياس للمرة الأولى من راي باك Ray Bakke بمناسبة إحدى الحملات التبشيرية في مراكز.

بعد أميال من المعتقل. الحرية أصبحت وشيكة.

هذا هو التغير الذي تحدثه الأنباء. وكان قد بلغ المسيحيين الأنباء بأن المسيح قد جاء إلى هذا العالم وأنه يخوض المعركة المصيرية الفاصلة لهزم الشيطان والموت والخطيئة والجحيم. وسرعان ما ستنجلي تلك المعركة. ولن يكون هناك شك على المدى الطويل من سيربح هذه المعركة. المسيح هو من سيفوز، وسوف يحرر كل أولئك الذين كان محطّ آمالهم.

إن الأنباء السارة لا تعني أنه ليس هناك ألم أو موت أو إثم أو جحيم؛ كل ذلك موجود. إن الأنباء السارة تعني أن الملك نفسه قد جاء، وأن هؤلاء الأعداء قد تمت هزيمتهم، وإذا ما وثقنا بما فعله وبما وعد به، سوف ننجو من الحكم بالإعدام، وسوف نرى مجد مخلصنا وسنعيش معه إلى الأبد. هذه الأنباء سوف تملأنا بالبهجة والسرور (رومية، 15: 13)، وستحررنا من الإشفاق على الذات، وتمدنا بالقدرة على محبة أولئك الذين يعانون ويقاسون. ومن خلال هذه المحبة الدائمة سوف يجعلنا قادرين على التحمل والصبر إلى أن تعلو صيحاته الأخيرة المدوية بالحرية لينضم مخيم السجناء إلى "العالم الجديد".

ولكن ما هو معنى الأنباء؟

إلا أن البشارة ليست فقط أنباء، هي الأنباء الأولية ثم هي مبادئ وعقيدة، والمبادئ والعقيدة تعني تعليما، وتفسيرا، وتوضيحا. العقيدة هي جزء من البشارة لأن الأنباء لا يمكن أن يتم إعلانها بواسطة الأفواه أو المنادي يجب أن يتم فهمها واستيعابها بالفعل. إذا ما قال ساعي القرية "عفو عام يعمم بموجب هذا المرسوم الصادر بمبادرة عطف ورحمة من قبل حاكمكم الأعلى". البعض سوف يتساءل "ماذا يعني "عفو عام"" وهكذا هناك العديد من الأسئلة التي سوف تدور عندما يتم إعلان الأنباء. "ما هو الثمن مقابل ذلك؟". "كيف حططنا من قدر ملكنا؟". عندما تعلن البشارة على الملأ، يجب أن يتم تفسيرها. ماذا لو أن ذاك المذياع ذا الموجة القصيرة استعمل مصطلحات فنية، ومن السجناء من لم يكن متأكدا من معناها؟ سوف يكون هناك شيء ولا بد من أن يقوم أحد بتفسيره. وإن الأنباء السارة غير المفهومة ليست أنباء جيدة.

إن مبادئ البشارة هي ذات أهمية، لأن الأنباء السارة زاخرة وغنية ورائعة، لذا يجب أن تفتح مغاليق فعاليتها كما تفتح مغاليق صندوق كنز، وسيتم إخراج جميع كنوزها لإشاعة البهجة في العالم. وإن المبادئ إنما هي توصيف لهذه الكنوز. المبادئ تصف قيمة الكنوز الحقيقية وسر قيمتها. وتصون مبادئ البشارة كي لا يتم رميها على أنها مجرد قطعة زجاج. فالمبادئ تحمي مجوهرات

البشارة من القراصنة الذين لا يحبون الجواهر ولكن يقومون بالتجارة بأحجار أخرى عوضاً عن المتاجرة بها. إن النظام يصقل الأحجار الكريمة القديمة المدفونة في قاع الصندوق، ويضع حقيقة أحجار البشارة الكريمة بانتظام على مطرزة التاريخ الحمراء القانية وبذلك يتم رؤية كل جزء في موضعه الأكثر جمالاً.

والنظام يفعل ذلك على الدوام محاطا بالإعجاب لأنه يجب أن يسمح له بالاقتراب من الأمور الإلهية. تهمس بالإعجاب والشكر عندما تتاجر بمجوهرات الملك. وبأصابع ترتجف لقيمة ما تلمسه؛ والصلوات تُرفع خشية التقليل من قيمة أي حجر أو وضعه في غير موضعه. وباشتغاله يعرف نظام البشارة بأنه إنما يخدم الساعي. إن التفسير ضروري، ولكن ذلك ليس بالأمر الرئيسي الأول. إن بشارة المحبة يجب أن تكون مفهومة ومدركة، لكن القواعد والمنطق ليسا هما النقاط الأساسية. لان المحبة هي النقطة الأساسية. إن البشارة هي أنباء سارة. والنظام يخدم تلك المسألة بخدمة من كانت قدماه ضعيفتان للسير نحو أماكن لا يمكن بلوغها "اقبل، أصغ للأنباء السارّة القادمة من عند الله! أصغ لفعل الله تعالى! افهم! اخضع! آمن!".

تفسير الأنباء السارّة

ما هي إذن الأنباء؟ ما هي البشارة التي يجب أن يتم إعلانها وتفسيرها؟ عند هذا الحدّ ننتقل إلى الفصل التالي. ولكن ليستقر في ذهنك حجر الزاوية في هذا الكتاب. إن سؤالنا لا يقتصر على حدّ ماهية البشارة؟ وإنما سؤالنا هو: ما هو أجود ما في البشارة والذي يجعل كل ما يتعلق بتصورات وجوانب الأنباء تشع سرورا؟ ما هو الهدف من البشارة والذي إذا ما ضيعناه، أفرغت البشارة من كل ما هو جيد وسار؟ ماذا نعني بقولنا الله هو البشارة؟

"وَلكِنَّنِي لَسْتُ أَحْتَسِبُ لِشَيْءٍ، وَلاَ نَفْسِي ثَمِينَةٌ عِنْدِي، حَتَّى أُتَمِّمَ بِفَرَحٍ سَعْيِي وَالْخِدْمَةَ الَّتِي أَخَذْتُهَا مِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ، لأَشْهَدَ بِبِشَارَةِ نِعْمَةِ اللهِ".

أعمال الرسل 20: 24.

الفصل الثاني

البشارة الرؤية الإنجيلية لمعانيها

سنرى في هذا الفصل كيف يفسر الإنجيل البشارة، ولكن الركن الأساسي سيكون في نهاية المطاف هو إظهار العديد من التصورات والجوانب الحقيقية والقيّمة للرسالة التي يمكن تأكيدها. وحتى الآن فإن الشيء الأعظم في البشارة ما زال مفقوداً. و في نهاية المطاف يمكن القول بأن مواضع الاعتزاز والتألق المتعددة في البشارة هي رائعة. وهي بالتحديد روعة مجد المسيح، وعلى هذا فإن الغاية من البشارة لم يتم بلوغها. وسنعود لاحقاً إلى هذه النقطة في نهاية الفصل. والآن دعونا نلقي نظرة على الظاهر والجوانب الإنجيلية لجوهرة البشارة، ونركز نظرنا على ذاك المجد الذي سينكشف.

كيف نفسر البشارة؟

كيف يفسر الإنجيل البشارة؟ إن الإنجيل يستعمل وبشكل ممتع مفردة "البشارة" (E'JuyyÉyísw) [1] سبع وسبعين مرة.. والأغلب الأعم من هذه الاستعمالات هو افتراضي لا تفسيري. ولكن هناك ما يكفي من الاستعمالات التفسيرية لإعطاء صورة واضحة حول ماهية البشارة. لقد قمت بتأليف هذا الفصل حول استعمالات كلمة "البشارة" التي لها تعريفات (أو عبارات تؤدي معنى مشابها للتعريف) في سياق الكلام الحالي. إن التحدي في تعريف كلمة أو عبارة مألوفة وواضحة من مثل "الأنباء السارّة"، أو "إعلان الأنباء السارّة هو التفادي والابتعاد عن طرفي النقيض. البعد الأول يكون بتعريف البشارة المسيحية بشكل واسع بحيث يدعى بشارة كل ما هو جيد في البشارة المسيحية. والطرف الآخر هو تعريف البشارة المسيحية على نحوٍ ضيق إلى درجة أن التعريف لا يكون مطابقا للحقيقة والمنطق في جميع الاستعمالات في العهد الجديد. وآمل أن أجد حدّاً وسطاً بين ذلك.

هناك إله حيّ

تتضمن البشارة الأنباء السارة التي تُحدّث بأن هناك إله حي مبدع السماوات والأرض. عندما

(1) واحدة فقط من هذه الاستعمالات (EúayyÉλzoua) بالعهد القديم اليوناني هو ليس نفسه بالعهد القديم البروتستانتي (مزامير سليمان، 11: 1).

قَدِم كلٌّ بولس وبرنابا إلى مدينة في آسيا الصغرى تدعى "ليسترا Lystra"، مدّه الله بقدرة على شفاء الرجل المقعد، مما جعل الجموع تصاب بالذهول وأخذوا يصرخون "إِنَّ الآلِهَةَ تَشَبَّهُوا بِالنَّاسِ وَنَزَلُوا إِلَيْنَا" (أعمال الرسل 14: 11) وأطلقوا على برنابا اسم زيوس (ملك الآلهة عند اليونان). وأطلقوا على بولس اسم هرمس (رسول الآلهة عند الإغريق). وأراد كاهن زيوس تقديم القرابين لهما.

عند ذلك بدأ بولس يدعو إلى البشارة. وبدأ بالقول: " أَيُّهَا الرِّجَالُ، لِمَاذَا تَفْعَلُونَ هذَا؟ نَحْنُ أَيْضًا بَشَرٌ تَحْتَ آلاَمٍ مِثْلُكُمْ، نُبَشِّرُكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا مِنْ هذِهِ الأَبَاطِيلِ إِلَى الإِلهِ الْحَيِّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا" (أعمال الرسل 14: 15). إن "الأنباء السارّة" تتضمن الحقيقة بأن هناك إله حيّ أبدع كل ذلك.

ببساطة، لن تكون هناك أية أنباء سارّة دون وجود إله حيّ أبدع الكون. وبالتالي لن يكون لأي مظهر من مظاهر المحبة والمودة في البشارة المسيحية أي معنى للخلاص وذلك إذا لم يكن في هذا الكون إله أبدعه. لذا فإن لوقا كاتب كتاب (أعمال الرسل) ذكر بأن بولس بدأ رسائله في الإنجيل بالأنباء السارّة التي تخبر أن هناك شيء هو أعظم وأوسع مما حلم به سكان ليسترا في عقيدتهم: هناك إله حي مبدع كل شيء. هذا هو الحجر الأساس في بناء البشارة المسيحية.

قدوم سلطة الله الواسعة

إن البشارة لا تتضمن فقط حقيقة أن الله هو الخالق الحي، ولكنها أيضاً تتضمن حقيقة أن الله هو ملك الأكوان، والذي يبذل سلطته الواسعة في العالم من أجل خلقه وذلك عبر يسوع المسيح المبلّغ. في الرسالة إلى أهل رومية 10: 15؛ اقتبس بولس الرسول من أشعيا 52: 7 ليكشف بأن الله تعالى أنبأ برسالته حيث يقول " مَا أَجْمَلَ عَلَى الْجِبَالِ قَدَمَيِ الْمُبَشِّرِ، الْمُخْبِرِ بِالسَّلاَمِ، الْمُبَشِّرِ بِالْخَيْرِ، الْمُخْبِرِ بِالْخَلاَصِ، الْقَائِلِ لِصِهْيَوْنَ: قَدْ مَلَكَ إِلهُكِ!".

إن هذه الكلمات الأخيرة تحدد الجزء الأساسي في الأنباء السارّة والتي تنبأ بها أشعيا "قَدْ مَلَكَ إِلهُكِ!" وهذا يعني بأن الله الحاكم المهيمن على كل شيء سوف يتجلى على هذا العالم بشكل أوضح وسوف يقدم لعباده بركات وهبات عند قدوم المسيح المنتظر إلى هذا العالم. كانت تلك هي الطريقة الأولية للحديث عن البشارة: "جاء المسيح إلى الجليل، ليعلن عن بشارة الله، وليقول: " وَبَعْدَمَا أُسْلِمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبِشَارَةِ مَلَكُوتِ اللهِ، وَيَقُولُ: قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ،

فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ" (مرقس، 1: 14 15) [2]. وبعبارة أخرى، لقد بعث الله بمختاره الحبيب لإقامة شرعه وأحكامه على الأرض ليعيد أمورها إلى جادة الصواب من أجل شعبه. لذا عليك أن تصدق هذه الأنباء السارّة وأن تتوب إلى الله. وإذا ما فعلت ذلك، فستكون جزءا من أمته. وفي عالم مليء إلى حدٍّ كبير بالتفسخ والانحلال والآثام لا يمكن أن تكون أية أخبار سارّة إذا لم تكن هناك هيمنة إلهية، وإذا لم تكن هناك ذات إلهية عليّة تسود المخلوقات وتفرض أحكامها على الأكوان، لن يكون هناك في هذا العالم سوى اليأس والقنوط.

يسوع هو المنقذ والمسيح والسيّد

عند انتشار بشارة يسوع المسيح على الأرض وذلك قبل ألفي عام، أصبح من الواضح أن مجيء مملكة الله ومجيء المسيح هما شيء واحد. بإمكانك تلمس كيف لخصت البشارة ذلك في "أعمال الرسل 8: 12 " وَلكِنْ لَمَّا صَدَّقُوا فِيلُبُّسَ وَهُوَ يُبَشِّرُ بِالأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللهِ وَبِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، اعْتَمَدُوا رِجَالاً وَنِسَاءً". والسبب بأن قدوم مملكة الله وقدوم المسيح كانا متزامنين هو طول انتظار "ابن داود" الملك الموعود. إن البشارة هي الأنباء السارة التي تبشر بأن ملك بني إسرائيل الموعود قد جاء. لذا استهل بولس الرسالة إلى أهل رومية بوصف البشارة " بُولُسُ، عَبْدٌ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الْمَدْعُوُّ رَسُولاً، الْمُفْرَزُ لإِنْجِيلِ اللهِ، الَّذِي سَبَقَ فَوَعَدَ بِهِ بِأَنْبِيَائِهِ فِي الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ، عَنِ ابْنِهِ. الَّذِي صَارَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ مِنْ جِهَةِ الْجَسَدِ" (1: 1 3).

وعندما أعلن الملائكة قدوم يسوع في العيد الميلاد الأول عرضوا ذلك جميعا. وكانت تلك هي البشارة. البشارة التي تنبئ عن قدوم الملك الحاكم السيد، المبجل. قدوم المسيح الموعود (هذا ما تعنيه كلمة "المسيح"، ابن داود ومن خلال ذلك المدد السماوي والسلالة الملكية فإن السيد يسوع المسيح سوف يصبح المنقذ. قال لهم الملاك: " لاَ تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ." (لوقا 2: 10 11). إن الأنباء السارّة هي أن الملك المتوج على الأرض هو المسيح المنقذ.

---

(2) انظر أيضاً لوقا 4: 43 "عليّ أن أبشر الناس في قرى أخرى بتأسيس المملكة الربانية. فلأجل ذلك البيان أرسلني الله" ويضيف لوقا 80: 1 "وهكذا سيدنا المسيح ومعه حواريوه الاثنا عشر يطوفون بالمدن والقرى مبشراً بقيام المملكة الربانية". ويقول لوقا في 16: 16 "لقد أعلن الناس شريعة التوراة وصحف الأنبياء حتى مجيء النبي يحيى. والآن آن الأوان لإعلان البيان بظهور مملكة الله، وما أكثر الراغبين في أن يكونوا من داخليها عنوة بغير طاعة الله!". لمقدمة مميزة لتعاليم المسيح حول مملكة الله. انظر جورج إلْدُن لاد George Eldon Ladd حضور المستقبل (Grand Rapids, Mich: Eedman 1996).

المسيح مات من أجل خطايانا كما جاء في الكتاب المقدس

كيف أصبح يسوع المسيح السيد المبعوث المنقذ؟ فقد أخبرنا وبكل وضوح: ".. لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ" (مرقس 10: 45) سوف يموت من أجل الافتداء، لذا لن يكون على الكثيرين الهلاك. وبشكل مماثل، وعند العشاء الأخير قال: " كَذلِكَ الْكَأْسَ أَيْضًا بَعْدَ الْعَشَاءِ قَائِلاً:«هذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفَكُ عَنْكُمْ." (لوقا، 22: 20). وبعبارة أخرى، فإنه وعندما سكب دمه، كان ذلك من أجل الآخرين، فهذا يحقق "الوعد الطويل الأجل" ميثاق جديد يعيد "لأَنِّي أَصْفَحُ عَنْ إِثْمِهِمْ، وَلاَ أَذْكُرُ خَطِيَّتَهُمْ بَعْدُ" (ارميا، 31: 34). وهذا ما جعل يسوع أكثر وضوحاً.

ولكن بولس الرسول كان هو من جعل الرابط واضحاً بين كلمة "البشارة" وبين موت يسوع من أجل خطايانا " أُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِالإِنْجِيلِ الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ، وَقَبِلْتُمُوهُ، وَتَقُومُونَ فِيهِ، وَبِهِ أَيْضًا تَخْلُصُونَ، إِنْ كُنْتُمْ تَذْكُرُونَ أَيُّ كَلاَمٍ بَشَّرْتُكُمْ بِهِ. إِلاَّ إِذَا كُنْتُمْ قَدْ آمَنْتُمْ عَبَثًا! فَإِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضًا: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ" (كورنثوس 1، 15: 1 3). إن قدوم الملك، السيد، المسيح كان يعني مجيء المنقذ، لأنه مات من أجل حمل خطايانا، وليست خطاياه (طالما أنه ليس له خطايا، العبرانيين: 15) لقد كان موته فداء لنا كي لا ندفع نحن ذلك الثمن فداء لأنفسنا[3].

يسوع المسيح يقوم من بين الأموات

سوف لن تكون هناك بشارة لو أن المسيح ظلّ ميتاً. لقد جعل بولس ذلك واضحاً جلياً كنقاء الكريستال. جاء في الرسالة الأولى إلى مؤمني كورنثوس 15: 17 "وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلٌ إِيمَانُكُمْ. أَنْتُمْ بَعْدُ فِي خَطَايَاكُمْ!" ولهذا تضمن تعريف بولس البشارة في كورنثوس 1، 15: 1، 3 4 موت وقيامة المسيح كليهما. " إِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضًا: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ".

لن يكون الملك حاكماً على الناس الذين تمّ افتداؤهم إذا لم يقم من بين الأموات. وإذا لم يكن الملك حاكماً فلن تكون بشارة. وقد أوضح يسوع أنه يجب أن يقوم من بين الأموات. وجعل بولس

---

(3) المزمور 49: 7، 8، 15 "الأخ لن يفدي الإنسان فداء ولا يعطي الله كفارة عنه.. إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية لأنه يأخذني مثلاً.

واضحاً أن ذلك يمثل الجزء الأساسي في البشارة حيث يقول: "اُذْكُرْ يَسُوعَ الْمَسِيحَ الْمُقَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ، مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ بِحَسَبِ إِنْجِيلِي" (تيموثاوس 2، 2: 8)[4]. لذا فإن الإله الحيّ، الخالق، مالك العالم قد تجلى على يسوع المسيح الذي مات من أجل خطايانا، كما جاء في البشارة، ولكن هناك المزيد.

البشارة ليست أنباء سارة من دون وعد بالروح القدس

عندما بشر يوحنا المعمدان برسالة الله وبمضامينها، أكد أن الشخص العظيم الذي سوف يأتي بعده، واسمه يسوع المسيح، لن يطهر بالماء بل بروح القدس والنار حيث قال: "أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ، وَلكِنْ يَأْتِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ." ثم ولبيان أن ذلك كان جزءاً من بشارة الله يقول لوقا: "وَبِأَشْيَاءَ أُخَرَى كَثِيرَةٍ كَانَ يَعِظُ الشَّعْبَ وَيُبَشِّرُهُمْ" (لوقا، 3: 16، 18). وإن كلمة " أُخَرَى كَثِيرَة" تتضمن المعنى بأن ما ذكره هو فقط جزء من الأنباء السارّة وهناك "أُخَرىَ كَثِيرَة" ليذكره كجزء من بشارة الله.

عندما تمت قيامة المسيح عائداً إلى السماء؛ لم يترك أتباعه دون أن يتواجد حاضراً معهم ليمدهم بصحبته ومساعدته لهم بالعزم والقوة, فقد قال لأتباعه:

"رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ" (يوحنا، 14: 17، 18). وبعبارة أخرى فإنه وعندما تحل روح القدس فهي روح المسيح. إذ الصحبة الموعودة للمسيح في البشارة تحدث من خلال حلول روح القدس فينا.

وفي الساعات الأخيرة، وقبل أن يغادر، أكد المسيح ما جاء على لسان يوحنا المعمداني من عبارات جاءت في بشارة الله: " هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ مَوْعِدَ أَبِي. فَأَقِيمُوا فِي مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْ تُلْبَسُوا قُوَّةً مِنَ الأَعَالِي" (لوقا 24: 49).

إن الروح القدس هو عربون، وضمان للسعادة الغامرة التي سنعيشها ونختبرها عند الاتباع الحق لله ولوليّه وحبيبه إلى حين عودته (كورنثوس 2، 1: 22؛ 5: 5). وأخيراً إن ما يجعل من

(4) انظر أعمال الرسل 13: 32– 33 "ونحن نبشركم بالموعد الذي صار لآبائنا أن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم إذ أقام يسوع كما هو مكتوب أيضاً في المزمور الثاني.. إنه أقامه من الأموات" إن التعريف الذي أعطاه بولس للبشارة في رومية 1: 1– 4 يتضمن البعث "المعزز لإنجيل الله، الذي سبق فوعد به أنبيائه في الكتب المقدسة عن نبيه الذي هو من نسل داود بالقيامة من الأموات. يسوع المسيح".

بشارة الله أنباء سارّة هو الاستمتاع بها والتماهي في تجليات الله على المسيح. وإن الروح القدس هو ما يمنح ويوفر تلك السعادة الغامرة من خلال تجربة الحضور الآنية في تلك التجليات. وعلى ذلك فإن الوعد بالروح القدس الذي جاء في بشارة الله هو ما يجعل تلك البشارة أنباءًا سارّة.

الوعد بالخلاص لكل من يؤمن

بعد أن يتحدث الإنجيل عن تلك الأنباء التي هي الأساس وهي أنباء تلك الأمور التي قد أجراها الله تعالى على المسيح فقط والتي ليس لها أي تأثير علينا؛ يتحدث الآن الإنجيل عن التأثيرات، أو ما تؤدي إليه تلك الأمور من كمالات وإنجازات كأنباء سارّة. إن من الكلمات التي تحمل المعنى الأكثر شمولية لوصف الأنباء السارة هو ما تم تكريسه لنا من خلال الخلاص. يقول بولس في أفسس 1: 13: "الَّذِي فِيهِ أَيْضًا أَنْتُمْ، إِذْ سَمِعْتُمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ، إِنْجِيلَ خَلاَصِكُمُ، الَّذِي فِيهِ أَيْضًا إِذْ آمَنْتُمْ خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ". ويقول في رومية 1: 16 "لأَنِّي لَسْتُ أَسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ، لأَنَّهُ قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ: لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ. كيف بإمكاننا أن نتحدث عن الخلاص فقط كثمرة من ثمار بشارة الله أو كجزء منها؟ إن ما سيأتي سيبين أن بشارة الله تتضمن ما يتعلق بالقدرة الإلهية على الخلاص. والتي يرى فيها البعض الآخر أنها ليست جزءاً من البشارة الإلهية.

المشكلة هنا تكمن في أننا بحاجة للتمييز بين تجربة الخلاص لدى أشخاص محددين وبين الوعد بالخلاص من خلال الإيمان بالمسيح. إن التجربة الحالية في خلاص شخص ما من الأذى والخطيئة ليس بالضرورة بسبب البشارة الإلهية بصورة عامة، وإنما هذا الخلاص يجب أن يتأتى من إيمانه بالوعد المبني على أساس أنه بسبب الإيمان بموت المسيح وقيامته سوف يكون محمياً ويتم خلاصه. وعلى ذلك فإن ما يجب علينا قوله أن الوعد بالخلاص هو جزء من البشارة الإلهية ومن متعلقاتها. ولكن تجربة الخلاص لدى أشخاص محددين ليست جزءاً من البشارة الإلهية، ولكنها نتيجة من نتائجها. وهذا ما تم تفصيله في رومية في 1: 16 كالتالي: "لكل من يؤمن" فإن الخلاص أضحى حقيقة واقعة لدى كل واحد بالنسبة اليهم . من هنا يمكن القول: نعم إن البشارة الإلهية هي تلك الأنباء السارّة التي بشرت المؤمنين بالخلاص بعد موت وقيامة المسيح. وبالتالي فإن قدرة الله على الخلاص يمنحها لكل مؤمن."

إن هذه الكلمة ذات المعنى الشمولي "للخلاص" تتضمن كل الوعود التي جاءت في البشارة الإلهية من مثل: الوعد بالشفاء، مساعدة الفقراء والمساكين، تحرير الأسرى، السلام، حياة الخلود،

الانتشار العالمي، وكل ما يليق بجلال الذات الإلهية من تلطف ورحمات.

إن ما سيحققه الصلب يجعل منه أنباء سارّة

عندما قام المسيح بشفاء المريض وبطرد الشياطين وبإحياء الميت وبمساعدة الفقراء والمساكين، فإنما كان يبين أن البشارة بالمملكة الربانية هي أنباء سارّة. "كَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ كُلَّ الْجَلِيلِ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ، وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ، وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ فِي الشَّعْبِ." (متى، 4: 23). وعندما بدأ يباشر مهماته في الناصرة قال يسوع: " رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ ولِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ" (لوقا، 4: 18). قد كانت هذه من بركات الله التي أعطت أمارات المملكة الربانية في ذلك العصر بصورة مرحلية، ثم ليكون ذلك على توالي العصور.

إن ما أظهرته الرؤيا المتقدمة كما كشف عنها العهد الجديد؛ هو أن موت وقيامة المسيح للتكفير عن خطايانا هو أساس كل البركات والنعم التي أعلنت عنها البشارة بالمملكة الربانية. يجب أن يموت الملك من أجل ملكه؛ وإلاّ فإن العدالة في عهده سوف توجب القضاء بالعقاب وليس الخلاص. لذا فإن كل نعم وبركات المملكة التي تظهر في البشارة يجب أن تكتسب بواسطة دم المسيح. من أجل ذلك فإنه يجب أن يكون الصليب أبداً المركز والأساس في البشارة، والسبب في أن البشارة بالبركات والنعم يجب أن يطلق عليها بشارة بالارتباط مع الصليب.

الأنباء السارّة بالسلام مع الله ومع بعضنا بعض

إلى جانب منح الشفاء ومساعدة المساكين وتحرير الأسرى التي أعلن عنها المسيح يسوع كأنباء سارة. تحدث بولس وبطرس عن السلام مع الله وعن حياة الخلود وعن الامتداد العالمي لما تحمله البشارة. وعلى سبيل المثال، فقد وصف بطرس البشارة التي أرسلها الله تعالى بواسطة يسوع المسيح أنها" الْكَلِمَةُ الَّتِي أَرْسَلَهَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ يُبَشِّرُ بِالسَّلاَمِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ. هذَا هُوَ رَبُّ الْكُلِّ" (أعمال الرسل، 10: 36). وتحدث بولس عن "إنجيل السلام" (أفسس، 6: 15). وإن هذا السلام الذي وعدت به وأوجدته رسالة الله هو أولاً بين العبد وربه (رومية، 5: 10؛ كورنثوس، 5: 18) ثم ثانياً بين الناس مع بعضهم بعض. وعندما تتقاسم المجموعات العرقية/الإثنية تصالحاً عاماً من القمة إلى القاعدة، سوف يؤدي ذلك إلى تصالح على مستوى أفقي، ليكون هناك تصالح على جميع المستويات (أفسس، 14 18).

وعدت الأنباء السارّة بحياة أبدية

إن من نتائج هذا السلام مع الله والقرب منه هو أن ينال الإنسان الحياة الأبدية. وهذا أيضاً ما يجعل من رسالة المسيح أنباء سارّة. يقول بولس في (تيموثاوس 2، 1: 10) "وَإِنَّمَا أُظْهِرَتِ الآنَ بِظُهُورِ مُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي أَبْطَلَ الْمَوْتَ وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ بِوَاسِطَةِ الإِنْجِيلِ." لقد جعلت البشارة ما ادّخره الله تعالى لنا واضحاً من خلال موت وقيامة المسيح، وبالفعل إن ما ادخره لنا هو "الحياة والخلق القويم", يقول ويليام ماونس بأنه عندما يقترن "الخلق القويم" بالحياة تكون الحياة حينها مرادفة للحياة الأبدية". وأعتقد بأن ذلك صحيح. إن السبب في أن البشارة الإلهية سلطت الضوء على حياة الخلود هو توضيح سبب إمكانية حياة الخلود (موت وقيامة المسيح) وما ستكون عليه تلك الحياة (الحياة مع المسيح الذي بعث حياً).

بواسطتك ستبارك كل الشعوب

وإن كل الأنباء السارّة التي قام المسيح بإنجازها عند موته وقيامته يشمل جميع الناس على هذه الأرض. وهذا ليس مجرد تأويل للأبعاد التي تصل إليها معاني الأنباء السارّة. فهذا بعد من أبعاد كثيرة وجانب من الجوانب التي تجعل الأنباء السارة هي كذلك حقاً. إن البشارة بالمملكة الربانية لن تكون بمثابة نبإ سارّ إذا لم يكن الملك حاكماً على جميع الشعوب. لقد قام بولس وبشكل مباشر بتعريف وتحديد مباركة الأمم كجزء من البشارة. يقول في (غلاطية، 3: 8): " وَالْكِتَابُ إِذْ سَبَقَ فَرَأَى أَنَّ اللهَ بِالإِيمَانِ يُبَرِّرُ الأُمَمَ، سَبَقَ فَبَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ 'فِيكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ الأُمَمِ'" زفّ البشارة يعني إعلان الأنباء السارّة بأن جميع الشعوب سوف تكون مباركة من خلال إبراهيم وهذا يعني، من خلال موت وقيامة من هو من نسل إبراهيم، يسوع المسيح (غلاطية، 3: 16).

إن ما تتضمنه البشارة من رسالة هو الحقيقة "أَنَّ الأُمَمَ شُرَكَاءُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْجَسَدِ وَنَوَالِ مَوْعِدِهِ فِي الْمَسِيحِ بِالإِنْجِيلِ" (أفسس، 3: 6)، وهذا يعني بأن الوعد بخلاص غير اليهود في العالم مبني على أن موت وقيامة المسيح، هو الوسيلة لذاك الخلاص. إن الخلاص الفعلي للشعوب سيكون عبر الوعد الفداء بالدم في سبيل خلاص غير اليهود كما جاء في البشارة. وإذا كانت البشارة ذات أفق ضيق ومجال محدود فلن تكون والحال هذه رسالة.

"البشارة برحمة الله تعالى"

تتضمن البشارة أسس أنبائها. وأساس تلك الأنباء هي رحمة الله. من أجل ذلك أطلق بولس على هذه البشارة الإلهية لقب "البشارة برحمة الله". إن إحدى شهاداته المنتشرة هي موجودة في هذه الكلمات نفسها في أعمال الرسل 20: 24 "وَلكِنَّنِي لَسْتُ أَحْتَسِبُ لِشَيْءٍ، وَلاَ نَفْسِي ثَمِينَةٌ عِنْدِي،

حَتَّى أُتَمِّمَ بِفَرَحٍ سَعْيِي وَالْخِدْمَةَ الَّتِي أَخَذْتُهَا مِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ، لأَشْهَدَ بِبِشَارَةِ نِعْمَةِ الله". إن البشارة هي الأنباء السارّة للرحمة التي وعد بها الله الخاطئين، وكيفية إمكان الحصول عليها والوصول إليها من خلال المسيح.

الرحمة هي نوال النعم والبركات دون مقابل من الله تعالى والتي تسري من ذاته وتفيض على المذنب الآثم وعلى المخطئين غير المستحقين لها. وعلى ذلك فإن خلاصنا مختلف عن مبادرات الإنسان واستحقاقاته. وهذا ما عناه بولس بعبارته الرئيسية "فَإِنْ كَانَ بِالنِّعْمَةِ فَلَيْسَ بَعْدُ بِالأَعْمَالِ، وَإِلاَّ فَلَيْسَتِ النِّعْمَةُ بَعْدُ نِعْمَةً. وَإِنْ كَانَ بِالأَعْمَالِ فَلَيْسَ بَعْدُ نِعْمَةً، وَإِلاَّ فَالْعَمَلُ لاَ يَكُونُ بَعْدُ عَمَلاً." (رومية، 11: 6) وقد كان يشير من خلال تلك العبارة إلى كوننا مختارين من قبل الله: "فَكَذلِكَ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ أَيْضًا قَدْ حَصَلَتْ بَقِيَّةٌ حَسَبَ اخْتِيَارِ النِّعْمَةِ." (رومية، 11: 5). لقد سبق اختيار الله لنا عملنا الصالح أو الطالح لنكون من المسيح وفيه. إن الرحمة دون مقابل هي مؤكدة؛ لأن أصلها أزلي حيث تمّ اختيارنا "كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ" (أفسس، 1: 4). إن رحمة الله تعالى هي أساس وجوهر بركات ونعم البشارة.

موت المسيح يجعل رسالة الله رحمةً مستحقة

إن صنيع الله المؤكد في شأن رحمته هو الحدث المركزي في البشارة وفي مجيء المسيح وآلامه: "فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ" (كورنثوس 2، 8: 9). لقد تألم يسوع ومات. "وَلكِنَّ الَّذِي وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ، يَسُوعَ، نَرَاهُ مُكَلَّلاً بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ، مِنْ أَجْلِ أَلَمِ الْمَوْتِ، لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللهِ الْمَوْتَ لأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ." (العبرانيين، 2: 9). إن موت المسيح بدلاً عنا كان من رحمة الله التي تجعل كل ما يتصل بالرحمة من أداءات وأفعال هي عند الله رحمة حقّة. إنه ليس من الممكن أن تكون تبرئة المذنب شيئا محقا يقوم به القاضي الحاكم ("مبرئ المذنب ومذنب البريء كلاهما مكرهة الرب" (الأمثال، 17: 15). وعلى ذلك وطالما أن الله تعالى هو الكريم فقد أرسل المسيح ليتحمل العقاب بسبب الخطيئة وهو بذلك يبين فضل الله تعالى على البشر (رومية، 3: 25). "لإِظْهَارِ بِرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، لِيَكُونَ بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ بِيَسُوعَ" (رومية، 3: 26). لذا فإن الله تعالى هو حق في كونه متسامحاً رحيماً في البشارة.

إن الرحمة في البشارة هي الجوهر والأساس لكل وعد خيّر

من هذه المأثرة والصنيع الجوهري للرسالة يتدفق نهر هائل لبركات ونعم اللطف والتسامح في

البشارة. إنها دعوة الله تعالى التي أيقظتنا من الموت ومن نومنا العميق بالخطيئة المميتة، وهذا يعود إلى الرحمة. إن الله "خَلَّصَنَا وَدَعَانَا دَعْوَةً مُقَدَّسَةً، لاَ بِمُقْتَضَى أَعْمَالِنَا، بَلْ بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَالنِّعْمَةِ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ" (تيموثاوس 2، 1: 9). نحن نستجيب للإيمان ليس فقط بسبب أن إراداتنا هي بالفطرة تميل للإذعان والخضوع، ولكن لأن رحمة الله ورأفته مكنتانا من الإيمان "لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ الله" (أفسس، 2: 8). "وَتَفَاضَلَتْ نِعْمَةُ رَبِّنَا جِدًّا مَعَ الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (تيموثاوس 1، 1: 14). فإن آمن أحد منا فهذا بسبب الصنيع العظيم لرحمة الله وإن إمكانية وجود هذه الرحمة هي من خلال دم المسيح, وهذه الرحمة المكتسبة مقابل الدم هي أساسية في جعل الأنباء السارّة سارّة بالفعل.

وفي حضور رحمة نعمة الإيمان فإن الله يبرئنا من الإثم "مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ" (رومية، 3: 24؛ تيطس، 3: 7) ويغفر آثامنا التي ارتكبناها "حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ" (أفسس، 1: 7) وينقذنا بشفاعة يسوع المسيح (أعمال الرسل، 15: 11) "تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ. فَبِكُلِّ سُرُورٍ أَفْتَخِرُ بِالْحَرِيِّ فِي ضَعَفَاتِي، لِكَيْ تَحِلَّ عَلَيَّ قُوَّةُ الْمَسِيحِ." (كورنثوس 2، 12: 9) ورحماته يجعلها تستوعب كل أحزاننا وأعبائنا (كورنثوس 2، 12: 9)، ويعطينا "وَرَبُّنَا نَفْسُهُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، وَاللهُ أَبُونَا الَّذِي أَحَبَّنَا وَأَعْطَانَا عَزَاءً أَبَدِيًّا وَرَجَاءً صَالِحًا بِالنِّعْمَةِ" (تسالونيكي 2، 2: 16) وعند ذلك، وفي نهاية الأمر "لِكَيْ يَتَمَجَّدَ اسْمُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِيكُمْ، وَأَنْتُمْ فِيهِ، بِنِعْمَةِ إِلهِنَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ." (تسالونيكي 2، 1: 12).

وبعبارة أخرى، فإن أية نعمة ورحمة تكون للتكفير عن ذنوب الآثمين إنما هي على أساس سعة رحمة الله. ومن رحمته تعالى أنه أرسل وليه وحبيبه ليموت"الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ" (رومية، 8: 32). إن البشارة هي الأنباء السارة وذلك لأن الله لم يستبقِ المسيح ولم يشفق عليه، فهو لم يبخل بأية سلطة من لدنه لمنحنا أي شيء هو في مصلحتنا.

ليس هناك من أمور خيّرة ونعم في البشارة دون تلك النعمة التي ليس بعدها من نعمة أعظم: إنها نعمة الذات الإلهية.

هنا يجب استخلاص الموضوع الأساسي في هذا الكتاب. إن الموضوع الأساسي هو أن أحداث البشارة القيمة، ونعم وبركات البشارة التي قمت بعرضها في هذا الفصل لن تكون كافية لجعل البشارة أنباء سارّة، فإن ما يجعل البشارة في نهاية المطاف وبشكل أعظم أنباء سارة لم يتم ذكرها

بعد. وقد رأينا لمحات في هذا القسم من تلك وهي روح القدس وذلك في قولي:

> عندما تحل روح القدس، ستتجلى روح المسيح، التي ستكون وستمثل بحضورها قوة وحضور المسيح نفسه. وإن صحبة المسيح الموعود بها في البشارة تتحقق بحضور الروح فينا... وفي النهاية فإن ما يجعل البشارة أنباء سارة هو متعتنا بإشراقات تجليات الله على المسيح. وإن روح القدس تشيع في دواخلنا تجربة المتعة الإشراقية التي نعيشها. لذا فإن هذا الوعد بالروح القدس هو ما يجعل من البشارة أنباء سارة.

وهناك ومضة خاطفة لمستها فيما أعطته لنا البشارة "وَرَبُّنَا نَفْسُهُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، وَاللهُ أَبُونَا الَّذِي أَحَبَّنَا وَأَعْطَانَا عَزَاءً أَبَدِيًّا وَرَجَاءً صَالِحًا بِالنِّعْمَةِ" (تسالونيكي 2، 2: 16) من هنا وفي نهاية المطاف سيتمجد: "اسْمُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِيكُمْ، وَأَنْتُمْ فِيهِ، بِنِعْمَةِ إِلهِنَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ." (تسالونيكي 2، 1: 12).

ولكن الجزء الأكثر أهمية مما ذكر في هذا الفصل من الأجزاء الرئيسية في البشارة ليس هو آخر النعم الموعودة في البشارة, وتلك لا تكون نعماً بالنسبة لنا أبداً في حال إذا لم يتم ذكر النعمة الأعظم أهمية بشكل شمولي. تلك النعمة هي الذات العليا، أي الله الذي يقدس في ملكوته. إنّ التركيز على أحد وجوه جوانب الجوهرة دون رؤية جمالها ككل إنما يحطّ من قيمتها. لذا يمكن القول إذا لم يلحظ من يسمع عن البشارة تجليات الله على المسيح، من خلال جميع أحداث وعطايا البشارة؛ فلن يختبر ما يجعل البشارة في نهاية المطاف أنباء سارّة. وإذا ما استطعت الإحاطة بكل ما أتيت على ذكره في هذا الفصل حول جميع وجوه البشارة، ولكن بطريقة لم تجعل من تجليات الله كنزك الأعظم، فإنك لم تستطع الإحاطة بمعنى البشارة.

وإلى حين أن تقود أحداث البشارة، ابتداء من الجمعة العظيمة للفصح ثم وعود البشارة والتبرئة من الذنوب والحياة الأبدية، إلى إدراك والإحاطة بالله كمصدر أعلى لسعادتك وابتهاجك؛ فأنت إذن لم تحتوِ بإدراكاتك رسالة الله. وإنما استطاع إدراكك احتواء بعض من تلك النعم، ويكون اغتباطك حينها ببعض منها فقط. فأنت تشعر بالدهشة والإعجاب أمام بعض معجزاته، لكنك لم تتيقظ بعد للسبب وراء هذه الهبات والنعم والجوائز والمعجزات. فهي إنما تأتي لسبب واحد عظيم وهو: إمكانية احتوائك إلى الأبد تجليات وإشراقات الله على المسيح، لتصبح من خلال ذلك واحداً من الأشخاص الممتلئين سعادة بالقرب من الله فوق أي شيء آخر، ومن خلال تلك السعادة تبدي للعيان بهاءه العظيم وقيمته مع إشراقات متزايدة أبداً ومتعة روحية لا تنتهي, وهذا يقودنا في الفصل التالي للحديث عن النعمة المطلقة التي تقدمها الأنباء السارة.

"الى جَبَل عَال اصْعَدِي، يَا مُبَشِّرَةَ صِهْيَوْنَ. ارْفَعِي صَوْتَكِ بِقُوَّةٍ، يَا مُبَشِّرَةَ أُورُشَلِيمَ. ارْفَعِي لاَ تَخَافِي. قُولِي لِمُدُنِ يَهُوذَا: هُوَذَا إِلهُكِ."

أشعيا، 40: 9.

الفصل الثالث

البشارة "هو ذا إلـهك!"

لقد قمنا بالكشف عن المعاني الإنجيلية الأوسع للرسالة المسيحية. وهي تتضمن حقيقة الله الواحد الذي أرسل ابنه الملك المنتظر لبني إسرائيل وسيد البشر. وهذا الملك هو يسوع المسيح المخلص. لقد حقق نبوءات العهد القديم في سلالة بني داود، ومات من أجل خطيئتنا، ودفن ليقوم من جديد منتصراً على الشيطان وعلى الموت والجحيم، ووعد أن يكون بروحه معنا ليساعدنا. وعلى أساس موته وقيامته، وعدت البشارة بالخلاص العظيم وبالشفاء من المرض والتحرر من الظلم والاضطهاد، والمصالحة مع الله والآخرين من المؤمنين، والتكفير عن الذنوب بشفاعة المسيح، وحياة الخلود، واستيعاب هذا الخلاص جميع الشعوب من كل الأمم.

معاناة وآلام المسيح ليعيدنا إلى الله

ولكن الموضوع المثار هنا أن الخير النهائي والأعظم في البشارة لا يتضمن في هذه المجموعة نِعَم البشارة. إن العبء الملقى على عاتقي في هذا الكتاب هو أن أوضح بقدر الإمكان إمكانية الخطباء والوعّاظ التكلم والوعظ والحديث حول هذه الجوانب الهامة من البشارة ،إلا أنهم لن يستطيعوا أبداً أن يأخذوا الناس إلى هدف البشارة. بإمكان الوعّاظ والخطباء أن يذكروا مجموعات حقيقية من الأمور الرائعة حول البشارة لكن دون أن يقودوا الناس إلى المسار والهدف المقصود من البشارة. من الممكن أن يسمع الناس عظات البشارة أو القراءة عنها في إنجيلهم، دون أن يدركوا الغاية القصوى من البشارة التي تجعل من الأنباء أنباء سارة .

في الحقيقة إن ما يجعل أحداث الجمعة العظيمة والفصح وكل الوعود التي وثقوا بها وضمنوها أنباءً سارّةً هذه إنما كونها تقودنا إلى الله. "فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ، مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلكِنْ مُحْيىً فِي الرُّوحِ" (بطرس 1، 3: 18) وعندما نصبح بقرب الله ومع الله فإنه هو جلّ جلاله من يروي ظمأ أرواحنا إلى الأبد. وإن كل ما هناك من أمور أخرى في البشارة يعني الكشف عن بهاء الله وإزالة كل العوائق دونه (من مثل العقاب على الخطيئة) والعوائق التي فينا (من مثل تمردنا وجموح أنفسنا). وبذلك بإمكاننا أن نعيش متعة القرب منه إلى الأبد. الله هو البشارة. وهذا يعني أنه يجعل الأنباء أنباء سارّة ولا شيء سواه يمكن أن يشيع السرور في ذواتنا ويجعل من الأنباء أنباء سارّة. وإلى أن يستطيع الناس الوصول

إلى جوهر البشارة ومعناها الكامن للوصول إلى الله، فهم دون تصور تلك البشارة وفهمها في إطارها الصحيح.

التبرئة والتكفير عن الخطيئة تعالج مشكلتنا الكبيرة

قبل عرض المصدر الإنجيلي لادعائنا لما ذهبنا إليه من تصورات، دعوني أبين كيف أنه وحتى السطح الأكثر تألقاً ولمعاناً من سطوح جوهرة البشارة بإمكانه الاستحواذ على اهتمامنا إلى درجة أننا ننصرف عن رؤية إشراقات الله المنبعثة من جميع جوانب الجوهرة نفسها.

خذ على سبيل المثال، تكفير الخطيئة بعض وجوه وسطوح أي بعض جوانب هذه البشارة هي أكثر قيمة بالنسبة لي من تلك. وقد كانت غايتي من هذا الكتاب كشف سبب كون هذا المعتقد هو قلب البشارة النابض وسبب تضمنه إسناد المسيح الصلاح والاستقامة إلينا بسبب الإيمان فقط بعيداً عن قانون الأعمال[1]. أنا لن أمضي هنا للدفاع وإبداء الحجة إلا لاقتباس آراء مبرهنة. على سبيل المثال كتب ج. س. بيركوير G.C. Berkouwer: "إن الاعتراف بالتكفير والتبرئة الإلهية تمس حياة الإنسان في الصميم، وذلك عند منعطف علاقته مع الله. فهو يحدد أبعاد الوعظ في عظة الكنيسة، من حيث وجود وكينونة الحياة الإيمانية وتقدمها ونموها، منشأ وجذور الأمن الإنساني، الإنسان وتوقعاته المستقبلية"[2].

إن من أكثر الحاجات الإنسانية الأساسية في خطاب الوعظ بالبشارة هي الخطاب حول نعمة التكفير عن الخطيئة. نحن بذلك لم ننج من عقاب الله، وإنما ما يعنيه ذلك هو أن ما يجب تغييره وبشكل جذري هو غضب الله تجاهنا لأنه خالقنا وإلهنا لا يرضى بالإثم والخطيئة (رومية، 3: 23). ليس بمقدورنا تغيير إرادة الله، ليس باستطاعتنا رمي أعبائنا ومستحقاتنا الشخصية على الآخرين. "الأَخُ لَنْ يَفْدِيَ الإِنْسَانَ فِدَاءً، وَلاَ يُعْطِيَ اللهَ كَفَّارَةً عَنْهُ. وَكَرِيمَةٌ هِيَ فِدْيَةُ نُفُوسِهِمْ" (مزمور، 49: 7). لذا، فقط وبرحمته العظيمة، كانت إرادة الله في وضع المسيح على ذاك النحو المتقدم طلباً لرحمة الله وتفادي غضبه (رومية، 3: 25). لقد تحمل المسيح اللعنة التي استحقت علينا (غلاطية

---

(1) جون بيبر، إحصاء فضائل المسيح: هل علينا التخلي عن ما نسب إلى المسيح من فضائل (ويتون III Wheaton: Cross Way Books, 2002).

(2) ج. س. بيركوير G. C. Berkouwer، الإيمان والتبرئة من الأمم (Grand Rapids. Mich.: Eerdmans, 1954), 17.

1، 3: 13). "الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ. الَّذِي بِجَلْدَتِهِ شُفِيتُمْ." (بطرس 1، 2: 24).

التبادل العظيم

لم يبلغ الأمر فقط ليتم اعتبار أخطائنا هي أخطاؤه، بل الأمر تعدى ذلك فكان صلاحه صلاحنا واستقامته استقامتنا. وقد أطلق على ذلك مفهوم التبادل الكبير. وعلى سبيل المثال كتب ج. آي. بيكر J.I. Packer: "لقد أراد الملك الديّان أن الآثمين المدانين هم مستثنون من العقاب وهم صالحون بشفاعته. إن هذه المقايضة العظيمة ليست اختلاقاً قانونياً، وليست بإيهام وستار مضلل ليس له من أساس، وليست محض لعب على الكلام لجهة الله تعالى، ولكنها إنجاز باهظ الثمن"[3]. إن العبارات الإنجيلية التبادل العظيم قد جاءت في كورنثوس (2)، 5: 21 "لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ.".

إن هذه التبرئة من الخطيئة لها هذان الجانبان: التبرئة من الذنوب والتكفير عنها وذلك يعود إلى أن المسيح تحمل لعنتنا، وأما عزو ونسبة الصلاح لنا فهذا بسبب أننا من المسيح وفيه؛ وصلاحه إنما هو محسوب ومعتبر لنا أي صلاحه صلاحنا[4]. وهكذا عرَّف كالڤن Calvin التبرئة من الخطيئة كالتالي: "قبول الله لنا حيث تلقانا وكوننا حظينا بفضله كأناس صالحين. ويمكن القول بأن ذلك يكمن ويتوقف على الإعفاء من الذنوب والآثام ثم عزو ونسبة المسيح لنا أي أن صلاح المسيح صلاحنا"[5]. ويؤكد لوثر Luther نفس الشيء (هو الذي أطلق على مبدأ التبرئة والتكفير بأنه المعتقد الذي يحدّد ثبات الكنيسة أو انهيارها)[6]. أكد لوثر على هذين الجانبين كليهما في التبرئة والتكفير بقوله: "لقد حمل المسيح جميع خطايانا وآثامنا على كاهله، وبسببها ومن أجلها مات على

---

(3) ج. آي. بيكر "التبرئة من الإثم في علم اللاهوت البروتستانتي" في تشويق أصل الله. مجموعة من مختصرات كتابات ج. آي بيكر، المجلد 4.
(Carlisle, Cumbria, UK: paternoster, 1999), 4: 227. المزيد من التأكيد.

(4) الدفاع عن هذا الكلام كان العبء الملقى على كاهل الكتاب المذكور آنفاً: جون بيبر "تعداد فضائل المسيح".

(5) جون كالفن "مؤسسات/جمعيات الدين المسيحي"، المجلد 2، ed، جون ت. ماك نيل John T. McNeill، ترجمة فورد لويس Ford Lewis.

(6) الوارد لدى بيكر في كتابه "التبرئة من الإثم في علم اللاهوت البروتستاني"، 19.

الصليب" ثم "هم صالحون لأنهم آمنوا بالمسيح الذي أسبغ عليهم صلاحه ونسبه إليهم"[7].

التبرير هو قلب البشارة. وليست نعمتها القصوى

لذا فإن البروتستنات نظروا إلى مبدأ التبرير (من خلال الرحمة فقط، من خلال الإيمان فقط، وعلى قاعدة دم المسيح والصلاح فقط، ومن أجل بهاء وجلال الله فقط، وذلك كما تمّ تلقينه بالسلطة النهائية في الكتاب المقدس فقط) وبالنسبة لـ "قلب البشارة الإنجيلية"[8]. فأنا أوافق على هذا الحكم والاستصواب، وأنا مبتهج لإطلاق لقب قلب البشارة على التبرئة والتكفير. إن اللغة المجازية (مثل "القلب"، "المركز") هي غامضة. وماذا يعني هذا؟ أنا أطلق كلمة "القلب" لأعني بأن التبرير يخاطب المشكلة الأساسية القائمة بين الله والإنسان بصورة مباشرة (انظر ما ورد آنفاً). فيصبح اذن مصدر الدعم لجميع مآثر البشارة.

لقد أعطى هذا بعداً خاصاً للسؤال المهم في هذا الكتاب: لم تمثل نعمة التبرئة من الإثم بحدّ ذاتها أنباء سارّة؟ وما هو الجانب الجيد الذي يجعل التبرئة من الإثم والتي تتم من خلال الإيمان أنباء سارّة؟ أم أن الأمر الأكثر بعداً: لأن البشارة التي تحمل في جوهرها التبرئة من الإثم تبعاً للإيمان هي أنباء سارّة؟ إن هذا السؤال نادراً ما يتم طرحه؛ لأن خطايانا غفرت، وبرئنا من جناياتنا الكبيرة أمام المحكمة، وأصبحنا من عداد الصالحين أمام الله جلّ جلاله، ألا يمثل هذا كله بشكل واضح حالة فرح وسرور إلى حدٍّ كبير لدرجة يبدو من الجرأة بمكان طرح السؤال: لماذا يمثل هذا كله أنباءً سارّة؟

ولكني أعتقد أنه يجب علينا وبشكل مؤكد طرح هذا السؤال لِمَا في الإجابة من أهمية قصوى. وعلى كل شخص أن يكون ملزماً في أن يجيب عن هذا السؤال: "لما هي أنباء سارّة بالنسبة لك أن تقف في قاعة محكمة الرب الديّان مالك السماوات والأرض". والسبب في وجوب طرح هذا السؤال أنه هناك وبشكل مشابه إجابات إنجيلية تعطي في مجملها تفصيلاً عن نعم الله بحدّ ذاتها. وبإمكان الشخص الإجابة كالتالي: "في غفران الله لي نبأ سارّ لأنني لا أريد الذهاب إلى الجحيم. أو من الممكن أن يجيب آخر: "أن يكون قد غفر لك فهذه أنباء سارّة لأن الضمير المدان والمحكوم عليه بالذنب هو شيء مريع، وسأشعر براحة عظيمة عندما أفكر بأن ذنوبي قد غفرت". ومن الممكن أن

---

(7) مقتبس من Ibid، 225– 226.

(8) "قلب الرسالة/البشارة الإنجيلية كان بالنسبة [للمصلحين] نعمة الاستقامة والتبرئة من الإثم من الله دون مقابل وهنا كان مجموع والجوهر لتلك... والذي هو موضوع مساعد لتصريحاتهم.

يجيب أحدهم: "أريد أن أذهب إلى النعيم إلى الجنة". ولكن علينا أن نسأل لما يريد هؤلاء الذهاب إلى الفردوس؟ لأن البديل مؤلم" أو "لأن زوجتي المتوفاة هناك" أو "لأنه سيكون هناك جنة جديدة ودنيا جديدة حيث هناك عدل وجمال في كل مكان".

أين مكمن الخطأ في هذه الإجابات. حقاً ليس هناك من شخص يود أن يكون مصيره إلى الجحيم. في الجنة سنفلت من آلام الجحيم وسنستمتع بالعدل وبجمال الدنيا الجديدة. كل ذلك حقيقي. لكن أين مكمن الخطأ في هذه الإجابات؟ إن مكمن الخطأ فيها أنها لا تتعامل من منطلق أن الله هو الخير المطلق والأسمى إلى ما لا نهاية في هذه البشارة. والمجيبون في هذا كله لم يعبروا عن أن منتهى غاياتهم هي البقاء بقرب الله ومعه؛ والأبعد من ذلك أنه لم يكن هناك ذكر لله ولكن فقط لعطاياه ونعمه. نعم هذه العطايا والنعم هي قيّمة وثمينة، وهي منه، ولكن ليست هي عز وجل نفسه. لنكن واعين، فهذه العطايا والنعم ليست هي البشارة فيما إذا لم يكن الله في المقام الأول هو المبجل والمقدس والمقدّر كنعمة مطلقة في البشارة. وهذا يعني، إذا لم يكن الله هو موضع التقدير والتقديس كنعمة كبيرة قصوى ومطلقة في البشارة، حينها لن تكون أية عطية من عطاياه ونعمة من نعمه في البشارة هي حقاً بمثابة أنباء سارة. ولكن وفي حال تمّ تقدير الله وتقديسه كنعمة ذات قيمة مطلقة في البشارة، حينها ستُشيع أية عطية ونعمة مهما بلغت قيمتها في هذا المقام ذلك الشعور بالابتهاج والسعادة على السواء.

إن التبرئة من الذنب ليست هي آخر الدرب وليست النهاية في آخر المطاف. وليس غفران الذنوب أو الوصف بالصلاح، ولا الإفلات من عذاب جهنم أو دخول الجنة أو التحصن من الأمراض أو التحرر من القيود، ولا حتى حياة الخلود والعدالة والحق أو الرحمة أو المثال الرائع في عالم بلا آلام؛ ليست هذه الجوانب أو النعم الأساسية في البشارة هي جوهر النعمة أو النعمة الجوهر المقصودة في البشارة ولا الهدف الأسمى منها. ولكن هناك نعمة وجوهر واحد وهو: رؤية الله الواحد بتجلياته على حبيبه وصفيّه، وبذا تسمو أرواحنا ونفوسنا ونصبح أكثر إشراقاً وابتهاجاً مبدين وكاشفين عن جمال الله اللانهائي وقدره اللامحدود[9].

لم لديّ الرغبة في الغفران؟

ضع في اعتبارك النظر فيما سأورده من توضيح. هَبْ أني استيقظت صباحاً وبينما كنت

(9) انظر الفصل 11 حول التفسير للعلاقة بين الهدف من معرفة رؤية الله والهدف من مماثلة الله.

متوجهاً إلى الحمام تعثرت ببعض الغسيل الذي تركته زوجتي ملقىً على أرض الغرفة. وعوضاً عن إزاحة الغسيل بنفسي جانباً وكُلّي نوايا حسنة تجاهها، تصرفت بطريقة لا تتناسب مع المسألة وتفوهت بكلمات فظة وقاسية وجهتها لزوجتي بمجرد استيقاظها. فنهضت ووضعت الغسيل جانباً وهبطت الدرج مبتعدة عني. هكذا يمكنني القول بأن العلاقات بيننا ستمر الآن بأزمة عميقة وصعبة.

عندما هبطت إلى الطابق الأسفل كان ضميري يؤنبني. نعم ما كان يجب أن يكون الغسيل ملقى هكذا. نعم، كان من الممكن أن أتعثر وأكسر عنقي. ولكن.. إن هذه الأفكار هي صادرة عن ردّة فعل تلقائية وطبيعة بشرية للدفاع عن النفس. والحقيقة أن كلماتي كانت خارج حدود اللياقة وليست مجرد انفعال فظ لا يتناسب وأهمية الذنب. ولكن الإنجيل سألني التجاوز عن الخطأ، "لِمَاذَا لاَ تُظْلَمُونَ بِالْحَرِيِّ؟ لِمَاذَا لاَ تُسْلَبُونَ بِالْحَرِيِّ؟" (كورنثوس 1، 6: 7).

دخلت المطبخ. كان هناك تلبد في الأجواء وبرود، كانت زوجتي تدير ظهرها لي بشكل ملحوظ أثناء عملها أمام طاولة المطبخ. ماذا علي أن أفعل في هذا الحال؟ الجواب بسيط: الوضع يقتضي أن أعتذر وأسأل الصفح. هذا هو الشيء الصحيح الذي عليّ فعله. ولكن إليك وجه المقارنة. لِمَ عليّ أن أطلب الصفح منها؟ أذاك لأنها سوف تحضر لي فطوري المفضل؟ أو أن ذاك لأنني سوف أتخلص من الإحساس بالذنب فيكون باستطاعتي التركيز على عملي اليوم؟ أو أنه ستكون علاقتنا الزوجية على أحسن ما يرام اليوم؟ أو كي لا يرانا الأطفال في حالة غير اعتيادية؟ أو لأنها سوف تعترف وتقرّ أخيراً بأنه ما كان لائقاً أن يكون الغسيل حيث كان؟

من الممكن أن تكون أيٍّ من هذه الرغبات حقيقية أي تكوّن الدافع لطلب الصفح، ولكنها بمجملها هي إنما دوافع قاصرة معيبة من أجل الرغبة في أن تصفح عني. إن ما ينقص هو التالي: أود أن يُصفح عني وبذا سوف أستعيد علاقتي الحلوة المحببة مع زوجتي، أودّ استعادة تلك العلاقة وبعبارة بسيطة أن الصفح هو الطريقة التي تزيل العوائق من الطريق وبذا يمكننا أن ننظر إلى بعضنا مجدداً بسعادة وابتهاج.

هل ستكون سعيداً في الفردوس لولا الله؟

إن فكرتي الأساسية في هذا الكتاب أن كل الأعمال المنقذة وكل البركات والنعم التي تتضمنها في البشارة هي إنما تعني إزالة العوائق من الطريق؛ علّنا نكون أكثر قرباً من الله، وأكثر معرفة به

فتغمرنا السعادة دونما انتهاء. إن الاسترحام أو طلب الرحمة ، والفداء، والغفران، والتقديس، والتحرر والانعتاق، والصلاح، والسماء، والفردوس.. ليس أيّاً من هذه الأمور بحدّ ذاتها أنباءً سارّة، وإنما هي كذلك لسبب واحد وهو: إنها تجعلنا أكثر قرباً من الله فنعيش سعادة ومتعة قربه دونما انتهاء. فالمسيح لم يمت من أجل العفو عن الخاطئين الذين يمضون في حب وتقدير كل شيء دون معرفة وتقدير الله. وإن من يظن أنه سيكون سعيداً في الفردوس إذا لم يكن المسيح هناك، لن يكون هو في الفردوس. إن البشارة ليست الوسيلة لإدخال الناس إلى الفردوس، ولكنها الوسيلة لإعادة الناس إلى الله. وهي أيضاً الطريق للتغلب على العقبات التي تحول دون أن نعيش تجربة السعادة التي لا تنتهي مع الله. إذا لم يكن الله في تصورنا هو فوق كل شيء، فهذا يعني أننا لم نهتدِ بعد بالبشارة.

ما هو الخير المطلق الذي يجعل من البشارة أنباءً سارّة؟

والآن علينا أن نتحول إلى الأسس الإنجيلية من أجل هذه الحقيقة. لقد رأينا التعريفات الإنجيلية الواسعة للرسالة، كما قمنا بالتركيز على الغفران في كونه جوهر البشارة. والآن علينا البحث عن ما هي نعمة البشارة القصوى؟ ما هي الغاية منها؟ ما هي النعمة التي تجعل من كل مظاهر البشارة خيرا؟

من أجل ذلك انتقلنا أولاً إلى الإعلان ذي الأهمية الكبيرة في العهد القديم حول البشارة والذي نجده في أشعيا 40: 9 "عَلَى جَبَل عَال اصْعَدِي، يَا مُبَشِّرَةَ صِهْيَوْنَ. ارْفَعِي صَوْتَكِ بِقُوَّةٍ، يَا مُبَشِّرَةَ أُورُشَلِيمَ. ارْفَعِي لاَ تَخَافِي. قُولِي لِمُدُنِ يَهُوذَا: هُوَذَا إِلهُكِ".

إن التوق والشوق في البشارة هو: أرني مجدك وإشراقاتك

فكون الخير المطلق يكمن في موت وقيامة المسيح، وهذا احتمال ممكن، ويبدو هذا في البشارة. وهو ما جاء في: "انظروا إلهكم". فقد توسل موسى عليه السلام من أجل هذه النعمة. عندما كان يجاهد من أجل أن يكون في حضور الله في طريقه إلى الأرض الموعودة" وقد قال موسى: "أَرِنِي مَجْدَكَ" (الخروج، 33: 18). لقد عبر الملك داود عن روعة هذه البركة في المزمور 27 بالقول: "وَاحِدَةً سَأَلْتُ مِنَ الرَّبِّ وَإِيَّاهَا أَلْتَمِسُ: أَنْ أَسْكُنَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي، لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى جَمَالِ الرَّبِّ، وَأَتَفَرَّسَ فِي هَيْكَلِهِ... قُلْتَ: اطْلُبُوا وَجْهِي. وَجْهَكَ يَا رَبُّ أَطْلُبُ." المقطعان 4، 8. إن ذكرى هذه الحضرة في إشراقات الله دعمت وأعانت داود في آلامه ومعاناته "يا الله.. إلهي أنت، إليك أفكّر، عطشت إليك نفسي، يشتاق إليك جسدي في أرض ناشفة ويابسة بلا ماء، لكن أبصر

قوتك ومجدك كما قد رأيتك في قدسك" (المزمور، 63: 1 2).

نحن نعلم استحالة رؤية الله بالحواس، فأخلاقياً: نحن لسنا صالحين بما فيه الكفاية في وضعنا المتردي، هذا وسوف يفنينا بهاء وإشراقات قدسيته فيما إذا نظرنا إليه. لهذا بدا الله لموسى في تجلياته لا بذاته "وقال لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش" (الخروج، 33: 20). لذا فقد وضع موسى على الجبل، وتجلى عليه بفيوضاته.

ولكن استحالة رؤية الله ليست فقط بسبب وضعنا الأخلاقي السلوكي، وانما أيضاً بسبب الله، وما نحن إلا من خلقه. وهذا على ما يبدو معنى ما جاء في تيموثاوس، 6: 16: "[هو] الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ، سَاكِنًا فِي نُورٍ لاَ يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ، الَّذِي لَهُ الْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ الأَبَدِيَّةُ. آمِينَ" إن المخلوقات ليس بوسعها النظر إلى الخالق والإحاطة بذاته[10].

وعلى ذلك فإن مسألة رؤية الله قد تمت تسويتها في العهد القديم. كان هناك حد وسط. إن الله تعالى تجلى بفيوضاته فعلاً (مزمور، 77: 11 13) وبإشراقاته (مثال: إسحاق، 1: 28) وبتجليات ذاته (مزمور، 19: 1) وبالملائكة (القضاة، 13: 21: 22) وعلى وجه الخصوص بكلمته "وَعَادَ الرَّبُّ يَتَرَاءَى فِي شِيلُوهَ، لأَنَّ الرَّبَّ اسْتَعْلَنَ لِصَمُوئِيلَ فِي شِيلُوهَ بِكَلِمَةِ الرَّبِّ" (صموئيل 1، 3: 21).

إن مجد الرب سوف يتجلى بكلمة يسوع المسيح

ولكن ذاك اليوم سيأتي عندما يتجلى الخالق الرب بكلمته التي يمكن رؤيتها بنمط جديد.

وقد كان ذلك الأمل العظيم والتوقع في العهد القديم. "صَوْت صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: «أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. قَوِّمُوا فِي الْقَفْرِ سَبِيلاً لإِلَهِنَا. كُلُّ وَطَاءٍ يَرْتَفِعُ، وَكُلُّ جَبَل وَأَكَمَةٍ يَنْخَفِضُ، وَيَصِيرُ الْمُعْوَجُّ

(10) لقد قمت بأخذ المقطع من الكتاب المقدس الذي يبدو كاستثناء لذلك (مثل ما جاء في سفر التكوين 32: 30 "دعا يعقوب المكان فنيئيل قائلاً لأني نظرت الله وجهاً لوجهه ونجيّت نفسي"). وكعبارات على طول سطور المزمور 27: 824 حيث رؤية وجه الله يعني شهود تجليات ودلائل إشراقاته، وبعض تجليات الله هذه هي اللافتة للنظر حتى أن الشاهد يتحدث عن شهود الله. نحن بحاجة إلى عدم التفكير بأن ذلك يعني بدون واسطة على الإطلاق. ويعلق جون سيثمار على ما جاء في سفر التكوين 32: 30 بالقول: "إن ملاحظة يعقوب بالضرورة بأن "الرجل" الذي صارعه هو إله. وعلى الأصح، وكما في حالات مشابهة (على سبيل المثال ما جاء في القضاة 13: 22) عندما يرى أحدهم "ملاك الإله" كان من الملائم القول بأنه كان قد رأى وجه الله". سفر التكوين، تأويلات مفسر الإنجيل، 12 مجلداً، المحرر فرانك جيبلن.

(Grand Rapids, Mich.: Zondervan, 1990), 1: 210.

مُسْتَقِيمًا، وَالْعَرَاقِيبُ سَهْلاً .فَيُعْلَنُ مَجْدُ الرَّبِّ وَيَرَاهُ كُلُّ بَشَرٍ جَمِيعًا، لأَنَّ فَمَ الرَّبِّ تَكَلَّمَ"(أشعيا، 40: 3 5).

"قُومِي اسْتَنِيرِي لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورُكِ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكِ. لأَنَّهُ هَا هِيَ الظُّلْمَةُ تُغَطِّي الأَرْضَ وَالظَّلاَمُ الدَّامِسُ الأُمَمَ. أَمَّا عَلَيْكِ فَيُشْرِقُ الرَّبُّ، وَمَجْدُهُ عَلَيْكِ يُرَى. فَتَسِيرُ الأُمَمُ فِي نُورِكِ، وَالْمُلُوكُ فِي ضِيَاءِ إِشْرَاقِكِ" (أشعيا، 60: 1 3) "وَأَنَا أُجَازِي أَعْمَالَهُمْ وَأَفْكَارَهُمْ. حَدَثَ لِجَمْعِ كُلِّ الأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ، فَيَأْتُونَ وَيَرَوْنَ مَجْدِي" (أشعيا، 66: 18).

سوف يشرق هذا النهار مع قدوم المسيح: لقد كان حقاً كلمة الله وقد كان حقاً ملكاً وكان المثال المجسد لتجليات كلمة الله "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ... وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا." (يوحنا، 1: 1، 14).

وعندما صنع معجزاته، فإن المجد الذي رآه الناس، وإذا ما صدقوه حقاً، فسيعرفون إنما هو من تجليات الله عليه. يقول المسيح لمارتا فقط قبل إحياء شقيقها أليعازر: "أَلَمْ أَقُلْ لَكِ: إِنْ آمَنْتِ تَرَيْنَ مَجْدَ اللهِ؟" (يوحنا، 11: 40).

ظهور لتجليات الله أكثر مما توقعته النبوءة

وأشرق النور الإلهي على الكون أكثر روعة مما روت عنه النبوءة. فعلموا بأن المسيح هو آتٍ وسوف يظهر العدل الإلهي والإخلاص في الإيمان كما لم يحدث من قبل أبداً. وليس باستطاعتهم الرؤية بشكل واضح وبيّن[11] كما باستطاعتنا أن نرى نحن في يسوع "كلمة الله المتجسدة في جسد" (كولس 1، 2: 9)، وهذا يعني أن الله في ذاته وهو في ذات الله (يوحنا، 10: 30، 38)، وقد كان التلاميذ مذهولين واجمين لسماعهم المسيح مخاطباً فيليب: "أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ !اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الآبَ؟" (يوحنا، 14: 9). أو المسيح وهو يقول هذه الكلمات البسيطة والمثيرة "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ" (يوحنا، 8: 58).

(11) يقول بطرس في بطرس 1، 1: 10 "الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياءُ الذين تنبأوا عن النعمة التي من أجلكم باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها".

من أجل ذلك قال بولس الرسول: "وَمِنْهُمُ الْمَسِيحُ حَسَبَ الْجَسَدِ، الْكَائِنُ عَلَى الْكُلِّ إِلهًا مُبَارَكًا إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ" (رومية، 9: 5) ثم لماذا وصف المسيح في تجسيده "الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ" (فليبي، 2: 6)[12] "لكن المسيح ليس كالله كما يمكن أن يفهم لأن الله ليس كمثله شيء من الأشياء". وهذا يعني أنه لم يطلب بأن يظل متمسكاً بكل ما هو جليّ متفادياً مهانة التجسد، بالأحرى فقد كان راغباً في عرض ما هو جلي ظاهرياً في تجليات الله على إنسان هو مجرد عبد كغيره من بني البشر (فيليبي، 2: 6 7) لذا وصف بولس المجيء الثاني كظهور عظيم لولينا ومنقذنا (تيطس، 2: 13).

بإمكاننا أن نصل إلى قرار على ضوء هذه الكلمات وغيرها بأن الوقت قد أَزِفَ أخيراً لتجليات الله بطريقة لم يتوقعها أحد: إن كلمة الله ستتجسد من خلال إنسان. وسيرى البشر إشراقات الله بطريقة لم يروها أبداً من قبل. لقد ذكر الإنجيل آنفاً، أن الله كان يتحدث من خلال أنبيائه، ولكنه فيما بعد ومنذ مجيء المسيح خاطبنا عبر وليّه وحبيبه الذي اختاره لتلك البشارة التي من أجلها وأجل الجميع خلقه. وهو النور المنبثق من عند الله، وهو الدمغة الحقة لكلمة الله، وهو الذي حمل عبء العالم بمددٍ من الله (العبرانيين، 1: 2 3). إننا وعندما نرى يسوع المسيح، نرى تجليات الله في إشراقاته كما لم يظهر على أحد من قبل[13].

يسوع المسيح الذي لم يره الجميع

طبعاً، كان هناك كثيرون رأوا يسوع المسيح دون أن يروا تجليات الله عليه. لقد رأوا شخصاً نهماً وسكيراً (متى، 11: 19) ورأوا فيه الشيطان الأكبر، رئيس الشياطين إبليس (متّى، 10: 25؛ 12: 24). لقد رأوا فيه المضلل (متّى، 27: 63) "لأَنَّهُمْ مُبْصِرِينَ لاَ يُبْصِرُونَ، وَسَامِعِينَ لاَ يَسْمَعُونَ وَلاَ يَفْهَمُونَ." (متّى، 13: 13). إن نور ومجد الله المتجلي خلال مسيرة حياة ومهمات

---

(12) كونه شكل من أشكال تجليات الله لا يعني أن الله ذات حقاً. إن كلمة "شكل" أخذت معناها من العبارة التالية: "نظير كلمة الله" ومن خلال المثيل البشري كما جاء في رسالة الفيلبي "لكنها كلمة الله في صورة عبدٍ صائراً في شبه الناس". إن اللغة المقابلة هي لإظهار أن المسيح كان حقاً بشراً وكان حقاً كلمة الله. للمزيد انظر الدراسات الأكثر شمولية حول هذا النص الهام الدقيق، رالف ب. مارتن Ralph P. Martin، كارمن كريستي Carmen Christi: فيلبي 2: 5– 11 في التفسير المعاصر وفي فترة المسيحية المبكرة (Cambridge, Mass، مطبعة جامعة كامبردج، 1967).

(13) عندما يقول الإنجيل (المزمور، 19: 1) "السماوات تحدث بمجد الله" هذا يعني شيئاً يختلف بشكل أساسي عن القول بأن المسيح هو ومضة من إشراقات الله. ولا يشير الإنجيل ويومئ ولا في أي موضع بأنه من طبيعة الذات الإلهية. ولكن الإنجيل وبشكل متكرر يذكر ويظهر بأن يسوع المسيح هو كلمة الله.

وخدمات المسيح هو ليس ذلك النور والمجد المحجوب فإننا سنراه عند عودته الثانية و"وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ وَهِيَ تُضِيءُ فِي قُوَّتِهَا." (رؤيا يوحنا، 1: 16؛ Cf. لوقا، 9: 29). لقد كان إشراقه ومجده عند قدومه في المرة الأولى لا يضاهي مجموعة رائعة من الكمال الروحي، الأخلاقي، العقلاني، الكلامي الشفهي العملي، والتي أوضحت نفسها ضمن إطار عمل إعجازي حليم وتعليم قاطع لا يمكن دحضه وسلوك متواضع. هذا كله جعل المسيح مستثنى من بين جميع الرجال.

وما أحاول التعبير عنه هنا هو أن مجد وإشراق المسيح الذي ظهر بيننا، لا يكمن في خاصية أو أخرى، ولا في عمل أو آخر، ولكنه يكمن فيما أطلق عليه جوناثن إدوارد Jonathan Edwards: "ترابط رائع لإبداعات مختلفة ومتنوعة"[14] وفي عظة تحت عنوان "إبداع المسيح" يتناول ما جاء في نص رؤيا يوحنا، 5: 5 6 حيث تتم مقارنة المسيح بالأسد والحمل كليهما. والنقطة الأساسية التي يتناولها هو أن إشراق ومجد المسيح الرائع الفريد كان مجموعة بدائع هائلة التنوع فيه (الأسد والحمل). إن هذه البدائع متنوعة إلى حدٍّ كبير إلى درجة أنها بدت لنا متعارضة كليّاً في نفس الموضوع[15]. وبعبارة أخرى:

- نحن معجبون به ونحترمه بسبب مجده، ولكن معجبون به أكثر لأن مجده ممزوج بالخشوع.

---

(14) تعليقاً على إيمان بطرس الأكيد بعد رؤيته التألق والبهاء الذي أحيط به المسيح عند الجبل الذي تجلى فيه ذلك على المسيح (متى، 17: 1– 9)، حيث يقول بطرس "بل قد كنا معاينين عظمته" (بطرس (2)، 1: 16) يوضح جوناثان إدواردز الفرق بين هذا البهاء والمجد الظاهري" و"البهاء والمجد الروحي"، بأنها الرؤية بعين القلب (البصيرة): "إذا كان المشهد لبهاء ومجد المسيح من الممكن أن يعطي انطباعاً عقلياً مؤكداً على سموّه وقدسيته، فلم، والحال هذه، ليس بإمكان البهاء والتألق الروحي أن يعطي أيضاً الفهم والانطباع نفسه؟ إن المجد والتألق الروحي للمسيح الذي لا شك فيه هو بحدّ ذاته تميز وإظهار واضح لسموّه كما في تألقه ومجده الخارجي: والمزيد من المعالجة هنا: ولأن بهاءه ومجده الروحي هو من ضمن توليفته السماوية، ولأن بهاءه ومجده الخارجي من التجليات التي تكشف عن سموّه وقدسيته، فقد كانت صورة تعكس الحضور لذاك البهاء والمجد الروحي. لذا فمن لديه رؤية واضحة لبهاء ومجد المسيح الروحي من الممكن أن يقول "أنا لم أتبع بشكل مخادع الخرافات المختلقة، ولكنني كنت العين الشاهدة على عظمة شأنه، شاهداً على ذلك على أساس جيد عندما كان مراعياً ومجلاً لبهاء ومجد المسيح الخارجي الذي كان قد شهده" "النور الإلهي الروحي" في المواعظ والحوارات الدينية 1730– 1733. "أعمال/مؤلفات جوناثان إدواردز"، المجلد 17. المحرر مارك فاليري (نيوهافان، مطبعة جامعة يال، 1999)، 419.

(15) جوناثان إدواردز "عظمة المسيح" في المواعظ والحوارات الدينية 1734– 1738، في مؤلفات/أعمال جوناثان إدواردز، المجلد 19، المحرر أم إكس ليسر (نيوهافان: مطبعة جامعة يال).

- نحن معجبون به بسبب تساميه، ومعجبون أكثر لأن هذا التسامي مترافق مع سلوك متعال.
- ونحن نُجلّه بسبب عدالته التي لا تقبل المهاودة، ونجلّه أكثر لأنها عدالة مجبولة على الرحمة.
- ونحن معجبون به ونجلّه لعظمته، ومعجبون به ونُجلّه أكثر لأنها عظمة بخضوع.
- ونحن معجبون به ونُجلّه لأنه كلمة الله، ومع ذلك فلديه مهابة عميقة لله.
- ونحن معجبون به ونجلّه لأنه مستحق كل الخير وصفات الصلاح، ومعجبون به ونجلّه حتى أكثر لأن ذلك كان مترافقاً مع صبر مذهل عند معاناته بسبب الشيطان.
- ونحن معجبون به ونجلّه لأنه هو الملك المسيطر على العالم. ولكن معجبون به ونجلّه حتى أكثر لأن هذه السيطرة مغلفة بروح الطاعة والإذعان والخضوع.
- ونحب الطريقة التي من خلالها أربك الكتبة المتكبرين بحكمته، ونحبه أكثر لأن باستطاعته أن يكون سهلاً وبسيطاً بما فيه الكفاية ليحب الأطفال ويصرف أوقاتاً طويلة معهم.
- ونحن معجبون به ونجلّه لأنه كان باستطاعته تهدئة العاصفة، ومعجبون به ونجلّه أكثر لأنه رفض استعمال تلك القدرة على تحطيم السامريين بالبرق (لوقا، 9: 54 55) ورفض استعمال تلك القدرة لإنزال نفسه عن الصليب.

ويمكن أن نمضي بتلك القائمة قدما. ولكن هذا كافٍ لتوضيح أن الجمال والإبداع في المسيح ليس بالشيء البسيط، فهي معقدة لقد اجتمعت كلها في شخص واحد بتوازن متكامل وتناسب لصفات منوعة بشكل بالغ، وهذا ما جعل من يسوع المسيح وبشكل منقطع النظير متألقاً ومبدعاً ومحطّ إعجاب بشكل متفرد. لقد جعل قلب الإنسان يقف متهيباً أمام هذه البدائع المطلقة. إننا خلقنا لنجلّ يسوع المسيح، كلمة الله.

رؤية ما لم يروه آخرون، لأنهم يهوون عظمة الإنسان

ومن الأشخاص من لم يروا شيئا، لأن أعينهم لا يبصرون بها، في حين أن من لهم أعين تبصر نظروا إشراقات الله تتجلى على المسيح في الأرض. قال المسيح بأن أولئك الذين يؤمنون هم فقط من يستطيع رؤية تلك التجليات. وعلى سبيل المثال فإن مارتا عندما كانت قلقة بأن أخاها لن يقوم من الموت على يدّ المسيح، قال لها: "أَلَمْ أَقُلْ لَكِ: إِنْ آمَنْتِ تَرَيْنَ مَجْدَ اللهِ؟" (يوحنا، 11: 40). والبعض رأى أليعازر وهو يقوم من الموت إلا أنهم لم يروا مجد الله[16] "فَكَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ

(16) Ibid

جَاءُوا إِلَى مَرْيَمَ، وَنَظَرُوا مَا فَعَلَ يَسُوعُ، آمَنُوا بِهِ. وَأَمَّا قَوْمٌ مِنْهُمْ فَمَضَوْا إِلَى الْفَرِّيسِيِّينَ وَقَالُوا لَهُمْ عَمَّا فَعَلَ يَسُوعُ.." (يوحنا، 11: 45 46)[17].

لكن مجد المسيح لا يتوازى وقوة المجد الأصلية. فإن ذلك المجد إنما هو تجلّ من تجليات الذات الإلهية في كمالها الذي لا يحدّ. ولإدراك ذلك فإن هذا يتطلب تصفية ما في القلب من الأغيار. وقد جعل المسيح ذلك واضحاً عندما سأل: "كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْدًا بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَالْمَجْدُ الَّذِي مِنَ الإِلهِ الْوَاحِدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ؟" (يوحنا، 5: 44). إن النفس الأنانية متأصلة في الطبيعة البشرية. ونفس كهذه ليس بإمكانها الوصول إلى الإيمان وتذوقه، لأنه ليس باستطاعتها إدراك الجمال الروحي، ولا يعود ذلك إلى قصور حسّي جسدي أبداً، لأنها لا تملك القدرة على تمثل ذلك حتى لو كانت لديها رغبة مسيطرة، وذلك يعود إلى عدم الاستعداد، وعدم قابلية الاقتناع، وعدم القابلية الأخلاقية في الاقتناع لأنها مستغرقة في أناها الخاصة, فهي غير قادرة على إدراك ما يدين ويستهجن كبرياءها، ويمنحها السعادة من خلال إجلال والإعجاب بغيرها. من أجل ذلك، يتطلب إدراك مجد المسيح تغييراً روحياً ووجدانياً عميقا.

لن يكون باستطاعتك الرؤية والإدراك إن لم تولد ثانية

وعندما أدرك الحواريون ذلك ورأوا مجد المسيح وآمنوا به، قال لهم المسيح: "طُوبَى لِعُيُونِكُمْ لأَنَّهَا تُبْصِرُ، وَلآذَانِكُمْ لأَنَّهَا تَسْمَعُ." (متّى، 13: 16). وهذا رهين بما تشيعه الرحمة في النفس من قدرات بركة خاصة تغير القلوب وتجعلنا قادرين على رؤية وإدراك الإشراقات الروحية. وعندما قال بطرس للمسيح: "أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ!"، فقد أدرك مجد المسيح وآمن. وحول ذلك يقول يسوع ا: "طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ، لكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ." (متّى، 16: 16 17).

هذا ما قصده وعناه يسوع في قوله: "إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللهِ"

---

(17) إن المعنى الحقيقي لما سيقوم به من أعمال سيأتي ضمن محور الإيمان فقط، وكل من هناك. ممن آمنوا أو ممن لم يؤمنوا، سوف يروا المعجزة. ولكن يسوع المسيح وعد مارثا بمشهد مجد" ليون موريس، البشارة لدى يوحنا (Grand Rapid, Mich, Erdmants 1971)، 560. إن ما أراد إيصاله هو ذاك. إن تحول مارتا تركيزها عن الجثة وتركز انتباهها على المسيح، واثقة ثقة مطلقة فيه (بقدرته ومحبته) فإنها سترى هذه المعجزة كإشارة حقيقية صادقة، دليلاً وبرهاناً على تجليات الله على وليه". ويليام هندركسن، رسالة يوحنا (Edinbugh: Banner of troth, 1954)، 158.

(يوحنا، 3: 3). "اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ" (يوحنا، 3، 6).

وعندما نُخلق ثانية بمدد من الله، ستكون أرواحنا مفعمة بالحيوية وسنكون قادرين على إدراك الإقرار الذاتي بالجمال الروحي في شخص وعمل المسيح[18].

إدراك ورؤية مجد المسيح يشهد صعوداً وهبوطاً

إن المقدرة على إدراك الجمال الروحي هو محل تأرجح، فهناك صعود وهبوط في صحبتنا مع المسيح. فهناك أوقات لرؤية وتبصر ضبابيين، خصوصاً إذا ما كان للآثم اليد الطويلة في مواسم حياتنا "طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ." (متّى، 5: 8) نعم، وهي حقيقة ولكن ليست الحقيقة كلها، هناك درجات في الصفاء وإدراك في الإدراك. فقط عندما يتمّ إضفاء الكمال علينا، ونتقدم بطريقة معيّنة، تكون إدراكاتنا بمجملها صافية ولا تعتريها ضبابية. "فَإِنَّنَا نَنْظُرُ الآنَ فِي مِرْآةٍ، فِي لُغْزٍ، لكِنْ حِينَئِذٍ وَجْهًا لِوَجْهٍ. الآنَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمَعْرِفَةِ، لكِنْ حِينَئِذٍ سَأَعْرِفُ كَمَا عُرِفْتُ." (كورنثوس 1، 13: 12). من أجل ذلك صلّى بولس بالطريقة التي صلّى من أجل المؤمنين في أفسس "إلهي أعطهم روح الحكمة والكشف عن المعارف لمعرفته، وإن أضيئت بصيرتك فستعلم ما هو الأمل الذي إليه دعاك، وما هو ذاك الذي له تلك القيمة والغنى في مجده الذي يرثه القديسيون، وما هي العظمة المتعذر قياسها لمقدرته باتجاهنا نحن من المؤمنين (أفسس، 1: 17 19). لاحِظْ تمييز بولس بين إبصار العيون وإبصار القلوب. فإبصار القلوب ليس كإبصار العيون. فهناك إبصار روحي وإبصار مادي جسدي. وإن ما يتوق إليه كي نكون مبصرين له هو ذاك الإبصار الروحي الوجداني. إنّ بصيرة القلب هي "الأمل الذي نادانا إليه إلهنا" "إنه كنز مجده المتوارث دائماً" وهو المجد المتجلي في عظمة قدرته اللامحدودة" وبعبارة أخرى إن ما يريدنا ان نبصره هو الحقيقة الروحية وقيمة هذه الأمور الروحية, ليس فقط الأحداث بشكلها الظاهري، والتي يراها ويدركها الناس من غير المؤمنين ويرددونها دون إدراك مضامينها الفعلية. ليس هذا جوهر التبصر الروحي. بل إنه التبصر والإدراك الروحي لأمور وأحداث البشارة. والذي يعني رؤية وإدراك الجمال الحقيقي.

الرحمة الأوسع والنعمة الافضل

(18) يمكن أن يأمل الواحد ويصدق أن الدافع على الأقل لدى البعض منهم هو الفوز بالفريسيين فيصدقوا، ولكن الخلاف الذي وقع بين هؤلاء الذين آمنوا وأولئك الذين ذهبوا وراء الفريسيين يبين بأن نواياهم كانت أكثر د. اي. كارسون، البشارة تبعاً ليوحنا (Grand Rapids, Mich: Eardmans, 1991)، 419.

إن الخير المطلق في البشارة يتجلى في إدراك وإبداء صفة الجمال وقدرة الله وجلاله. وإن غضب الله، وأيضا أخطاؤنا وآثامنا تحجب تلك الرؤية وتلك المتعة وذلك الابتهاج والرضا. لن يكون بإمكاننا إبصار وتمييز صفات الله التي تشيع الطمأنينة في نفوسنا إلى درجة قصوى بينما نحن يملؤنا الشعور بعصيانه. وإن التخلص من ذلك العصيان وبالتالي ذلك الغضب الإلهي هو ما تطمح إليه البشارة. إن منتهى غاية البشارة هو إظهار إشراقات الله وعظمته ومجده وإزالة كل عقبة تحول بينا وبين إدراك ذلك ورؤيته وإبداء تلك الصفات كأغلى وأسمى ثروة في حياتنا. "انظر إلهك". إنه الأمر الأكثر حنوّاً ورحمة وهو إلى هذا أفضل نعمة في نعم البشارة إذا لم نعرف الله القدير جلّ جلاله ونبدي آلاءه وصفاته كأعظم قدر وخير لنا فنحن والحال هذه لم نطع ولم نؤمن بما جاء في البشارة. هناك مقطع في الإنجيل يجعل ذلك أكثر وضوحاً من أي مصدر آخر تلمسنا فيه ذلك، وهو التالي:

الَّذِينَ فِيهِمْ إِلهُ هذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ. فَإِنَّنَا لَسْنَا نَكْرِزُ بِأَنْفُسِنَا، بَلْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبًّا، وَلكِنْ بِأَنْفُسِنَا عَبِيدًا لَكُمْ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ لأَنَّ اللهَ الَّذِي قَالَ:«أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ»، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.".

كورنثوس (2)، 4: 4 6.

الفصل الرابع

البشارة مجد المسيح من تجليات الله

سنقوم في هذا الفصل بتناول النص الأكثر أهمية في الإنجيل لتوضيح المحور الأساسي في هذا الكتاب. إنه أسلوب بولس بعدم بسط المعنى في الأمر في البشارة "هُوَذَا إِلهُكِ" (أشعيا، 40: 9) وكما جاء في كورنثوس (2) 4: 4 6 فإن إدراك مجد الله المتجلي على المسيح هو معرّف وبشكل واضح ضمن البشارة.

إن إله هذا العالم قد أعمى عقول وبصائر غير المؤمنين لحجبهم[1] عن إدراك ورؤية نور رسالة مجد المسيح الذي هو كلمة الله وإن ما نود إعلانه على الملأ ليس ما يخصنا نحن ولكن ما يخص المسيح لأن الله الذي قال: "دع النور يضيء الظلمات" قد أضاء دواخلنا وقلوبنا وبصيرتنا بنور المعرفة... معرفة تجليات الله على المسيح.

إن هذا هو التوصيف الأروع في البشارة في جميع نصوص الإنجيل. ليس هناك من توصيف يماثله. لقد عرّف الإنجيل البشارة كالتالي: "رسالة مجد المسيح" ويقول بأن هذه البشارة بمجد المسيح تشع وكأنها "نور" "نور البشارة من مجد المسيح" ويقول أن إبليس يحول دوننا ودون رؤية وإدراك هذا النور" وإن إدراك ورؤية "نور رسالة مجد المسيح" هو الذي سيحرر البشر من سلطته.

التحرر من أعمال إبليس التي تحجب الضوء

قارن المهمة التي أَوْكَل المسيح بها بولس من خلال إرساله إلى من حوله كرسول من قِبَلِهِ إلى غير اليهود من الناس وذلك بغاية فتح عُيُونهُمْ "كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ، وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللهِ، حَتَّى يَنَالُوا بِالإِيمَانِ بِي غُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيبًا مَعَ الْمُقَدَّسِينَ." (أعمال الرسل، 26: 18). وبعبارة أخرى، فإن مهمة البشارة بنظر بولس، أنّ هؤلاء ممن ران على قلوبهم

(1) إن الكلمة غير الاعتيادية لكلمة "يرى" استعملت هنا في العهد الجديد. من الممكن "اسطع/تألق" أو "كن مشرقاً" أو "انظر بوضوح". وضمن هذا السياق "انظر بوضوح" تكون الترجمة الصحيحة لأن آلهة تلك الفترة كانت تعمي العقول لذا لم يكن ذاك ليحدث. ولكن العمى لا يعمل على إطفاء بريق النور. ولكنه يعمل على جعل النور غير مرئي.

وأرواحهم ستتفتح بصيرتهم، ويبزغ النور في قلوبهم، وستنقشع ظلمة سلطة الشيطان لديهم، ويستيقظ ويتحرك الإيمان وينبعث من الرقاد/وستُمنح المغفرة، ويبدأ التقديس[2].

وفي كورنثوس (2)، 4: 7، وصف بولس نفسه بإناء فخار في داخله البشارة العظيمة: "وَلكِنْ لَنَا هذَا الْكَنْزُ [البشارة بمجد المسيح] فِي أَوَانٍ خَزَفِيَّةٍ، لِيَكُونَ فَضْلُ الْقُوَّةِ لِلهِ لاَ مِنَّا". إن مهمته ليست إعلاء شأنه. إن الله تعالى يرى أن لدى بولس دراية محددة بالتباهي والتفاخر حتى بين الناس. المعاناة والآلام والوهن كله سيزداد (4: 8 18) وهذا لا يحول دون السماح لمجد البشارة أن يسطع "فَإِنَّنَا لَسْنَا نَكْرِزُ بِأَنْفُسِنَا، بَلْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبًّا، وَلكِنْ بِأَنْفُسِنَا عَبِيدًا لَكُمْ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ." (4: 5).

أشرع أبواب قلبك ودع الضوء يدخله

استعمل الله الأواني الفخارية الضعيفة لحمل "القدرة غير العادية" لـ "نور رسالة مجد المسيح". ماذا حدث عندما وعظت أواني الفخار بالبشارة وعرضت نفسها كخدم؟ الإجابة في الآية 6: "لأَنَّ اللهَ الَّذِي قَالَ:«أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ»، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.".

وهذا يعني أنه قبل التكوين وفي عالم الذرّ حيث القلب الذي تغمره الظلمة والاضطراب لعدم الإيمان قال جلّ جلاله: "ليكن هنا نور" فكان هناك نور. وقال للقلب الأعمى المظلم "ليكن هنا نور". وهكذا كان حقاً أن هناك نوراً في قلوب الخاطئين. ومن خلال هذا النور نرى مجد الله متجلياً على وجه المسيح.

لاحظ التماثل بين الآية 4 والآية 6:

الآية 4	الآية 6
الشيطان مضلل	يخلق الله النور
النور	النور
للرسالة	للمعرفة

(2) يشير سيون كيم إلى التماثل بين ما جاء في أعمال الرسل 26: 16– 18 والكورنثي 4: 4– 6 في رسالة بولس وما جاء في "الرؤية الجديدة: أفكار إضافية حول أصل بشارة بولس".

لمجد لمجد

للمسيح على وجه المسيح

تجليات كلمة الله لله

في الآية (4) الشيطان يضلل العقل. في الآية (6) الله يخلق النور في القلب. الآية (4) تصف المشكلة، والآية 6 تصف العلاج. إن هاتين الآيتين تصفان أحوال جميع الناس قبل المحادثة، وما حدث أثناءها وأدى إلى الخلاص. إن الترابط الموجود بين كورنثوس (2) 4: 4 و6 يلقي الضوء على المعنى المطلق لكلمة النعمة في مصطلح الأنباء السارة.

إن البشارة هي مجد المسيح

دعونا نكون واضحين أننا نتحدث عن البشارة في هذه الآيات. إن الحقيقة في عدم ذكر بولس لوقائع حياة المسيح، موته، وقيامته لا يعني بأنه تركها مبهمة. لقد بقيت هذه الوقائع جوهر البشارة التاريخي. ليس هناك من رسالة دون تصريح بصلب المسيح من أجل الخاطئين، وقيامته من الموت (كورنثوس 1، 15: 1 4) وهذا مسلّم بصحته. عندما تحدث بولس عن "رسالة مجد المسيح" فهو يعني بأن أحداث البشارة قد تم التخطيط لها من الله للكشف عن مجد المسيح. وهذا ليس أمرا ثانويا وعرضيا بالنسبة للرسالة، بل هو أساسي. لن تكون البشارة أنباءً سارّة إذا لم تكشف لنا عن مجد المسيح لنراه ونقدره. إنه مجد المسيح الذي يروي ظمأ أرواحنا أخيراً. نحن نعمل من أجل المسيح، وقد مات المسيح حتى تتم إزالة أية عقبة تحول دون رؤية وتقدير الكنز الذي يكون كافياً في الكون وبالتحديد المسيح، الذي هو كلمة الله.

إن القيمة الأعظم أهمية لمجد المسيح الذي تم الكشف عنه في البشارة هو ما جعل الشيطان يثور ويضطرب من البشارة. إن الشيطان ليس مهتماً ومعنياً بصورة رئيسية باعتباره سبب تعاستنا، ولكنه مهتم وبصورة رئيسية في جعل المسيح يبدو سيئاً. هو يكره المسيح، ويكره مجد المسيح، وهو سيفعل ما بوسعه ليبقي الناس بعيدين عن رؤية وإدراك المسيح معظماً. وإن البشارة هي وسيلة الله لتحرير الناس من الابتهاج بالنفس إلى الابتهاج بالمسيح. لذا كره إبليس البشارة.

استراتيجية الشيطان لإسكات البشارة

وهكذا فقد جاء في كورنثوس (2) 4: 4 إن الشيطان أعمى الناس عن رؤية "نور البشارة". ولديه أكثر من طريقة لفعل ذلك.

إحدى الطرق، طبعاً، هو منع الحديث والدعوة إلى البشارة ونشرها. وذلك من خلال إخراج العديد من الوعّاظ والدعاة والمهمات التبشيرية عن خطها الأساسي. من الممكن أن يموت الوعاظ أو أن يتم وضعهم في السجن (رؤيا، 2: 10) أو أن يتم التخلي عن الخدمة (تيموثاوس 2، 4: 10). كما يمكن الابتعاد عن الحقيقة وتركها والحديث عن "رسالة مختلفة" (غلاطية، 1: 6 8؛ أعمال الرسل، 20: 30).

ولكن جاء في كورنثوس (2) 4: 4 أن الطريقة التي من خلالها يبقي الشيطان الناس بعيدين عن إدراك "نور البشارة" ليس من خلال منع الدعوة والوعظ ولكن من خلال حجب التبصر والإدراك الروحي. فيتم سماع كلمات البشارة وفهم الأحداث، ولكن منهم من لا يتجاوز الآذان دون أن يشيع النور في النفس. ماذا يعني ذلك؟ هذا يعني بأن أصحاب البصائر العمياء يأخذون بعين الاعتبار حقائق البشارة ولكن دون أن يعيروا اهتماماً للجمال الروحي، ليس من غنىً فيها ولا من شيء قيّم فيها مطلقاً. يرون حقائق، وحتى أنهم يوافقون بأن الأحداث التاريخية هي حقيقية. والشيطان يفعل ذلك بالتأكيد، ولكنهم لا يملكون "الإحساس الحقيقي بالسمو الإلهي فيما تم الكشف عنه من أمور في كلمة الله، ومن ثم ومن هذا المنطلق تنبثق قناعاتهم حول الحقيقة والواقع لهذه الأمور"[3].

إن الاقتباس الأخير هو من جوناثان إدوارد. ولدى إدوارد تفكير أكثر عمقاً حول "نور البشارة" الروحي مما قرأت لدى الآخرين على الإطلاق. وهنا توصيف للشيطان فيما يحاول الحصول دون ذلك في الآية(4) وما يمنحه الله في الآية (6).

[إنها] مشاعر حقيقية... حول عظمة الله وسموّ يسوع المسيح ، وما يتعلق بمهمة الاقتداء، وبصنيع الله وسبله التي تم الكشف عنها في البشارة. هناك مجد عالي المراتب. ذات سامية أكثر من أي شيء آخر [ثم] مجد متميز على نحو أكبر من أيٍّ مجد آخر دنيوي ومرحلي آنيّ. وهو ينير روح من يدركه ويعيه ويراه بحق، أو يشعر به. وإن ذات الله الممجدة هو ما لا يراه بعقله، إلا أنه يتلمس ذات الله الممجدة في وجدانه وقلبه[4].

تذوق وأدرك وشاهد، لأن التذوق إدراك ومشاهدة

(3) جوناثان إدواردز "النور الإلهي الخارق" عظات وأحاديث 1730– 1733 ضمن مؤلفات جوناثان إدواردز، المجلد 17، المحرر مارك فاليري، 1999، مطابع جامعة New Haven, conn: Yate، 413.

(4) Ibid.

"إن نور رسالة مجد المسيح" ليست عادية. فليس بوسع أحد إذا أدرك هذا النور ورآه أن يكرهه. ليس بوسع من يرى هذا النور أن يرفضه. وإذا ما ادّعى أحدهم وطلب رؤية هذا النور، فقط بداعي رفضه، فهذا سيراه كما يراه الشيطان ويريدنا نحن أن نراه. وفي هذا الحال نحن ما زلنا في قبضة قوته العمياء. كلا. إن نمط ذلك الإدراك والمشاهدة التي يحول الشيطان بيننا وبينها ليس كنظرتك بصورة طبيعة إلى مائدة ممتدة أمامك دون الشعور بتذوق أو عدم تذوق ما تراه. ولكن نمط المشاهدة التي يلغيها الشيطان (V. 4) والتي أبدعها الله (V. 6) هي أكثر شبهاً بالتذوق الروحي من التذوق العقلي.

إن هذا النوع من المشاهدة هو ليس الاستدلال الظرفي المفصّل بأن هذا السائل البني في الزجاجة بقرص الشمع هو بالضرورة عسلاً. على الأصح إن هذه المشاهدة إنما هي معرفة فورية بأن ذلك عسل بسبب تذوق بعضها باللسان. ليس هناك من سلسلة نقاشات توقظ الوعي واليقين بحلاوة المذاق، هذا ما يعنيه مفهوم المشاهدة. وإذا كنت لا تبصر، فإن هناك من يقنعك بأن الشمس مشرقة. إلا أن هذه الطريقة في الإقناع ليست هي ما يتحدث عنه بولس. عندما يكون بصرك فاعلاً وترى، وعندما يقول الله "دع النور يسطع " فإن ذلك يعني أن هذه الطريقة في الإقناع هي من نوع مختلف. وهذا ما يحدث عند الوعظ والدعوة إلى البشارة. هذا ما يحدث عندما يحل الله وبقدرة منه محل الظلمة في قلوب البشر.

ويحاول جوناثان مرة ثانية مساعدتنا على رؤية وإدراك هذه الأمور بصورة أوضح:

هناك مفهومان لمعرفة الخير الذي جعل الله عقل الإنسان قادراً على إدراكه. الأول هو محض تأمل أو تصور... والآخر يكمن في مشاعر القلب والوجدان: كما في الإحساس بالجمال، والودّ، وبالحلاوة فيما حولك من أشياء وأمور. وعلى ذلك فهناك فرق بين أن يكون لك رأي في أن الله مقدس مستحق للعبادة ورحيم؛ وبين أن تملك الإحساس بالمحبة والجمال تجاه تلك القدسية وتلك الرحمة. هناك فرق بين أن تملك حكماً عقلياً بأن العسل حلو المذاق وبين الإحساس بالحلاوة.. عندما يكون القلب مدركاً ويمتلك الإحساس بالجمال والمودة تجاه الأشياء؛ فمن الضروري الإحساس بالسعادة ضمن هذا الفهم والإدراك... فالفرق شاسع بينه وبين رأي عقلاني يعبر فيه عن روعة الشيء وعظمته [5].

إن إدوارد يشتغل كثيراً على المشاهدة الروحية. وإن جميع الأفكار والاستشفافات ليست عارية

---

(5) Ibid، 414.

عن الصحة أو ملفقة، فقد كانت وليدة استغراقات تأملية في مدى وأبعاد كلمة "النور" التي جاءت في كورنثوس (2) 4: 4 و6. "إنه نور البشارة" و"نور المعرفة". وما تجب مشاهدته وإدراكه ليس مجرد أخبار وأنباء ولا معرفة مجردة محضة. ما ينبغي مشاهدته هو النور. والنور يحصل على تلك السمة المتفردة من حقيقة أن البشارة... المجد و"نور معرفة.. المجد" هو واحد. إن نور مجد المسيح إنما هو منبثق من تجليات أنوار مجد الله... وهناك أخيراً الدليل على أن ذلك هو نور الله. والموضوع هنا هو على هذا الشكل: إن تجليات نور الله على المسيح التي تم الكشف عنها من خلال البشارة هي واقع، نور ملموس تجب مشاهدته روحياً من أجل أن يكون هناك خلاص، وفي حال عدم مشاهدته وتذوقه روحياً، كأمر قيّم ونفيس، فهذا يعني أن الشيطان ما زال فاعلاً ينفّذ أساليبه، ولن يكون هناك خلاص.

البشارة تكشف عن الشخص العظيم

افترض أيضاً أن بولس يتحدث هنا عن المسيح كاشفاً عن شأنه العظيم من خلال البشارة. أولاً هناك المسيح، ثم الكشف عن مجده وشأنه العظيم، وأخيراً هناك الكشف عن مجده من خلال البشارة. دعونا نتأمل ملياً في هذه الخطوات الثلاث.

أولاً هناك المسيح. إن المجد الذي تمّ الحديث عنه في كورنثوس (2) 4: 4 ليس مجداً مبهماً، غير شخصي: إنه مجد غير مجهول صاحبه، مثل تألق الشمس. إنه مجد شخص. تحدث بولس "عن نور رسالة مجد المسيح". إن الكنز في هذا النص ليس المجد وحده، إنه المسيح في مجده، إنه المسيح ذو الشأن الرفيع. إنه الهبة والمنحة القصوى للرسالة وكنزها. وكل الكلمات والعبارات والمآثر الأخرى تأتي تحت هذه المعاني: رؤية المسيح وماهيتها المشاهدة والاستمتاع والتقدير في نفس الوقت.

ثانياً هناك الكشف عن مجد المسيح عبر البشارة.

لقد رأينا في مرحلة سابقة (في الفصل الثالث) أن مجد المسيح عند مجيئه الأول كان بمثابة ترتيب رائع لكمال روحي أخلاقي عقلاني، شفهي وعملي. وقد ترسخ في نوع من الأداءات الإعجازية المتواضعة، وتعليم قاطع لا يدحض، وممارسات متواضعة تجعل يسوع مختلفا عن غيره من الرجال. إن كل عمل من أعمال المسيح وكلماته وعباراته ومواقفه كانت ذات شأن عظيم إلا أن تلك الامور جاءت جميعها معاً ضمن مجموع متآلف وجميل وهذا ما أسس لمجده.

لكن ذروة مجد حياته على الأرض تمثلت في الطريقة التي من خلالها انتهت. عند هذه النهاية

كانت الألوان الأكثر قتامة في نور الطيف، وكان اجتماعها معاً عند الغروب هو الأكثر جمالاً في يوم الجمعة العظيمة مع صلب المسيح وكأن الدم الأحمر هو الشفق الذي أخذ لون دمه الأحمر القاني عند الغروب: ثم كأن جميع ألوان الطيف الأكثر إشراقاً ائتلفت جميعها بعد ذلك عند الشروق الأكثر جمالاً مع بزوغ فجر الفصح. فكانت قيامة المسيح كبزوغ الشمس المتوهجة في أقصى توهجها. إن تألق الغروب وبريق الشروق لمعا عند أفق الحياة كمحبة رائعة لا تضاهى. هذا ما عناه بولس في كورنثوس (2) 4: 4 عند حديثه عن "مجد وتألق المسيح" لإنه تألق ومجد إنسان. ولكن هذا الإنسان أظهر للعيان مجده وتألقه ضمن كلام وعبارات وأعمال ومشاعر.

إن التألق والبهاء ليسا مثل تألق وسحر لوحة فنية أو حتى التألق والسحر في منظر الغروب بحدّ ذاته. إنما تلك محض مقارنات.

ولكن الجمال الروحي في المسيح هو المسيح الفاعل، المسيح المحب، والمسيح الذي يلمس المنبوذ المصاب بالجذام، والمسيح الذي يبارك الأطفال، والذي يبرئ المقعد الكسيح، والذي يحيي الموتى، ويأمر الشياطين، ويعلم ويرشد بقوة على الإقناع منقطع النظير، ويهدئ المرتابين، ويؤنب تلاميذه، وينبئ عن تفاصيل الأحداث التي ترافق موته، ويتجه بوجه تعلوه أمارات الشدّة نحو القدس، باكياً على المدينة، ويقف صامتاً أمام من يوجهون إليه الاتهامات، ومخاطبا بيلاطس ("لَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَيَّ سُلْطَانٌ الْبَتَّةَ، لَوْ لَمْ تَكُنْ قَدْ أُعْطِيتَ مِنْ فَوْقُ" يوحنا، 19: 11)، ويصلب ويسامح ويعفو عن اللص، ويُظهر الاهتمام بأمه بينما كان يعاني سكرات الموت، ويسلم الروح ويموت، ويقوم من بين الأموات "لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضًا. هذِهِ الْوَصِيَّةُ قَبِلْتُهَا مِنْ أَبِي" (يوحنا، 10: 18). هائلة هي تألقات المسيح...

تلك هي البشارة: الكشف عن تجليات الله في المسيح

ثالثاً، هناك البشارة المسيح يكشف عن مجده من خلال البشارة. البشارة هي أنباء سارّة. هي إعلان ما حدث على الملأ. لقد رأى الجيل الأول من الأتباع بأم أعينهم حدوث ذلك. ولكن منذ ذلك الحين، ومجده بالإمكان تأمله من خلال تصريحاتهم. تلك هي الطريقة التي حدثوا من خلالها عن ذلك: "اَلَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ. فَإِنَّ الْحَيَاةَ أُظْهِرَتْ، وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا. الَّذِي رَأَيْنَاهُ وَسَمِعْنَاهُ نُخْبِرُكُمْ بِهِ، لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ أَيْضًا شَرِكَةٌ مَعَنَا. وَأَمَّا شَرِكَتُنَا نَحْنُ فَهِيَ مَعَ الآبِ وَمَعَ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ." (يوحنا 1، 1: 1 3).

إن الإنسان العظيم ذو البهاء الذي مشى على الأرض يوماً هو الآن خارج حدود النظر، إنه غير موجود. وإن كل أعماله التي لا تدحض يحتضنها الماضي البعيد. ليس لدينا من أفلام تصويرية أو تسجيلات صوتية حول يسوع المسيح على الأرض، عندما كان حياً. إن ما يربطنا بالمسيح وبصليبه وقيامته هو كلمة الله، والوسيط والمصدر هو البشارة. لقد قضى الله بأن واقعة حقيقة جسد ودم المسيح ستنتقل عبر القرون من خلال الكتب المقدسة، ومن خلال مركزها المتوهج المتألق، البشارة، رسالة صلب المسيح وقيامته.

هكذا عرف بولس النقطة الأساسية المحورية في البشارة: "فَإِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضًا: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ" (كورنثوس 1، 15: 3 4). تلك هي مآثر البشارة الأساسية. وهناك أشياء أخرى قد تم توضيحها، وهي أساسية، ولكن هذه المسألة واضحة وجوهرية ولا غنى عنها.

إن موته وقيامته هو المقام الذي كان فيه إشراق مجد المسيح وبهائه الأكثر تألقاً. هناك مجد سماوي في الطريقة التي قبل بها يسوع المسيح موته طواعية وبما أنجزه من خلاله. لذا قال بولس: "وَلكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً! وَأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ: يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ، فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ." (كورنثوس 1، 1: 23 24). "إِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ،" (كورنثوس 1، 1: 18). ولمن لهم أبصار ترى هناك مجد إلهي في موت المسيح. اما بالنسبة لقيامته فقد قال بولس: "يُزْرَعُ فِي هَوَانٍ وَيُقَامُ فِي مَجْدٍ. يُزْرَعُ فِي ضَعْفٍ وَيُقَامُ فِي قُوَّةٍ." (كورنثوس 1، 15: 43).

إن قدرة الله وعظمته هي من جعل المسيح يقوم: "كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ، هكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضًا فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ" (رومية، 6: 4)، ثم إن ربه "أَعْطَاهُ مَجْدًا" (بطرس 1، 1: 21). وقد قال المسيح بنفسه بعد أن قام من الموت "كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ" (لوقا، 24: 26).

من هنا؛ فإنه عندما يتم الوعظ على ضوء ما جاء بالبشارة بكل أبعادها، ومن خلال المعنى الكامن في أن رحمة الله العظيمة هي التي قهرت قدرة الشيطان الضالة العمياء، وأن الله خاطب أرواح البشر قائلاً: "دع النور يشرق" فإن ما تراه الروح وتشهده وتقدره في البشارة هو "نور البشارة مجد وبهاء المسيح". ذاك هو الهدف من وراء الوعظ على ضوء ما جاء في البشارة.

بهاء ومجد المسيح من تجليات الله

إن بهاء المسيح ومجده الذي ننظره في البشارة إنما هو من تجليات إشراقات الله وذلك يعود لسببين اثنين على الأقل. الأول هو أن الله قال إن النور ذاك البهاء هو في كينونة قلوبنا وذواتنا. والسبب الثاني واضح في كورنثوس: "إن الله حين قال: دع النور يسطع في الظلام" قد ملأ قلوبنا نوراً كي يشع نور معرفة جلال الله وبهائه الذي بتجلياته أشرق وجه المسيح". وقد ورد في الآية مرتين ذكر خلق الله للنور: في المرة الأولى إشارة إلى خلق هذا الكون ("الله، الذي قال، دع النور يسطع في الظلام"). والمرة الثانية إشارة إلى خلق النور في قلوبنا ("لقد أشرق في قلوبنا ليمنحنا النور").

ولكن علينا أن لا نرتكب خطأ باعتقادنا أنه بسبب خلق الله النور في قلوبنا، فلن يكون هذا النور هو النور المحسوس العينيّ المتألق في أحداث الجمعة العظيمة والفصح. لم يذكر بولس بأن الله خلق النور في القلب بعيداً عن أحداث البشارة. كلا، إن النور الذي خلقه الله هو "نور رسالة تألق المسيح ومجده". إنه ليس نورا مستقلا ومختلفا عن النور الذي كشف عنه المسيح في التاريخ. وعندما يسطع هذا النور على الروح من خلال المهيمن على خلقه، فإن ما تشهده الروح إنما هو تألق المسيح الفاعل في البشارة.

لذا يجب علينا أن نبقى أمينين مخلصين لحقيقتين، لا واحدة، على الرغم من أنهما تبدوان كذلك. الأولى: علينا أن نبقى أمينين مخلصين لحقيقة أن النور الروحي الذي تحدث عنه بولس في الآية (4) يفيض من أحداث رسالة المسيح. والحقيقة الأخرى أن الله خلق هذا النور في القلب. ليس النور هو بسبب المواعظ والخطب الدينية، إنما النور هو فعل مباشر من الله. وإليك ما كتبه جوناثان إدواردز في وصف هاتين الحقيقتين:

إن هذا النور فعل مباشر من الله، ولا يمكن اكتسابه بواسطة وسائل طبيعية... وهناك بفعل هذا النور إدراك ملائم لنفس الحقائق التي تم الكشف عنها في كلمة الله. وعليه فهذا النور لن يعطى دون الكلمة في الواقع ليس باستطاعة الإنسان امتلاك نور روحي دون **الكلمة**...إن تصور أن هناك مسيح، وأن المسيح مقدس ومتسامح، قد وصل إلى أذهاننا عبر **كلمة الله**! إلا أن الشعور بتميز المسيح وإبداعه وتفوقه بموجب هذه القداسة وهذا التسامح هو من عمل **الروح القدس**[6].

ولذا، فإن بهاء المسيح وتألقه الذي يشع في البشارة هو أنوار تجليات الله، والسبب الأول هو أن

(6) إدواردز "النور الإلهي الخارق"، 416- 417.

الله تعالى أمر نور هذا البهاء ليصير كائناً في قلوبنا.

مجد المسيح هو من تجليات إشراقات الله على وجه المسيح

إن السبب الثاني في كون مجد المسيح من تجليات إشراقات الله هو أن المسيح كلمة الله وقد عبّر بولس عن ذلك بشكل واضح في الآية (4) ومن ثم وبشكل مختلف في الآية (6). ففي الآية (4) يشير بولس إلى "نور بهاء مجد المسيح الذي هو من تجليات الله". وفي الآية (6) يشير إلى "نور معرفة عظمة الله بتجليات إشراقاته على وجه المسيح". وعلى ذلك فقد أظهر بأن هناك مصدر واحد من خلال الحديث عنه بأسلوبين مختلفين. أولاً: أنه نور مجد المسيح، ولكن المسيح هو "كلمة الله"، وهو أيضاً من تجليات الله. أو، مرة ثانية، هو إشراقات الله، ولكنها متجلية على وجه المسيح". وهي أيضاً تجليات الإشراقات على وجه المسيح.

إن الإشارة "إلى وجه يسوع المسيح" (67V) هي جديرة بالملاحظة. فالله مشرق في قلوبنا ليمنحنا أنوار معرفة عظمة إشراقاته المتجلية على وجه يسوع المسيح" لتجتمع مع كلمة "تجليات" في الآية (4).

إن التألق في وجهه إنما هو انعكاس لتألق ذاته. وإذا ما أردت أن تنظر إلى إنسان لتعرفه، فأنت تنظر في وجهه بصورة رئيسية ولا تنظر إلى قامته، لأن الوجه هو مرآة الروح، والوجه إلى هذا نافذة تنفذ أنت منها إلى قلبه. إن الوجه يحمل ويعكس مشاعر السعادة والألم والحزن أو الغضب. وهناك مثلاً التعبير بابتسامة أو بتقطيب للتأكيد عن مدى انعكاس مشاعر القلب على الوجه، فالابتسام والتقطيب لا يكونان من خلال الخصر أو الركبة. إن الوجه يستحضر الشخص من خلال نقل مباشر، وإذا ما أدار أحدٌ وجهه عنا فذلك لأنه لا يريد أن نعرف من هو. وإن المسألة الحقيقية للوجه البشري ليسوع تدل على أنه كان بشراً حقيقياً، وأنه كان شخصاً ظهر في إطار حياة جسدية تاريخية زمنية حقيقية.

الوجه المستقبلي للمسيح

إن هذا الأمر مهم لأن يسوع قد تمت إقامته من بين الأموات وهو على تلك الهيئة الجسدية. إن أملنا لنكون من أتباعه في المستقبل لن يكون أملا في شبح شخص يهيم سارحاً في الجوار نفسه، إنه أمل في أن نراه وجهاً لوجه. لقد قال بولس ذلك من خلال كلمات يجب أن يستبقها هذا النص: "فَإِنَّنَا نَنْظُرُ الآنَ فِي مِرْآةٍ، فِي لُغْزٍ، لكِنْ حِينَئِذٍ وَجْهًا لِوَجْهٍ. الآنَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمَعْرِفَةِ، لكِنْ حِينَئِذٍ سَأَعْرِفُ كَمَا عُرِفْتُ." (كورنثوس 1، 13: 12). فإننا ننظر الآن في مرآة لغز. الآن أعرف بعض

المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عُرفت" وهذا يعني نحن نرى بهاء شخص حقيقي واقع ضمن فترة زمنية حقيقية تظهر من خلال كلام وأفعال وتصرفات ومشاعر تماما كما كان في صورته الجسدية على الأرض.

إن هذا ما نأمل أن نراه عندما نعود، وهذا ما عبر عنه بولس بأن هؤلاء ممن لم يؤمنوا سيخسرون. "الَّذِينَ سَيُعَاقَبُونَ بِهَلاَكٍ أَبَدِيٍّ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ وَمِنْ مَجْدِ قُوَّتِهِ،" (تسالونيكي 2، 1: 9). ولكن هؤلاء الذين آمنوا سوف **يتعجبون"** ويتباهون بوجه المسيح عند عودته (تسالونيكي 2، 1: 10). ولن ننعم بالرضا إلى أن يأتي ذاك اليوم الذي فيه نرى وننظر المسيح وجهاً لوجه. وجه حقيقي، وجه بشر. إنه الوجه المتألق مجدا بشكل لا محدود.

السبب الأعمق في كون تألق مجد المسيح من تجليات الله

في معنى ضمني لما ذكرناه منذ قليل حول مجد المسيح في كونه من تجليات الله هو أن المسيح كلمة الله. فهما مختلفان في الجوهر خالق ومخلوق. ولكن علينا أن نجعل ذلك مسلماً به الآن لملاءمته بشكل هائل لمقتضى ومعنى البشارة في الكورنثوس (2)، 4: 4 6. وإن السبب الثالث بأن بهاء ومجد المسيح هو من تجليات الله، هو أن المسيح هو ابن الله وحبيبه وهو رب أمته أي المربي أي الذي رباهم على تعاليم الله.

إن يسوع المسيح "هُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ" (العبرانيين، 1: 3). "الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا." ذلك لم يكن بهاء ومجد مخلوق عادي، إنه بهاء ومجد الله الذي اختاره من الأزل كما ألمح يوحنا إلى ذلك "في البدء، قبل خلق الكون، كان الكلمة، كلمة الله، وكان الكلمة مع الله.. وكان قائماً في ذات الله". كان بهاءه ومجده من تجليات الله لأن يسوع المسيح هو صفيّ الله وحبيبه. إنه مجد الحبيب الأوحد وهذه تخرج عن طابع العلاقة بيننا نحن البشر، إنها علاقة مقدسة علاقة الله بابنه وصفيه، فهو المختار من عند الله[7]. "فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا." (كولوسي، 2: 9. انظر: 1: 19).

إن هذا هو السبب الأكثر إحاطة في تسميته "صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ" (كولوسي، 1: 15).

---

(7) من أجل التعرف على المزيد من تصوراتي وانطباعاتي حول ذلك انظر ابتهاج الله بحبيبه" عند جون بيبر "ابتهاج الله، تأملات حول إشراقات الله لأنه الله" 25- 45 (Sister, ore: Multnomah, 2000).

وهو السبب الأكثر إحاطة بما قاله يسوع "أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ" (يوحنا، 10: 30)، ثم "اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ" (يوحنا، 14: 9) ثم "لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ" (يوحنا، 10: 38)، و"أَنَا الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، الأَوَّلُ وَالآخِرُ" (رؤيا يوحنا، 22: 13)[8]. إن مجد المسيح هو المجد الذي ينظره جميع أتباعه "مُنْتَظِرِينَ الرَّجَاءَ الْمُبَارَكَ وَظُهُورَ مَجْدِ اللهِ الْعَظِيمِ وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (تيطس، 2: 13). إن يسوع "هو مختارنا وصفينا ومربينا الأعظم". هناك بهاء ومجد ذو صلة بتجليات الله إذا بدت على المختار عرفت المرسل. إن هذا المجد والبهاء منفصل عن عملية الافتداء. ولكن ما من أحد يدرك مجد المختار الذي يدل على جلال المرسل، وما من أحد يعرف جلال المرسل الي لا يختلف عن شأن المختار.

معرفة الابن تعني معرفة الآب

إن الابن والآب هما فقط يعرفان بعضهما بشكل تام لانهما متحدان. طالما أن مصدر الاتحاد علويّ سماوي إلهي فالله هو الذي اختار ابنه لكي تشرق عليه أنوار البشارة. لذا لا يمكننا معرفة الله من خلال الابن الحبيب إلا بواسطة حظوة تُمنح لنا. إن الروح القدس تعمل على رفع شأن الابن المختار (يوحنا، 16: 14) وتمنحنا قدرة روحية نستطيع معها معرفة صفات الله (يوحنا، 3: 6 8). وبسبب هذه المقدرة الجديدة لمعرفة الله، منحنا الابن تلك الصلاحية السماوية العلوية لنكون على معرفة بالله. لذلك يقول يسوع المسيح: "كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الابْنَ إِلاَّ الآبُ، وَلاَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلاَّ الابْنُ وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ" (متّى، 11: 27). وإذا ما أراد الابن الحبيب أن يكشف لنا عن الحقيقة الإلهية، عندها سنكون في صحبة مع الله ومع ابنه الحبيب عبر عطاءات الحياة الروحية. وبهذه الصحبة نسعد وننعم بشهود الاستمتاع بإشراقات الله وبتجلياته على حبيبه المختار.

من أحب الله فقد أحب ابنه الحبيب، ومن أحب الابن الحبيب فقد أحب الله لأنه قد عرفه من خلاله، ومعرفة أحدهما تعني معرفة الآخر. "مَنِ اعْتَرَفَ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللهِ، فَاللهُ يَثْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِي اللهِ" (يوحنا (1)، 4: 15). إن الاعتراف بأنه هو حبيب الله وابنه يؤدي إلى أن يكون الله معنا في حياتنا وذواتنا مثبتاً وجوده بالنسبة لنا. "كُلُّ مَنْ يُنْكِرُ الابْنَ لَيْسَ لَهُ الآبُ أَيْضًا، وَمَنْ يَعْتَرِفُ بِالابْنِ

(8) إن ما عبر عنه ضمن هذه الكلمات في سفر [رؤيا يوحنا] 1: 8 و21: 6 بإمكان المسيح أن يقاضي الناس على الأرض لأنه خبر كل التجارب الإنسانية وهو ذا طبيعة بشرية فانية بخلاف الذات الإلهية الأبدية" جورج لاو، تعليق على سفر رؤيا يوحنا (Grand Rapids, Mich: Erdmans 1922)، 293.

فَلَهُ الآبُ أَيْضًا." (يوحنا (1)، 2: 23). "كُلُّ مَنْ تَعَدَّى وَلَمْ يَثْبُتْ فِي تَعْلِيمِ الْمَسِيحِ فَلَيْسَ لَهُ اللهُ. وَمَنْ يَثْبُتْ فِي تَعْلِيمِ الْمَسِيحِ فَهذَا لَهُ الآبُ وَالابْنُ جَمِيعًا." (يوحنا (2)، 9). ليس هناك من إمكانية أو احتمال في معرفة الله أو التقرب منه دون الإيمان بابنه الحبيب المختار، وهذا يغدو واضحاً أكثر سلباً وإيجاباً. "مَنْ لاَ يُكْرِمُ الابْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ" (يوحنا، 5: 23)، "اَلَّذِي يُبْغِضُنِي يُبْغِضُ أَبِي أَيْضًا" (يوحنا، 15: 23)، وأيضاً "لَوْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا" (يوحنا، 8: 19)، "مَنْ يَقْبَلُني يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي" (متّى، 10: 40)، "اَلَّذِي يَسْمَعُ مِنْكُمْ يَسْمَعُ مِنِّي، وَالَّذِي يُرْذِلُكُمْ يُرْذِلُنِي، وَالَّذِي يُرْذِلُنِي يُرْذِلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي" (لوقا، 10: 16).

ليست البشارة أنباء سارّة دون تعظيم الله

إن الاستدلال على ذلك من أجل فهم كورنثوس (4: 4 6) كبير. "البشارة بمجد المسيح" من تجليات الله وعطاءاته، لأن المسيح هو ابن الله وحبيبه. وإدراك الشأن العظيم الذي للمسيح في أحداث الجمعة العظيمة والفصح يكون في إدراك عظمة الله. ولتكون محباً للمسيح لعمله في حفظ البشارة فهذا يعني أن تحب الله. أنا لا أعمل على تقليص ذلك الاختلاف بين الآب و الابن و بين الله وحبيبه، بل بالأحرى أنا أناقش الخلافات. أنا أناقش بأنه ليس من المتاح بل من الضروري إدراك وتقدير الله على ضوء عظمة البشارة. وهذا ما تم التأكيد عليه في (كورنثوس 2، 4: 4، 6)، وهذا هو الهدف من هذا الكتاب، والسبب في أني عنونته بـ "الله هو البشارة".

إن البشارة هي نور وتألق مجد المسيح الذي هو كلمة الله، فهو النور الذي أضاء الله به وجه المسيح. هذا ما جعل البشارة أنباءً سارّة. وإذا لم تسطع أنوار الله في المسيح علينا في إدراكاتنا اللانهائية وفي متعتنا بالقرب من الله، فلن تكون البشارة أنباء سارّة. لقد أكد بولس قبل كل شيء في هذه الآيات بأن البشارة تمنحنا النور الإلهي للإبصار والإدراك والاستمتاع والتنعم إلى الأبد.

إنهم لا يرون الشمس في وضح النهار

دعونا لا نخفق في رؤية الشمس على مدى النهار. نحن نتحدث عن البهاء أشعة سطوع وتألق. البهاء هو التألق واللمعان الذي يفوق كل ما هو متألق وبهي. إن بهاء الله وإشراقاته هي النورانية الإلهية الجميلة، وليس من نورانية وإشراقات أعظم منها، ليس هناك في هذا الكون، ولا في مخيلة بشر أو ملاك ما هو أكثر إشراقاً وبهاء من نورانية الذات الإلهية. يقول كالفن Calvin، بلهجة تنم عن الاندهاش بما يتوافق وهذا الحال: "إنهم لا يرون الشمس في وضح النهار"[9] وهذا

(9) جون كالفن الرسالة الثامنة لبولس الرسول إلى أهل كورنثوس، ترجمة (Grand Rapids, Mich, Eerdmans,

يعني كم هو واضح بهاء الله في البشارة. هكذا انزاحت الحجب والستائر عن نوافذ أكواخنا في الجبال العالية، وأصبحت شمس الصباح تنعكس على جبل يسوع الشاهق، لتغمر الغرفة بالبهاء والتألق.

1944)، 53.

هذَا هُوَ الَّذِي أَتَى بِمَاءٍ وَدَمٍ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ. لاَ بِالْمَاءِ فَقَطْ، بَلْ بِالْمَاءِ وَالدَّمِ. وَالرُّوحُ هُوَ الَّذِي يَشْهَدُ، لأَنَّ الرُّوحَ هُوَ الْحَقُّ. فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ. وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي الأَرْضِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الرُّوحُ، وَالْمَاءُ، وَالدَّمُ. وَالثَّلاَثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ. إِنْ كُنَّا نَقْبَلُ شَهَادَةَ النَّاسِ، فَشَهَادَةُ اللهِ أَعْظَمُ، لأَنَّ هذِهِ هِيَ شَهَادَةُ اللهِ الَّتِي قَدْ شَهِدَ بِهَا عَنِ ابْنِهِ. مَنْ يُؤْمِنُ بِابْنِ اللهِ فَعِنْدَهُ الشَّهَادَةُ فِي نَفْسِهِ. مَنْ لاَ يُصَدِّقُ اللهَ، فَقَدْ جَعَلَهُ كَاذِبًا، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِالشَّهَادَةِ الَّتِي قَدْ شَهِدَ بِهَا اللهُ عَنِ ابْنِهِ. وَهذِهِ هِيَ الشَّهَادَةُ: أَنَّ اللهَ أَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَهذِهِ الْحَيَاةُ هِيَ فِي ابْنِهِ.

يوحنا (1)، 5: 6 11.

الفصل الخامس

البشارة تؤكد عبر تألقهاالشهادة الضمنية للروح القدس

إشراقات الله وعظيم شأنه وجلاله في البشارة والشهادة الضمنية للروح

إن مسألة عظمة الله في البشارة مهمة على نحوٍ كبير وبطرق من الصعب أن نميزها في بادئ الأمر. وعلى سبيل المثال، فإن عظمة الله وجلاله في البشارة تمنح الالتزام الذاتي في الإقرار والتصديق، والقوة لما ورد في البشارة، وذلك حتى بالنسبة للشخص العادي مهما بلغت بساطته. فكيف يصل الشخص إلى إيمان راسخ لا يتزعزع في رسالة المسيح؟ بالنسبة للملايين من الناس العاديين، ممن ليست لديهم وسيلة للوصول للجدل العقلاني في علم اللاهوت التأويلي، فقد كانت البشارة السبيل للتأكيدٍ على إيمانٍ راسخ لا يتزعزع بالمسيح. كيف يمكن حصول ذلك؟ ما هي الأسس التي ينبني عليها مثل ذلك الإيمان؟ أليس هو كاف في ما تم الكشف عنه في البشارة في الإقرار والتصديق الذاتي". إشراقات الله متجلية على وجه يسوع المسيح". إن التأمل ملياً في هذا السؤال بالنظر إلى المعتقد التاريخي للشهادة الضمنية **للروح القدس** سوف يلقي أكثر من ضوء على روعة وجمال الحقيقة في أن إشراقات الله ونورانياته هي التألق المطلق النهائي في البشارة.

إن الإيمان المُتَأَتي عن طريق شهادة الروح القدس ليس لاعقلانياً

إن الكشف عن سموّ إشراقات وجلال الله في البشارة هو سبب من الأسباب التي تنفي عنه لاعقلاني لااعتباطي التصديق بالبشارة بسبب الشهادة الضمنية للروح القدس. ففي بعض الأوقات نسمع بأن **الروح القدس** تجعلنا قادرين على التصديق بالبشارة، أو أن الروح تحمل شهادة على حقيقة البشارة. نحن نملك تصوراً في أذهاننا عن أن مصداقية وشرعية البشارة تعتمد على المعلومات من قبل الروح. ولكن هو ذا المقصود تاريخياً من الشهادة الضمنية للروح. بإمكاننا تلمس ذلك على ضوء تصورات كلٍّ من جون كالفن[1] وحوناثان إدواردز.

ليست الكنيسة هي من أكد الكلمة ولكنها الروح

(1) فيما سيأتي، فقد كنت أعتمد على ما كنت قد كتبته في "رفعة شأن الكلمة الإلهية" في أسطورة البهجة، (Wheaton III, Cross Way Books, 2000)، 115– 142.

عندما تأمل جون كالڤن[2] ملياً بأساس ثقتنا وإيماننا بالبشارة، فقد كان فزع من أن كنيسة الرومان الكاثوليكية جعلت سلطة **الكلمة** معتمدة على سلطة الكنيسة:

> إن الخطأ الأكثر إساءة وضرراً هو السائد على نحو واسع و يتمثل في أن الكتاب المقدس له وزنه الكبير جداً فقط عندما تأتي المرافعة من الكنيسة على ذلك، وكأنما الحقيقة الإلهية الأبدية الحصينة التي لا تنتهك تعتمد على قرار من البشر!... [3]

وكيف والحال هذه سنعلم وبكل تأكيد أن البشارة هي كلمة الله؟ كيف نكون متأكدين بما مرّ من أحداث فيها؛ ويتابع كالڤن:

> إن شهادة الروح هي أرفع مقاماً ومنزلة من جميع الأسباب. لأن الله وحده هو الشاهد الملائم على نفسه من خلال **كلمته**، لذا فإن **الكلمة** أيضاً لن تجد قبولاً في قلوب البشر قبل أن يتم ختمها بواسطة الشهادة الضمنية للروح، وعلى ذلك فإن نفس **الروح** التي تحدثت من خلال أفواه الأنبياء يجب أن تتغلغل متسللة إلى قلوبنا لتقنعنا بأنهم صرحوا بأمانة وصدق وإخلاص عن الذي كان مأموراً به من السماء... لأنه وإلى أن تضاء عقولهم، سيظلون مترددين في خضم بحر من الشكوك[4].

إن الجلال الإلهي الجليّ الواضح يسطع في الكلمة

ولكن كيف حصل هذا الاقتناع؟ هل هو الروح يخبرنا بحقيقة وواقعة جديدة وبكلمة أخرى، يهمس "هذا الكتاب هو حقيقي"؟ هل سمعنا صوتاً؟ تلك ليست هي الطريقة الذي حصل بها ذلك الأمر. إن إشراقات الله وجلاله في البشارة ليسا بحاجة إلى شهادة مثل هذا الشاهد. ولكن كيف كانت الشهادة الضمنية للروح فاعلة بالارتباط مع إشراقات وجلال الله في البشارة؟ ما هو العمل الذي قامت به الروح؟

إن الإجابة لا تكمن في أن الروح منحتنا مزيداً من الكشف لما هو في الكتاب المقدس، ولكنها أيقظنا، وكأنها يقظة من موت لنرى ونتذوق الحقيقة الإلهية لسطوع نور المسيح في البشارة (ارجع إلى كورنثوس 2، 4: 4، 6). إن هذه الرؤية تصادق على أن البشارة كلام الله. يقول كالڤن: "إن إلهنا في السماء يكشف من جلاله [في البشارة] توقيرا عُلْوِيا للكتاب المقدس متجاوزاً علم الجدل". وهذا بيت قصيد كالڤن: إن شهادة الله تعالى على البشارة هي فورية، لا تقبل الجدل، الكشف الذي

---

(2) مؤسسات جون كالفن للديانة المسيحية، المجلد 2، تحرير جون ت. ماك نيل، ترجمة فورد لويس ياتلز (فيلادلفيا مطابع دويستنسر، 1970) (I, VII, 1).

(3) Ibid، 79.

(4) Ibid، 92، (I, VII, 13).

يعطي العقل والذهن الفاعلية حول جلال الله وشأنه العظيم وإشراقاته البيّنة في الكلمة نفسها وليست من خلال كشف جديد يتناوله.

نحن ما زلنا تقريباً في قاع هذه التجربة، تجربة الشهادة الضمنية للروح. وهذه كلمات من شأنها أن تأخذنا إلى مطارح عميقة أكثر عمقاً.

وعندما غمرنا بالنور بفعل قوة الروح، وصلنا إلى الإيمان والتصديق؛ ولكن ليس بقوتنا ومقدرتنا الذاتية [لاحظ ذلك] ولا من خلال حكم أي شخص على الكتاب المقدس بأنه من عند الله؛ ولكن وفوق كل تقديرات وأحكام البشر نحن نجزم بتأكيد كليٍّ مطلق (وفقط وكأننا كنا نحدق أثر جلال الله وإشراقاته نفسها) وذلك إنما سرى إلينا من خطاب الله وكلماته عبر الإنسان.

شهادة الله هي هبة الحياة

إن هذا الأمر مربك تقريباً. فهو يقول أن جلال الله وعظمة شأنه في البشارة، لا تتوقف على أي افتراض وحكم بشري، ولا حتى على حكمه وافتراضه الشخصي. ماذا يعني بذلك؟ لقد أحسست بصراع يدور في داخلي حول هذا الأمر، حينها ألقت كلمات وعبارات الحواري يوحنا الذي كان أكثر عوناً على ما يحاول كالڤن توضيحه في هذا الصدد. هذه هي الكلمة المفتاح التي جاءت في يوحنا (1)، 5: 6 11:

هذَا هُوَ الَّذِي أَتَى بِمَاءٍ وَدَمٍ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ. لاَ بِالْمَاءِ فَقَطْ، بَلْ بِالْمَاءِ وَالدَّمِ. وَالرُّوحُ هُوَ الَّذِي يَشْهَدُ، لأَنَّ الرُّوحَ هُوَ الْحَقُّ. فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ. وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي الأَرْضِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الرُّوحُ، وَالْمَاءُ، وَالدَّمُ. وَالثَّلاَثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ. إِنْ كُنَّا نَقْبَلُ شَهَادَةَ النَّاسِ، فَشَهَادَةُ اللهِ أَعْظَمُ، لأَنَّ هذِهِ هِيَ شَهَادَةُ اللهِ الَّتِي قَدْ شَهِدَ بِهَا عَنِ ابْنِهِ. مَنْ يُؤْمِنُ بِابْنِ اللهِ فَعِنْدَهُ الشَّهَادَةُ فِي نَفْسِهِ. مَنْ لاَ يُصَدِّقُ اللهَ، فَقَدْ جَعَلَهُ كَاذِبًا، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِالشَّهَادَةِ الَّتِي قَدْ شَهِدَ بِهَا اللهُ عَنِ ابْنِهِ. وَهذِهِ هِيَ الشَّهَادَةُ: أَنَّ اللهَ أَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَهذِهِ الْحَيَاةُ هِيَ فِي ابْنِهِ.

وبعبارة أخرى "إن شهادة الله" التي هي بمثابة شهادة ضمنية للروح هي أعظم من أي شهادة للبشر، إن الله يدلنا على ذاته وحقيقة حبيبه ووليه وحقيقة البشارة من خلال منحنا انبثاق الحياة من الموت، وهكذا نصبح أحياء مدركين حقيقة ذاته وجلال وعظمة شأنه من خلال البشارة. وفي هذه اللحظة لن نكون بحاجة إلى الخروج بقناعة تأتي من استدلال منطقي عقلاني: بالأحرى ندرك بأننا واعون يقظون، وأنه ليس هناك افتراض وحكم بشري يمكن أن نركن إليه. وعندما تم إيقاظ أليعازر

عندما كان في القبر بنداء المسيح، أدرك من دون محاكاة منطقية بأنه أصبح حياً، وأن هذا النداء أيقظه.

وعندما كان كالڤن يسأل: "كيف يمكاننا التأكد من أن [البشارة] قد انبثقت من الله إلا إذا لجأنا إلى قرار تصدره الكنيسة؟" ثم يجيب بحيرة: "إن ذاك شبيه بمن يسأل أحدهم: من أي مصدر ووجهة سوف نتعلم بأن نميز بين النور والظلمة، الأبيض من الأسود، الحلو من المر؟ وفي الواقع؛ إن الكتاب المقدس عرض دلائل وبراهين هي من الوضوح في حقيقتها كوضوح اللون الأبيض من اللون الأسود، والحلو من المرّ من الأشياء"[5].

تعظيم وإعلاء الله من شأن البشارة هو توثيق بحدّ ذاته

لذا، فإن التصديق الضمني للروح القدس التي تعمل على إقناعنا بأن البشارة حقيقية، لا يمثل إضافة جديدة على البشارة، هي على الأصح نفسها كما عرف عنها بولس في كورنثوس (2)، 4: 6 "لأَنَّ اللهَ الَّذِي قَالَ:«أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ»، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ." وبعبارة أخرى، فنحن وبواسطة الروح تمكّنا من إدراك ما هو موجود فعلاً في البشارة. هناك نور حقيقي وتألق وإشراق حقيقي، وهو وبشكل بيّن علويّ ومصداقيته نابعة منه. وهذا ما عبر عنه ج. آي. بيكر.

يؤكد كالڤن على أن المصداقية الذاتية للكتاب المقدس تأتي من خلال التصديق الضمني للروح القدس. وما هي تلك "الشهادة الضمنية"؟ هي ليست بتجربة ذات صفة خاصة، ولا هي بالرؤيا والكشف الخاص، ولا "بالقرار" "التجريبي"، ولكنه عمل تنويري إشراقي وفقاً له، ومن خلال وسيلة التصديق الشفهي، فإن البصيرة هي الروح الكفيفة العمياء تنفتح وتنجلي فتغدو فاعلة. ويقول كالڤن أن هذه المعرفة فورية وغير قابلة للتحليل، كإدراك الألوان، أو التذوق، بواسطة الحواس[6].

لذا، فإن معتقد التصديق الضمني للروح مبني على الحق؛ لأن البشارة هي كشف لمجد المسيح الذي هو من تجليات الله. وإذا ما قللنا من شأن جلال الله كأعظم فضيلة في الأنباء السارّة، فإننا نكون قد جرّدنا البشارة من كل الأسس الهامة والتي تقود للإيمان المنقذ. هذا يصبح أكثر وضوحاً عندما نتأمل ملياً الطريقة التي حاول من خلالها جوناثان إدوارد وبجهد كبير الإجابة عن السؤال حول

---

(5) جز آي. بيكر "كالفن عالم اللاهوت" حول جون كالفن: مجموعة من المقالات (Grand Rapids, Mich, Eerdman, 1966)، 166.

(6) جوناثان إدواردز "المشاعر الدينية في أعمال جوناثان إدواردز، المحرر جون إي. سميث، المجلد 2. (New Haven, Conn, Yale University Press, 1959)، 295.

كيف بإمكان الناس العاديين منهم، الناس غير المتعلمين على وجه الخصوص، مثل الهنود على حدود إنكلترا الجديدة، كيف يمكن لهؤلاء أن يكون لديهم إيمان راسخ لا يتزعزع ومن أجله يعانون من العذاب الأليم.

إن أساس إيماننا يجب أن يكون عقلانياً منطقياً

يشارك جوناثان إدوارد قناعات كالڤن حول أسس إيماننا بالبشارة. إنه جلال الله المرئي والمدرك ببصيرة القلوب لتصديق وتعظيم ذاتي. ولكن إدواردز يوجه وبدقة ملاحظة مختلفة. فهو يؤكد على أن الاقتناع بحقيقة البشارة يجب أن يكون عقلانيا وروحانيا معاً. وإن عظمة الله المتجلية في البشارة هي المفتاح لكليهما.

يقول إدواردز بأن الشخص وحتى عندما يكون لديه عواطف وميول دينية قوية تنشأ من الاقتناع بحقيقة البشارة، فإن هذه العواطف والميول هي عديمة القيمة إلى أن تصبح قناعاته قناعات عقلانية أو إيمان راسخ. ماذا قصد بكلمة "عقلاني".

> من خلال قناعة عقلانية، أعني قناعة تأسست على دلائل حقيقية أو على ما هو إدراك جيد، أو على أساس إيمان راسخ؛ من الممكن أن يكون لدى الأشخاص عندئذ قناعة قوية بأن الدين المسيحي هو حقيقي موثوق عندما تكون قناعاتهم ليست مبنية أبداً على دلائل، ولكن وبصورة كلية على الثقافة والتعلم، ثم على وجهات نظر ورأي الآخرين، كما العديد من المسلمين الذين هم مقتنعون بشكل قوي بحقيقة بالدين المحمدي، لأن أباهم وجيرانهم ومجموعة كبيرة من الناس تؤمن به. وإن هذا الإيمان بحقيقة الدين المسيحي، والمبني على أسس هذا الإيمان لدي المسلمين بالدين المحمدي. وعلى الرغم من أن إيمان الشخص ليبدو أفضل، ولكن ذلك لا يجعل هذا النمط من الإيمان نفسه يبدو أفضل، فعلى الرغم من أن ما يؤمن به يحصل ويكون حقيقياً وصادقاً، إلا أن إيمانه بذلك ربما لا يمت بصلة إلى هذه الحقيقة، ولكن يكون جرّاء الثقافة والتعلم. لذا، وطالما أن القناعة ليست بأفضل من قناعة المسلمين، فإن العواطف والميول التي تتدفق هنا ليست أفضل في حدّ ذاتها من العواطف والميول الدينية لدى المسلمين[7].

إن أحد اهتماماتي عند كتابة هذا الكتاب هو أن الإيمان المعلن بالمسيح لدى العديد من الناس يتكون لديهم بهذه الطريقة. إنه ليس الإيمان المؤسس على مجد المسيح نفسه بل على التقليد أو التعلم والثقافة أو على آراء أناس آخرين. فإذا كان الأمر على هذا الحال، فإن الإيمان ليس بالإيمان المخلص. إن الإيمان المخلص بالمسيح هو مبين، وكما يقول إدواردز على "دلائل حقيقية

(7) إدواردز، المشاعر الدينية، 295.

إن الأساس العقلاني للإيمان يجب أن يكون روحياً

ولكن ما هو ذلك "الدافع الجيد" أو "الأساس الراسخ" الذي عليه يجب أن ينبني الإيمان؟ إن الإجابة عن هذا السؤال يحدد ويعرّف ما عناه إدواردز من خلال قوله أن القناعة الحقيقية يجب أن تكون "روحية". لأن الإيمان وثماره يجب أن تكون حقاً "مرضية ومقبولة" أي مخلّصة. يقول إدواردز "ليس المطلوب فقط أن يكون الإيمان عقلانيا فقط ولكن يجب أيضاً أن ينبعث من مصدر روحي ذلك يعني أن الروح تمكّن من رؤية عظمة الله في البشارة.

إن القناعة بحقيقة الأمور العظيمة في البشارة، هي مثل تلك القناعة التي تنشأ من امتلاك نظرة روحية أو إدراك لتلك الأمور في الذهن. وهذه أيضاً دليل من الكتاب المقدس على أن الأمور المقدمة والمعروضة علينا في البشارة هي من روح الله التي تنير الذهن والعقل[8].

ولدعم ذلك، يستشهد إدواردز بالنص الذي أخذناه بعين الاعتبار في الفصل السابق، كورنثوس (2)، 4: 4 6 وعلى وجه الخصوص الآية 6 ("أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ."). ومن ثم علّق على ذلك بالقول: "ليس هناك من دليل أقوى على أن الاعتقاد بالبشارة المخلصة قد تم الحديث عنه هنا، من قبل الحواري، على أنه الاعتقاد الناشئ في الذهن المستنير كي يستوعب العظمة الإلهية في الأمور التي تقدمها"[9].

إن عظمة الله وجلاله هو ما تقصد أحداث ووعود البشارة إظهاره

إن كلاً من كالڤن وجوناثان إدواردز يؤكدان على أن الإيمان المخلّص في البشارة يجب أن يكون مبنياً على رؤية روحية ممكنة لإشراقات الله وأنواره المتجلية على وجه المسيح وإني أعتقد بأنهما يحاولان توضيح ما تلقنه كورنثوس (2)، 4: 4 6 والنصوص الأخرى كثيرة العدد[10] التي تعلم. وهو ما يؤكد أن وجه المسيح الذي يغمره النور إنما هو انعكاس لتجليات إشراقات الله. وهذا هو شأن البشارة الجوهري فهو ليس بالشأن الهامشي أو غير المهم. وقد أطلق بولس على البشارة "البشارة بنور ومجد المسيح". وهذا النور تم من أجله تصميم الأحداث في البشارة لتكشف عنه. فإذا ما بلغ شخص البشارة وأدرك أحداث الجمعة العظيمة والفصح وآمن بحصول تلك الأحداث وبأنه

---

(8) Ibid، 296.

(9) Ibid، 298.

(10) على سبيل المثال، إدواردز لوقا 10: 21- 22، يوحنا 6: 40، 17: 6- 8. متى 16: 16- 17، غلاطيه 1: 14- 16، Ibid، 297.

يمكن لتلك الأحداث إشاعة طمأنينة في الذهن، غير أنه لم يدرك ويقدر أيا من تلك الإشراقات الإلهية، فإن هذا الشخص لم يصل إلى الإيمان الاستثنائي.

إن إدراك إشراقات وعظمة الله بتجلياتها على المسيح في البشارة هو شأن جوهري للوصول إلى التحول. وقد شدد إدواردز وبكل ما أوتي من قدرة على تلك النتيجة التي وصل إليها من خلال كفاحه في إطار التحولات الكاذبة في الواقع الرعوي المؤلم. إن المسيحي المعتنق للمسيحية بإمكانه امتلاك العبارات السليمة، إلا أنه ليس لديه الثمار الروحية. أين يكمن الخطأ في ذلك؟ إن التحول غير الطبيعي من الظلمة إلى النور لم يتم حصوله. إن الآثار المضللة لخطيئة الشيطان لم تهجره بعد ولم ترفع عنه. وإن البصيرة ما زالت غير قادرة على رؤية وتقدير تجليات إشراقات الله على المسيح.

عندما يتحول الأشخاص، فإنهم، كما لو تم استدعاؤهم للانتقال من منطقة إلى أخرى خارج منطقة الظلام إلى أرض النور.. وعند التحول فهم إنما يستدعون لإدراك مدركات روحية، وهي أشياء كانوا يسمعون عنها فقط من خلال آذانهم، والآن هم يستدعون إلى التبصر: التبصر بالله، والتبصر بالمسيح، والتبصر بالخطيئة، والتبصر بالقدسية والطهارة، وبطرق الخلاص، والتبصر بالعالم الروحي غير المرئي، والتبصر بالسعادة والبهجة بالله ونعمه ثم التبصر بغضبه الرهيب المخيف... والآن هم مقتنعون بوجود الله، من خلال ممارسات مختلفة لم يخبروها أبداً من قبل، وليس بواسطة استدلالات منطقية يمكنهم الاستدلال بها على أمور كتلك، ولكنهم وصلوا إلى قناعة بأن هذه الأمور هي بما هي عليه، لأنهم رأوا وأدركوا حقيقة تلك الأمور وما هي عليه فعلاً.

انه من المهم أن نفكر بالبشارة في إطار الكشف عن إشراقات الله التي خصها لتكون المصدر الأساسي الذي يكشف عن أنوار الله جيلاً بعد جيل وزمناً إثر زمن. وهكذا يقول جوناثان: "والآن إن هذا النور المهيب المحير للذات الإلهية له مصدره الأكثر إشراقاً وتجلياً، وذلك في الأمور المطروحة والمعروضة علينا في البشارة. وفي العقيدة والمبادئ الملقنة، والكلمات والعبارات التي مثلت هناك، والنصائح الإلهية الموحى بها، والوقائع والأعمال التي كشف عنها هناك".

إن أهمية إدراك مجد المسيح وتألقه في البشارة سوف يغدو أشد وضوحاً وأكثر ضرورة وإلحاحاً إذا ما تأملنا مدى تأثير هذه الحقيقة على المهمات والبعثات التبشيرية، والخدمات والواجبات المختلفة للكنيسة وذلك في محاولتها تغيير السلوك الإنساني. هذا ما يدور حوله الفصل القادم.

أَنَا الآنَ أُرْسِلُكَ إِلَيْهِمْ، لِتَفْتَحَ عُيُونَهُمْ كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ، وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللهِ، حَتَّى يَنَالُوا بِالإِيمَانِ بِي غُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيبًا مَعَ الْمُقَدَّسِينَ.

أعمال الرسل 26: 17 18.

وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا في مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ..

كورنثوس 2، 3: 18.

الفصل السادس

البشارة مجد وتألق المسيح
في المهمات التبشيرية والتقديس

إن البشارة هي كشف عن مجد وتألق المسيح الذي هو كلمة الله. وهي عرض وإبراز التصديق والإقرار الذاتي بصحة نور معرفة عظمة الله وإشراقاته المتجلية على وجه المسيح. إن الشيء الأكثر جودة في البشارة هو منح استمرارية وتقدير تجليات الله على المسيح دون نهاية. إن هذا الأمر مهم بشكل هائل، وذلك إذا ما أردنا استخدام البشارة في الإنجيل للتبشير بالإنجيل، في الإرساليات التبشيرية وفي الخدمات الدينية بغرض الهداية، ولدى الكنيسة في خدماتها، ولتكريس القديسين. إن قداسة الطائفة المسيحية وتحوّل الناس الفاسدين الضالين تتعلق بقوة، بمسألة الإدراك والتذوق والاستمتاع بإشراقات الله في البشارة.

يحمل إدواردز عبء جهل الذين لم يؤمنوا

قليل هم أصحاب الفكر والرأي الذين سبقوا فكر جوناثان إدواردز في آرائه حول القدرة الذهنية والقدرة على الإبداع والتبصر والبصيرة والإدراك الواسع. ولكن إدواردز يحمل عبئاً هائلاً تجاه الناس العاديين في إنكلترا الجديدة وتجاه الهنود على التخوم وتجاه الماهوفنتيز عبر البحار. وهو يشير إلى أن هذه الجماعات، وبكل بساطة، لن تصل إلى الإيمان الراسخ الحقيقي بالبشارة (الإيمان الذي تمّ توصيفه في الفصل السابق) وذلك إن لم يكن باستطاعتهم الوصول من خلال الإدراك الروحي المتأتي عن التصديق الذاتي للإشراق الإلهي المتمثل في روح البشارة.

ويمكن للناس الوصول إلى قناعة عقلانية منطقية راسخة ومتينة، وإيمان راسخ بحقيقة البشارة، بواسطة دلائلها الضمنية، من خلال الطريقة والأسلوب المتبع في قول ما قيل viz. ومن المستحيل على هؤلاء الذين يجهلون علم التاريخ أو الذين لا يعلمون حتميته أن يكون لديهم قناعة أبدية راسخة وفعّالة حول ذلك[1].

ويشدد إدواردز على مسائل أبعد من ذلك اعتبارا لقلة عدد الأشخاص الذين يصلون إلى الإيمان من خلال نقاشات أكاديمية علمية حول فعالية الإنجيل التاريخية.

---

(1) جوناثان إدواردز "المشاعر الدينية، في أعمال جوناثان إدواردز، المحرر جون إي. سميث، مجلد 2، (New Haven, Conn: Yale University Press, 1959)، 303.

لكن البشارة لم يتم منحها للناس المتعلمين فقط. هناك تسعة عشر من بين عشرين شخصاً، إذا لم تكن النسبة 99%، من هؤلاء الذين كتب لهم الكتاب المقدس، وهؤلاء لا يملكون القدرة على الاقتناع الأكيد والفاعل للسلطة الإلهية في الكتاب المقدس من خلال أسلوب النقاشات والجدل المنطقي الذي يستخدمه أناس متعلمون[2].

وكم هم أشد سوءاً هؤلاء الذين "نشأوا على الوثنية "وليست لديهم معرفة بتاريخ العالم، ناهيك عن عدم معرفتهم بالإنجيل. وإذا ما اعتقدنا بأنه على الاقتناع واليقين الروحي انتظار الجدل التاريخي، فإن ذلك "سوف يؤدي إلى جعل انتشار البشارة بينهم، صعباً وبشكل غير محدود"[3].

إن نمط الإيمان الذي يدوم على الرغم من المعاناة غير مبني على مبدأ الاحتمالات

حتى لو أحس الناس باحتمال قوي وثابت بأن البشارة هي حقيقية على أساس استدلال تاريخي، فهذا لن يفي بغرض دعم الشخص إذا ما تعرض إلى معاناة وتعذيب. فعبر القرون، وجد الكثير من القديسين الذين تعرضوا للتعذيب، بمن فيهم النساء والأطفال الذين هم على درجة من العلم ضئيلة أو ممن لا يملكون علماً أبداً، والذين عاشوا في زمن الظلمة الروحية الحالكة. ومع ذلك كم هي رائعة ومدهشة تلك القصص التي تروي كيف جادوا بأنفسهم مستسلمين للموت. ومن وحي مشهد آلاف القديسين الذين لم يكن العالم بالنسبة اليهم جديراً وقيماً، يسجل إدواردز ملاحظاته كالتالي.

لأن تمتلك قناعة، واضحة ونقية، ماثلة للعيان، ومؤكدة كي تكون كافية، لكي تقنعهم، وتسلم بمصداقية كل شيء بشجاعة ورباطة جأش، وكي تعيش تجربة المغامرة بفقدان وضياع كل شيء بثقة ودون خوف ولا وجل، ومتحملاً معظم أنواع التعذيب الطويلة والمستمرة، وتدوس العالم بقدميك، وتقيم حساباً لكل شيء[4].

وعلى ذلك، فإنه من الأهمية بما كان بالنسبة للتبشير بالإنجيل وبالإرساليات الدينية أن ندرك أن الإيمان الحقيقي الاستثنائي هو الإيمان المبني على المشاهدة الروحية لإشراقات الذات الإلهية في البشارة. هذا سيكون له وقع هائل على الطريقة التي ننظر من خلالها إلى الإرساليات الدينية وإلى عملية التبشير بالإنجيل. إن الأساسي هو أن نكون متأكدين بأن المبشرين وأصحاب الإرساليات الدينية هم أشخاص روحانيون يدركون ويتذوقون تجليات إشراقات الله على وجه المسيح.

القصة القديمة والصلاة من أجل الروح القدس

---

(2) Ibid، 304.

(3) Ibid

(4) Ibid، 303.

طبعاً. إن هذا لا يعني بأننا لن نقوم برواية القصة القديمة. فنحن سنقوم بروايتها دائماً وبطريقة صحيحة. إن محور البشارة هو رواية الأحداث المتعلقة بموت المسيح وقيامته. وهي أخبار! ومن ثم فإن هناك تفسيرا وتوضيحا حول النتيجة الحاصلة من وراء الموت والقيامة من مغفرة الخطايا والأمل في حياة أبدية. وهناك غاية من وراء ذلك كله، وصلوات من خلالها سوف يسطع نور المسيح؛ لأنه يمثل النور الذي يجب أن يدرك وذلك كي يكون للإيمان بتلك القاعدة الراسخة والاستثنائية. إن عمل الروح القدس في إعطاء الحياة وجلاء البصيرة وإزالة العمى والضلال إنما هو عمل كاشف لذلك النور. وإن الروح والكلمة كلاهما أساسيان. وقصة المسيح يجب أن تتم روايتها، ويجب أن تنتصر. وسوف ندرك في ما يلي لم لا يقوم الروح القدس بهذا العمل الاستثنائي وحده دون الدعوة والعظة بالبشارة.

رؤية مجد المسيح في البشارة من أجل أن تصبح تقياً

إن البشارة هي أساسية ليس فقط للتحول ولكن لاستمرارية هذا التحول لدى المؤمنين. إن فهم الغاية التي لا تقبل الجدل في البشارة بما يخص الكشف عن تألق ومجد المسيح هي مفتاح الإنجيل على الطريق إلى القداسة المسيحية. وهذا جاء واضحاً في سياق (كورنثوس 2، 4: 4 6)، والتي كانت أساسية لجميع تأملاتنا في هذا الكتاب. وقد بنى بولس على ضوء أربع آيات سابقة تعاليمه حول التشبه بالمسيح، وهي مبنية على القناعة التي كشفت عنها البشارة "تألق المسيح إنما هو من تجليات الله" (4: 4).

يقول في الآية 3: 18 " وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ.". وهنا يمكن ملاحظة ثلاث مسائل.

1 الطريق إلى التشبه بالمسيح هو "إدراك إشراقات الله". والإدراك هو شهود تلك الحال. ونحن يتم تحولنا "لحضور وشهود تجليات تلك الحالة" للذات الإلهية من خلال تركيز انتباهنا على تجليات إشراقاته، وعلى ضوء ما كنا قد رأيناه في كورنثوس (2) 4: 4 6، فليس هناك شك كيف "ندرك إشراقات الله" وندرك ذات الله والمسيح كلمته (4: 4). أو بإمكاننا القول بأن إشراقات الله تجلت على وجه المسيح (4: 6) وإن الطريقة التي من خلالها "ندرك إشراقات الله" هي من خلال "البشارة بتألق ومجد المسيح". نحن لا نصلي من أجل أن نذهب في غيبوبة ولكننا نصلي من أجل أن نحظى بحالة تأملية تجعلنا نحيط برسالة صلب وقيامة المسيح.

ولكن كيف يمكن حصول هذا التحول على مثال المسيح؟

يقول بولس في نهاية الآية (18): "كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ" وهذا يعبر عنه ويتم توصيفه بعبارات مختلفة؛ مما قد عرفناه آنفاً في كورنثوس (2) 4: 6. إن الله "هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ." هي تلك الطريقة التي يعمل من خلالها الروح القدس لإحداث التغيير داخلنا بصورة مستمرة، فهو لا يعمل على تغييرنا بصورة مباشرة؛ ولكن يعمل على تغييرنا من خلال جعلنا قادرين على إدراك تألق ومجد المسيح.

الروح تحلق لإعلاء شأن البشارة بالمسيح

إن هذا أمر عظيم الشأن لنفهمه، فهو يبين **علو شأن المسيح** من خلال **الروح القدس**. فالروح القدس لن يقوم بعمله التقديسي من خلال استخدامه مباشرة للقدرة الممنوحة له من الإرادة الإلهية، وهو يفعل ذلك فقط ليكون تألقا ومجدا للمسيح الذي يمثل السبب المباشر للتقديس. وهي الطريقة التي يتبعها في عملية التبشير بالإنجيل وفي التقديس.

يفتح الروح القدس من خلال التبشير بالإنجيل بصائر الخاطئين لإبصار تألق ومجد المسيح الذي بلّغ تعاليمه بكل صدق وإخلاص في البشارة. إن الروح القدس لا يعمل عمله بعيداً عن البشارة لأن عمله هو فتح بصيرتنا لرؤية ما يعرضه المسيح في البشارة، وإلى أن يتم التبشير والوعظ بالبشارة لن يكون هناك مسيح ليتم إبصاره، وبالإمكان القول، إن الروح القدس يحلق بأبهى شكل وراء انبثاق رسالة تبجيل المسيح. ويعمل الروح عمله المعجز ببصيرة قلب متفتح لجعل المسيح يُرى ويقدر وكأنه حاضر يلقي تعاليمه بالبشارة[5]. لقد تم إرسال الروح كي تجعل حبيب الله متألقاً مشرقاً (يوحنا 16: 14)، ولن تبقي أحداً بعيداً عن لفت انتباهه إلى تألق وإشراق الوليّ الحبيب في البشارة.

لذا، ومن خلال التقديس، نتحول لندخل في عالم المسيح وصورته وهذا هو ما يعنيه التقديس، من خلال الثبات والرسوخ في رؤية وتقدير تألق ومجد المسيح. وهذا أيضاً منحة من عند الله الذي هو مصدر الإدراك الروحي والذي أرسل الروح القدس من أجل ذلك والذي يتجلى في جعل نور الحقيقة ساطعاً حول تألق ومجد المسيح، علّنا بذلك نرى ما هو حقيقي، وبالتحديد، نرى ما هو نفيس

(5) انظر أعمال الرسل 16: 14 "وكان بين النسوة المصغيات امرأة من غير اليهود اسمها ليديا من مدينة تياتيرا، وهي امرأة تخاف الله وتعمل في تجارة القماش الغالي الثمن ذي اللون الأرجواني، ففتح الله عليها وجعلها تقبل على كلام بولس" إنه عمل "الرب الروح" (كونثوس (2)، 3: 18) يثبت بإحكام الانتباه على ما كان يسوع المسيح قد ألقي من تعاليم.

وذو قيمة كبيرة بشكل مطلق. إن عمل الروح القدس في تغييرنا لا يكون بالعمل على تغيير عاداتنا وسلوكنا السيئ بشكل مباشر، لكن من خلال جعلنا نعجب بيسوع المسيح كثيراً إلى درجة أن الشعور بأي سلوك سيئ وخاطئ سيكون غريبا وممقوتا ومستهجنا. وان غرضي هنا ليس تفنيد ذلك بالتفصيل[6]، وانما الإشارة إليه، وبذلك تؤدي البشارة دورها بشكل قاطع من خلال الكشف عن مجد وتألق المسيح الذي هو كلمة الله. وعلى ذلك، فانه إذا ما أهملنا إشراقات الله المتجلية على المسيح كأعظم منحة في البشارة، فنحن نعطل ونضعف عملية التقديس التي تؤديها الكنيسة.

نحن نستغرق فيما نعجب به

2 إن ديناميكية وفاعلية التحول الشخصي في كورنثوس (2) 3: 18 تفترض أنّ تغيرنا يكون تبعاً لما نعجب به ونركز اهتمامنا عليه "بإدراكنا إشراقات الله، [نحن] نكون قد تحولنا لنعيش ذلك الشهود". نحن نعلم اذن، أن هذه الحالة تتأتّى من التجربة، لإنّ التأمل الطويل المقترن بالإعجاب يحدث تغيراً. فمثلاً من أبطالك تنتقي وتسترجع سلوكيات وعبارات ونبرة صوت وتعابير وجه وعادات وتصرفات وقناعات ومعتقدات. وكلما كان البطل محل تقدير وإعجاب أكبر لديك، كلما ازدادت شدّة إعجابك به. وبالتالي، سوف يكون تحولك أكثر عمقاً. وإذا كان الشخص هو يسوع، فإنه سيكون محل إعجاب بشكل لا محدود، وسيتنامى إعجابنا به ليصل إلى درجة التبجيل والاحترام الخالص. وعلى ذلك فنحن عندما ندركه ونفهمه كما يجب، فإن التغيير سيكون في العمق.

بالطبع، هناك المزيد لأن الانعكاسات في المحاكاة والتقليد لا تدل على كيفية التغيّر في كل شيء. إن قسماً مما نلتقطه من خلال رؤيتنا ليسوع في البشارة سيتمثل في كيفية نظرتنا للعالم ككل. وإن نظرتنا للعالم ككل ستُخبْر وتعكس قيمنا، وتشكل بعمق مفاهيمنا وأحكامنا التي نكوّنها. وقسمٌ آخر مما يستحوذ على تفكيرنا هو الثقة العظمى باسترشادات ومشورات يسوع ووعوده. وهذا له أثره الفعال الخاص على مخاوفنا ورغباتنا واختياراتنا. وقسم إضافي آخر هو مما نتمتع به بسبب إدراكنا لتألق ومجد المسيح: متعة أكبر في صحبته، وتوقٌ أعمق لرؤيته في السماء. وهذا له أثره

(6) لقد ضمنت "الذوق" مع "الرؤية" على الرغم من أن الرؤية فقط "النظر" تم ذكره فيما جاء في كورنثوس (2)، 3: 18، لأنه ليس من الممكن أن تكون الرؤية غير هامة أو أنها تثير الاستياء. وذلك لسببين: 1- إنها ليست من نوع الرؤية التي تحدثها الروح القدس، ولكنها فقط تلك الرؤية التي نمتلكها للمسيح قبل فعل الروح القدس، ولكن هنا فإن الروح هي التي تحدث الرؤية. 2- إن الرؤية البعيدة عن التذوق لا تغيرنا لنصبح على صورة المسيح، ولأنه لا يمكن أن يتأتى عن تذوق المسيح عكس مثال المسيح فلن نصبح مثل أولئك الناس الذين لا نكن لهم أي إعجاب.

المحرر من أسر إغواءات وإغراءات هذه الدنيا. وبالتالي فإن كل ذلك له أسلوبه الغريب المتميز باتجاه تغييرنا لنكون أشبه ما نكون بالمسيح. وعلى ذلك فإنه علينا ألا نظن بأن السير في إثر التشبه بالمسيح ليس له من مقومات سوى النظر فقط إلى المسيح لإن النظر إلى المسيح يحدث قداسة على مسار مختلف الدروب.

نحن نتغير على مراحل

3 إن التحول الناتج عن إدراك تألق المسيح و مجده يحدث بشكل تدريجي فالحديث حول التحول بالنسبة إلى "المجد" يظهر بأن التمجيد المسيحي يبدأ بالتحول، ليس عند الموت أو القيامة. ويرى بولس أن التقديس هو أول مراحل التمجيد(7).

وعلى ذلك يجب علينا الاعتقاد بالحياة المسيحية على أنها تتوافق أكثر فأكثر مع شخص المسيح الممجد. وإن أول معاني التوافق وأساسها هو التوافق الروحي والأخلاقي. فنحن ننظر إلى المسيح الجميل بشكل لا محدود بكماله الروحي والأخلاقي باعتباره الكنز الأعظم في هذا العالم. فننظر إليه بهذه الطريقة ونكون مفعمين بالسرور والبهجة لعثورنا على نبع السعادة وصندوق كنز الابتهاج والسرور المقدس.

وعندما نفهمه ونعيه نصل إلى مرحلة أن نشارك أكثر فأكثر في إدراكات المسيح الروحية للذات الإلهية وللكون. ونكون على مقربة أكثر فأكثر لنرى وندرك عظمة الله كما يراها ويدركها المسيح، وندرك إشراقات الله وتجلياته على المسيح فتغمرقلوبنا مشاعر المحبة.

وعندما ندرك تألق المسيح من خلال البشارة ونقدر نقاءه وطهارته، نصل إلى مرحلة ندرك فيها أن الخطيئة "الإثم شيء مثير للاشمئزاز وكم هو الخلاص رائع، ثم لا نعود لرؤية الأشخاص كما يقول بولس "حسب الجسد" (كورنثوس (2)، 50: 16) ولكن ننظر إليهم نظرة محبة "تَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ." (كورنثوس (1)، 13: 7). نحن لا نفقد الأمل من أحد؛ لأنه وعلى الرغم من الانحراف البشري فإنّ "عِنْدَ اللهِ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ" (متى 19: 26). ولن نرى الحضارة والثقافة فقط بعين الإغواء والإحباط، ولكن سنراها بعين الأمل والتفاؤل. إن المسيح النابض بالحياة سوف يطالب بهذا العالم لنفسه. وإن أرواحنا تم

(7) لقد حاولت توضيح الصراع توضيحاً تاماً من أجل التحول والابتهاج في كتابي "عندما أشتاق إلى الله" (Wheaton, III: Cross Way Books, 2004). انظر بشكل خاص الفصل تحت عنوان "الصراع من أجل الفرح هو صراع للرؤية".

إيقاظها وجعلها مفعمة بالحياة من خلال استيعاب تألق المسيح ومجده.

من درجة إلى أخرى سنحب كما يحب المسيح

عندما يتغير تبصرنا تجاه كل الأشياء من خلال إبقاء المسيح حاضراً في تأملاتنا الثابتة فإن توافقنا مع المسيح وتماثلنا يصبح أمراً عملياً إلى درجة كبيرة. فسلوكياتنا تتغير "وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ" يقول يسوع "أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ"(يوحنا 13: 34 35). وعندما ندرك تألق السيد المسيح من خلال البشارة، يصبح تألق كماله الأخلاقي وبطريقة متزايدة منتهى هدفنا ورغباتنا وتجربتنا ومعايشتنا، وعلى وجه الخصوص تألق محبته لأعدائه: " فَكَمَا قَبِلْتُمُ الْمَسِيحَ يَسُوعَ الرَّبَّ اسْلُكُوا فِيهِ، مُتَأَصِّلِينَ وَمَبْنِيِّينَ فِيهِ، وَمُوَطَّدِينَ فِي الإِيمَانِ، كَمَا عُلِّمْتُمْ، مُتَفَاضِلِينَ فِيهِ بِالشُّكْرِ" (كولوسي 2: 8) "فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً عندما وضع نفسه وأطاع الله حتى الموت موت الصليب" (فيليبي 2: 5، 8). وعندما نركز اهتمامنا ومشاعرنا وعواطفنا على مجد محبة المسيح تغمر المحبة قلوبنا وحياتنا شيئاً فشيئاً وأكثر فأكثر.

من مجد إلى مجد داخلي

إن هذا التحول بشكل تدريجي من مجد إلى مجد هو ليس مادياً حسيّاً بالنسبة الينا في هذا العصر، ولو أن الله تعالى يمنّ على عباده بالعافية والشفاء من أمراضهم من وقت لآخر في هذه الحياة، ويجعلهم يعيشون حالات تمثل دلائل تألق ومجدٍ مادي محسوس آتٍ لابد[8]، إنها تجربة جميع المسيحيين في هذه الحياة مع التقدم بالعمر والوهن وتدهور الصحة ثم الموت. وكان بولس شديد الوضوح في بيانه أن ذلك إنما هو جزء من التجربة المسيحية الإلهية ولأننا في انتظار.. مجيء تحرير خلاص أجسادنا، "لَيْسَ هكَذَا فَقَطْ، بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ، نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضًا نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا، مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا." (رومية، 8: 23). إلا أن بولس يتوق للإشارة بأن هذا التلاشي الخارجي هو متزامن مع التجدد المتأتّي من التألق من مجد إلى مجد ومن بهاء إلى بهاء وذلك عندما نطيل التأمل مركزين على تألق المسيح ومجده. وهذا المعنى يأتي بشكل مثير لمشاعر

(8) على سبيل المثال، وإلى جانب كتابي "عندما أشتاق إلى الله" (انظر الحاشية 7) الذي يشدد على رؤية المسيح، أود ذكر كتابي "قوة التطهر للحياة في ظل الإيمان بالرحمة الآتية" (Sister, ore: Multnomah, 1995)، الذي يشدد على الثقة بالوعود الإلهية كطريقة أساسية لتأتي تصرفاتنا وسلوكنا متوافقاً مع المسيح. هذه الوعود تمثل جزءاً من عملية الكشف عن مجد المسيح، ومجد المسيح هو جزء من السبب وراء قبولنا الوعود بثقة كبيرة.

الألم والإحساس بالجمال في كورنثوس 2، 4: 16 18.

لِذلِكَ لاَ نَفْشَلُ، بَلْ وَإِنْ كَانَ إِنْسَانُنَا الْخَارِجُ يَفْنَى، فَالدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْمًا فَيَوْمًا. لأَنَّ خِفَّةَ ضِيقَتِنَا الْوَقْتِيَّةَ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلَ مَجْدٍ أَبَدِيٍّ. وَنَحْنُ غَيْرُ نَاظِرِينَ إِلَى الأَشْيَاءِ الَّتِي تُرَى، بَلْ إِلَى الَّتِي لاَ تُرَى. لأَنَّ الَّتِي تُرَى وَقْتِيَّةٌ، وَأَمَّا الَّتِي لاَ تُرَى فَأَبَدِيَّةٌ.

إن الأمور والمسائل المتماثلة بين هذا النص وكورنثوس (2) 3: 18 هي إرشادية، فكوننا "نتجدد يوماً بعد يوم" هو جزء من كوننا "نتحول.. من درجة إلى درجة.. مرحلة تألق ومجد إلى مرحلة مجد أخرى" والنظر "إلى الأمور غير المرئية" يتضمن ذلك ويستوعب "إدراك إشراقات الله" لأن "إشراقات الله" في ذهن بولس هي ضمن قائمة الأمور والأشياء "غير المرئية" بواسطة العين العادية الملموسة المادية[9]. إن رؤية التألق غير المرئي للمسيح في البشارة هو المفتاح والمدخل باتجاه التحول والتغير الداخلي من يوم إلى يوم ومن مجد إلى مجد.

على أن هذا التغير والتحول الداخلي هو الخطوة الأولى في مجموع التغيير بصورة كليّة، بما في ذلك التغيّر الذي يطال أجسادنا. "وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَاكِنًا فِيكُمْ، فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ أَيْضًا بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ." (رومية، 8: 11). ولكونك قد توافقت وانسجمت مع صورة المسيح فإن ذلك وبفعل الوقت، سوف يتضمن توافقاً وانسجاماً مع مجده الجسدي: " فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ، الَّتِي مِنْهَا أَيْضًا نَنْتَظِرُ مُخَلِّصًا هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ، بِحَسَبِ عَمَلِ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُخْضِعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ." (فيليبي، 3: 20 21). "وَكَمَا لَبِسْنَا صُورَةَ التُّرَابِيِّ، سَنَلْبَسُ أَيْضًا صُورَةَ السَّمَاوِيِّ." (كورنثوس 1، 15: 49).

إن المشهد الإجمالي سوف يعني تغيراً شاملاً

إن التألق المحسوس الجسدي النهائي ليس منفصلاً عن إدراك إشراقات الله ليس الآن ولا فيما بعد فقط من خلال إدراك إشراقات الله نبقى على الدرب التي تقودنا وتوصلنا إلى ارتفاع شأن المسيح. فهناك "الْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ،" (العبرانيين، 12: 14). إن هذه القداسة هي تغيرنا وتحولنا "من مرحلة مجد إلى أخرى". وهذا يحدث من خلال إبقاء تأملاتنا مركزة على

(9) "وهؤلاء الذين قدّر لهم أيضاً من دعاهم، وهؤلاء الذين دعاهم هم أيضاً من برأهم من ذنوبهم وآثامهم، وهؤلاء من برأهم من ذنوبهم وآثامهم هم أيضاً من مجدهم" عندما قفز بولس مباشرة من التبرئة إلى التمجيد لم يهمل التقديس، لأن في ذهنه أن سلسلة هذه الإجراءات هي مرادفة للمرحلة الأولى للتمجيد وتبدأ مع التمول.

مجد المسيح في البشارة. وعلى ذلك، إن لقاءنا النهائي مع المسيح وتغيرنا النهائي باتجاه مثاله المتألق يعتمد الآن على إدراكنا لإشراقات الذات الإلهية.

إلا أن الصلة بين إدراك إشراقات الله المتجلية على وجه المسيح، ثم كوننا قد تغيرنا جسدياً ونهائياً هي على السواء تملك المصداقية في نهاية المطاف. وهذا قد تم التعبير عنه في يوحنا (1)، 3: 2) " أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ[10] لأننا سنراه كما هو". لأن الكمال الذي ستصير إليه كينونتنا سوف يحدث عند اكتمال إدراكاتنا وشهوده وإن عبارة "كما هو" تحمل معنى ضمنياً بأن رؤيتنا الآنية له غير مكتملة. "فَإِنَّنَا نَنْظُرُ الآنَ فِي مِرْآةٍ، فِي لُغْزٍ، لكِنْ حِينَئِذٍ وَجْهًا لِوَجْهٍ. الآنَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمَعْرِفَةِ، لكِنْ حِينَئِذٍ سَأَعْرِفُ كَمَا عُرِفْتُ." (كورنثوس 1، 13: 12).

ليس من رسالة ولا مخلص إذا لم يكن هناك تجلّ وإدراك لإشراقات الله

إن التأكيد الطاغي في هذه الأفكار الإنجيلية هو على إشراقات الله في تجلياتها على وجه المسيح في كل البشارة. إن هذا الكشف لإشراقات الله في البشارة هو الأساس والوسيلة لتألقنا ومجدنا الحاضر والآني. إن التأثير المقصود لهذه النصوص هو الوعي بعدم إمكانية أن نفكر بتحولنا بعيداً عن شهود إشراقات الله في البشارة. إن الغاية من البشارة في الأحداث المركزية للجمعة العظيمة والفصح كليها، كما في العالم هو جعل إشراقات الله بتجلياتها على المسيح الأساس والوسيلة للخلاص والقدسية والتألق. وليست هناك رسالة إذا لم يكن هناك من تجليات لإشراقات الله على المسيح، وليس هناك من خلاص عبر البشارة إذا لم يكن هناك من تجليات لإشراقات الله مرئية ومنظورة.

وهناك نص آخر في العهد الجديد الذي يصل وبكل بساطة البشارة بإشراقات الله. اذ يحمل توصيفاً لعلاقة الذات الإلهية بالبشارة في الإنجيل، وهو توصيف من أكثر التوصيفات غير الاعتيادية. وسنتأمل هذا النص في الفصل التالي.

---

(10) يوحنا 17، 1، 4 "أَيُّهَا الآبُ، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ أَيْضًا! أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ."، يوحنا 12: 27– 28 "الآنَ نَفْسِي قَدِ اضْطَرَبَتْ. وَمَاذَا أَقُولُ؟ أَيُّهَا الآبُ نَجِّنِي مِنْ هذِهِ السَّاعَةِ؟. وَلكِنْ لأَجْلِ هذَا أَتَيْتُ إِلَى هذِهِ السَّاعَةِ. أَيُّهَا الآبُ مَجِّدِ اسْمَكَ! فَجَاءَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ: مَجَّدْتُ، وَأُمَجِّدُ أَيْضًا!

عَالِمًا هذَا: أَنَّ النَّامُوسَ لَمْ يُوضَعْ لِلْبَارٍّ، بَلْ لِلأَثَمَةِ وَالْمُتَمَرِّدِينَ، لِلْفُجَّارِ وَالْخُطَاةِ، لِلدَّنِسِينَ وَالْمُسْتَبِيحِينَ... حَسَبَ إِنْجِيلِ مَجْدِ اللهِ الْمُبَارَكِ.

تيموثاوس (1)، 1: 9 11.

الفصل السابع

البشارة فرح الله

إن من أحد أكثر التوصيفات بساطة للرسالة في العهد الجديد يأتي في تيموثاوس (1، 1: 11). حيث يصف بولس الاستعمال الصحيح للناموس في العهد القديم كوسيلة للكشف عن الخطيئة وكبح جماحها. وقد عدّ اثني عشر شيطاناً محدداً ليضيف قائلاً: "وَإِنْ كَانَ شَيْءٌ آخَرُ يُقَاوِمُ التَّعْلِيمَ الصَّحِيحَ، " ليتابع بعبارة أخرى أكثر توصيفاً..."حَسَبَ إِنْجِيلِ مَجْدِ اللهِ الْمُبَارَكِ " (تيموثاوس (1)، 1: 11)[1] يقول ويليام مونس William Mounce معلقاً على هذه الكلمات يجب ألا تترجم "رسالة الإشراقات" بـ "البشارة المشرقة" كما هو الحال مع أكثر معظم الترجمات المعاصرة" وعلى الأصح فإن [التألق/الإشراق] هو المعنى الفعلي للرسالة. وهذا يعني "أنها البشارة التي تتحدث عن إشراقات الله"[2].

تكشف البشارة عن إشراقات الله. إن النقاش في هذا الكتاب يدور حول مسألة أن الأنباء السارة ليست بالأنباء السارّة إن لم يتم إدراك إشراقات الله من خلالها. وبعبارة أخرى، إن إشراقات الله ليست بالمسألة الهامشية أو غير الضرورية المستغنى عنها بل هي ضرورية وأساسية لجعل الأنباء السارّة أنباء سارة.

سعادة الله تعالى هي جزء هام من إشراقاته

يركز بولس في البشارة في تيموثاوس 1: 11 على أنها "إشراقات الله الممجد المبارك/المقدس". إن كلمة "المبارك/المقدس" المترجمة عن العبارة (Makapiov) لها نفس المعنى

---

(1) إن معظم ترجمات (NIV, NASB, RSV, ESU, KJV) نتعامل مع هذه العبارة (للمجد) في جملة "بشارة مجد الله القدوس" كصفة، وتمت ترجمتها على هذا النحو: "البشارة المتألقة لله القدوس" ولكن هذا ليس مهم لأن كل هذه الترجمات ترجمت نفس العبارة في الكورنثوس (2) 4: 4 على هذا النحو "البشارة بمجد المسيح" وليس كالتالي: "البشارة المتألقة للمسيح". و"أنا أوافق مع هنري ألفورد بأن الترجمات يجب أن تتبع نفس المبدأ الحرفي الوارد في تموثي (1) 1: 11 التي تم اتباعها في كورنثوس (2) 4: 4 "إن كل رفعة وسموّ وجمال في العبارة هو هنا [في تيموثي (1) 1: 11]، وكما الحال دائماً، يتم القضاء على ذلك من خلال هذا الأداء الوصفي. إن البشارة هي الأنباء المفرحة لمجد الله كما للمسيح في كورنثيوس (2) 4: 4 نظراً لأنها كشفت لنا الله قبل جلاله" هنري ألفورد العهد اليوناني، المجلد 3.

(2) ويليام مونس William Mounce، الرسائل الدعوية (Nashville, Thomas Nelson, 2000)، 43.

المستخدم في التعبير عن سعادة يسوع المسيح وغبطته البالغة المذكورة في (متّى 5: 3 11).

" طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ... طُوبَى لِلْحَزَانَى، لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ.. طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْض..." وهكذا إلى آخر العبارات. وعلى هذا فإن تلك العبارة أو الكلمة "طوبى" تعني "مسرور" أو محظوظ/مبارك.

وقد استخدمها بولس بنفسه في مواضع أخرى للإشارة إلى سرور وسعادة الإنسان الذي يمتلك سريرة نقية (رومية، 14: 22). وإنه لمن المستغرب بأنه هنا فقط وفي تيموثاوس (1)، 6: 15[3] استثناء من كل ما ورد في كلّ من العهد القديم والعهد الجديد تشير الكلمة إلى الذات الإلهية. لقد صنع بولس شيئاً غير اعتيادي بإطلاقه على الذات الإلهية المتسامية والمبجّلة صفة السرور والابتهاج[4].

ومن الممكن أن نتعلم من عبارة "إشراقات الذات الإلهية المبتهجة" أن الجزء الأكبر والأعظم من إشراقات الله تكمن في فرحه وسروره[5]. لم يكن مقنعاً بالنسبة لبولس الرسول أن الذات الإلهية من الممكن أن ترفض وتنكر الفرح غير المحدود والمطلق ضمن إشراقاتها. وأن تكون هناك إشراقات مطلقة غير محدودة فهذا يعني أن يكون هناك حالة من السعادة المطلقة. وقد استعمل العبارة "إشراقات فرح الله" لأنه شيء مشرق بالنسبة للذات الإلهية أن تكون بقدر الفرح الذي هي عليه. إن إشراقات الله اذن، تكمن في حقيقتها في الفرح والسرور. وهذا الحال هو حال فوق إدراكاتنا وتصوراتنا وخيالنا.

ليس من رسالة دون إله فرح

يوجد ما هو أكثر لفتاً للانتباه، اذ يقول بولس بأن هذا الجزء من بشارة "رسالة إشراقات الله الفرح" هو أساسي، وانما يجعل رسالة موت المسيح و قيامه، أنباء سارة هو أن الله الذي كشفت عنه هو إله مسرور فرح. إذا كان الإله حزيناً غير مسرور، عندها فإن هدف البشارة لن يكون هدفَ فرحٍ وسرورٍ، وهذا يعني لن يكون هناك رسالة أبداً. ولكن، وفي الواقع، يدعونا يسوع لقضاء

(3) جاء في تيموثي 6: 15 "هو المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب".

(4) في كل المواضع التي يطلق على الذات الإلهية لفظ "القدوس" في بقية الإنجيل اليوناني يتم استعمال كلمة أخرى مقابل "القدوس" evlogetos، وليس Makakios (المزمور 41: 13 = المزمور 40 × 40 LXXX).

(5) للمزيد من المعالجة الموسعة حول فرح الله انظر جون بيبر "فرح الله" (Sister, ore: Multnomah, 2000) في هذه النقطة أعمل على الدنو من أشياء وأمور قد كنت ذكرتها هناك.

الأبدية مع إله سعيد بسعادة مطلقة وذلك عندما يقول لنا ما سيقوله في نهاية العالم "اُدْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ" (متّى، 25: 23). يعيش يسوع ويموت وها أن فرحه فرح الإله من الممكن أن يكون فينا وأن سعادتنا وفرحنا سيكون على أتمه (يوحنا، 15: 17/11: 13). وعلى ذلك فإن البشارة هي "رسالة إشراقات الإله الفرح".

ما الجديد في أن يكون هناك إله فرح مسرور في البشارة؟

عليّ أن أكون حذراً هنا لأني بدأت بكتابة هذا الكتاب بعد تأملات كنت قد دونتها من قبل، "فرح الإله: تأملات حول "إشراقات الذات الإلهية في جوهرها الإلهي"، إحدى هذه الافكار على الأقل قد تكون مُتَضَمَّنَةً في هذا الكتاب.

إن سعادة الإله هي في الدرجة الأولى وفي المقدمة سعادة تتعلق بابنه الحبيب[6] ونحن عندما نشارك الإله بالفرح والسعادة، فنحن نشارك في سعادته نفسها بحبيبه الوحيد. هذا وبشكل مطلق ما يجعل من البشارة أنباء سارّة. وهذا ما يفتح المجال أمامنا لندرك ونقدر تألق ومجد المسيح. وببلوغنا هذا الهدف الأقصى سنجد أنفسنا نقدر هذا المسيح المختار بكثير من السعادة نفسها التي يسمو بها الله وحبيبه.

هذا ما يجعلنا في حضرة الله! وفي نهاية صلاة يوحنا العظيمة التي جاءت في يوحنا 17: 26. يقول يسوه المسيح لربه: "وَعَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ وَسَأُعَرِّفُهُمْ، لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ، وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ" إن المحبة التي أحبها الله لوليه وحبيبه ستكون فينا وتغمرنا. وهذا يعني أن المحبة التي ستحيط بنا وتغمر قلوبنا ستكون هي تلك المحبة التي غمر بها الله حبيبه ووليه. ولن يكون حبنا لوليه فحسب حسب قدراتنا الضئيلة في المحبة، ولكن محبتنا لوليه ومصطفاه ستكون مشرّبة بالحب الإلهي الذي يربط الله بوليه، وعلى ذلك علينا أن نعرف من خلال يوحنا 17: 26 أن يسوع المسيح عرّفنا بالله لذا فإن فرح الله بوليه من الممكن أن يحيط بنا ويكون فينا فيكون هو فرحنا بالمسيح.

تخيل كونك قادرا على الاستمتاع بما هو مبهج بشكل غير محدود، بطاقة وعواطف ومشاعر غير محدودة إلى الأبد. إننا لم نعش بعد هذه التجربة. فهناك أشياء ثلاثة تحول بيننا وبين الامتلاء بذلك، وعيش التجربة بكل جوارحنا في عالمنا هذا. أول هذه الأمور أنه ليس من شيء هنا في هذا العالم له قيمة في جوهره بما فيه الكفاية ليوازي ويلبي حاجة شوق وعطش قلوبنا العميق. والأمر

(6) انظر الفصل تحت عنوان "فرح الله بوليه" وذلك لدفاع أتم وتفصيل وتفسير لهذه الحقيقة، Ibid، 25– 46.

الثاني، اعتمادنا على قدراتنا للوصول إلى الإحساس بالقيمة القصوى للكنز الأثمن والأنفس. والعقبة الثالثة هي أن متعتنا في هذا العالم لها نهاياتها.. ولا شيء يدوم.

ولكن.. إذا كان الهدف من البشارة هدف يسوع المسيح كما جاء في يوحنا 17: 26 وهدف لدى بولس كما جاء في تيموثاوس (1)، 1: 11/ وكورنثوس (2)، 4: 4 أن يصبح هذا الهدف متناولاً، فكل شيء سيطاله التغيير. وإذا أصبح فرح الله بوليّه هو فرحنا، حينها سيكون موضوع فرحنا الذي هو يسوع المسيح غير مربك ومتعب على الصعيد الشخصي. لن يصبح أبداً مملاً أو مخيباً للأمل أو محبطاً. ليس هناك من كنز يمكن استيعابه والإحاطة به من مثل علاقة الله بوليه. والأكثر من ذلك، فإن قدرتنا على تقدير هذا الكنز الذي لا ينضب لن يحيط به الضعف البشري. سنستمتع بالمقرب إلى الله بنفس قدر متعتنا بربه وإلهه الفرِح ذي السلطة والهيمنة. إن إشراقات الله وتجلياته على حبيبه المختار ستشرق علينا وتكون لنا دونما انتهاء، لأن الله أبدي سرمدي، ومحبته لصفيّه ومحبة صفيّه له تنعكس علينا وتغمر محبتنا لها ذواتنا. لذا ستكون تلك المحبة سرمدية دونما انتهاء.

إن هذا هو السبب الجوهري والأقصى الذي يقف وراء كون البشارة أنباء سارة. وإذا لم يصل ذلك إلى مستوى كونه حقيقة واقعة لدى أتباع المسيح، فلن تكون هناك أنباء سارة. لذا يجب أن تسعى الدعوة والوعظ حول الأنباء السارة جاهدة لتوجه الناس إلى ذلك. يجب أن نجعل واضحاً بين الناس بأنه إذا كانت آمالهم قاصرة دون إدراك وتقدير تألق وتجلي إشراقات الله على المسيح، فهذا يعني أنهم لا يركزون مشاعرهم وقلوبهم على الشيء الرئيس الأهم والشيء الأفضل الذي مات من أجله المسيح، ومن أجل إتمامه الذي يكمن في إدراك وتقدير إشراقات الله متجليةً على وجه المسيح بمتعة وسرور يزداد أبداً دونما انتهاء.

لأَنَّ الْحُزْنَ الَّذِي بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ يُنْشِئُ تَوْبَةً لِخَلاَصٍ بِلاَ نَدَامَةٍ، وَأَمَّا حُزْنُ الْعَالَمِ فَيُنْشِئُ مَوْتًا.

كورنثوس (2)، 7: 10.

الفصل الثامن

البشارة تألق المسيح ومجده كأساس لعلوّ شأن التوبة

التوبة التي تثيرها وتعمل البشارة على إيقاظها هي بمثابة صدى لتألق المسيح

إن من إحدى الطرق المثيرة للدهشة لإدراك بأن الله هو البشارة هي من خلال التغلغل في روح وفحوى التوبة المثارة من البشارة. إن هؤلاء الذين تعاملوا وبعمق مع خطيئتهم بالعودة إلى مبادئ البشارة يعلمون وجه المفارقة بأن الأنباء السارّة عن المغفرة توقظ الألم وألم الندم والحسرة كما البهجة والسرور بالانعتاق والتحرر على حدٍّ سواء. فقط الشعور المصطنع من الابتهاج لا يمر عبر الحزن والألم من الخطيئة وصولاً نحو الشعور المثير للسرور والبهجة.

إن من أحد الأسباب في أن العديد من المسيحيين يبدو عليهم عدم امتلاكهم لمشاعر الإثارة في كونهم قد غفر لهم من خلال البشارة سببه كونهم لم ينتبهم الشعور بالألم والحزن بسبب خطاياهم؛ ولكنهم إنما حزنوا وتألموا فقط بسبب شعورهم بالذنب والتهديد بالجحيم. إن السؤال المثار بالنسبة لنا في هذا الفصل هو كيف يمكن للتوبة المثارة من خلال البشارة أن تظهر الحقيقة بأن إدراك وتقدير تألق ومحبة المسيح هو النعمة القصوى والأهم على الإطلاق في البشارة؟

جوناثان إدواردز يساعدني مرة أخرى

وهنا، مرّة ثانية يساعدني جوناثان إدواردز بشكل كبير. إن الدرس الأعظم الذي قد تعلمته من إدواردز هو أن الله يتجلى ليكون أكثر تجلياً بجماله وجلاله عندما يكون عباده قد أدركوه بوضوح من خلال البشارة، وتكون قد قرّت أعينهم بتجلياته من أي اعتبار آخر. بعبارة أخرى إن معظم إشراقات الله في أرواحنا هي عندما نكون أكثر ما نكون رضىً بالله مما يعني بأنه ليس عليك أن تختار بين متعك الكبيرة وبين إشراقات الله العظيمة.

والسؤال هنا هو كيفية ارتباط ذلك بالشعور الضروري بالآلام في الحياة المسيحية، وخصوصاً ألم الندم الذي توقظه البشارة؟ كيف يمكن ربط البشارة بإشراقات الله المتجلية على وجه المسيح بألم الندم (كورنثوس 2، 4: 6)؟ ولجعل السؤال أكثر وضوحاً ودقة؛ كيف يمكن ربط تذوق إشراقات الله من خلال البشارة بألم الندم الذي تثيره البشارة بسبب الخطيئة والإثم؟ إذا كانت النعمة الكبيرة للرسالة هو تذوق إشراقات الله من خلال البشارة، كيف لذلك أيضاً توليد الألم؟ إننا من خلال طرح السؤال نضع ما انتهينا إليه سابقاً تحت الاختبار. فإذا ما كنا على المسار الصحيح حول الذات الإلهية والبشارة، فإن النتيجة يجب أن تكون تعزيز ما وصلنا إليه.

يتيح الألم رؤية مجد الرضا بشكل مغاير

في عظة ترجع لسنة 1723 تحت عنوان "روعة الدين"[1] وجّه إدواردز هذا السؤال: كيف يمكن ربط التمركزية في تذوق إشراقات مجد الله في البشارة بألم التوبة الذي تثيره وتوقظه البشارة؟ وإليك مفتاح الحكمة:

> إن الشعور بالذنب هو ألم ينبثق عن شهود جلال الله ورحمته. ولكن إدراك واحتواء جلال الله ورحمته يجب أن يولّد وبالضرورة وبشكل حتمي لا سبيل إلى اجتنابه السعادة والرضا في وعي المُدْرك. ومن غير المعقول ومن المستحيل أن أي شخص إذا ما أدرك بأن أي شيء يبدو له بديعاً لا ينظر إليه بابتهاج، ومن المستحيل أن لا تكون قد حركت مشاعره رحمة الله ومحبة الله، واستعداده ليكون رحيماً بنا ويحبنا، وألا يكون قد تأثر وتحركت مشاعره بالسعادة عندما يفكر [بذلك]. وهذه العاطفة نفسها هي التي تولد التوبة الحقيقية. كم يبدو التباين والتناقض بعيدين. التوبة هي شعور بالألم لذيذ. لذا فالمزيد من الألم؛ يعني المزيد من المتعة والابتهاج[2].

يبدو ذلك مدهشاً ومثيراً للعجب وحقيقي. إن ما يحاول إدواردز قوله هو أن إعادة الوعي بالألم للناس.. ألم التوبة والندم، يعني إعادة الوعي بإدراك إشراقات مجد الله ككنز من كنوزهم ومتعهم وبهجتهم. هذا هو مغزى البشارة وجوهرها. إن البشارة إنما هي الكشف عن "إِنَارَةَ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ." (كورنثوس 2، 4: 4).

إن الألم الناشئ عن الندم الفعلي هو ألم من عدم شعورنا بما يرضينا من كل تلك الكنوز. عندما تكون متحسّراً على عدم استطاعتك تذوق الشعور بالقرب من الله، يجب تدرك أن الله هو كنزنا وهو الشيء الجميل واللطيف في حياتنا.

بذور الابتهاج تحمل ثمار الحسرة والألم

كيف حصل ذلك؟ كيف أصبح الله تعالى بمثابة كل الكنوز التي تقرّ بها أعيننا؟ ويحصل هذا من خلال البشارة. باعتبار أن البشارة تكشف عن إشراقات الله المتجلية على المسيح. ولقد أدركناها عندما تم إيقاظنا لنشهد جماله وكماله. لقد تمّ بذر بذور الابتهاج، وإن الثمار التي أنتجتها كانت ثمار

---

(1) جوناثان إدواردز، "روعة وعذوبة الدين" في عظات جوناثان إدواردز: القرّاء (New Haven, Conn: Yale University Press, 1999) 15. إن أطروحته في هذه العظة هي: جدير بنا أن نكون متدينين فقط بسبب روعته وعذوبته" بناء على الأقوال 24: 13– 14.

(2) Ibid، 18– 19. المزيد من التأكيد، يقول إدواردز نفس الشيء في موضع آخر. "إن التذوق الذي يتم الاستمتاع به بحلاوة القيم الأخلاقية الحقيقية الجيدة، هو نفسه الذي يتم به تذوق مرارة الأخلاقية الشيطانية"، "المشاعر الدينية في أعمال جوناثان إدواردز، المجلد 2، المحرر جون سميث (New Haven, Conn: Yale University Press, 1959)، 301.

الحسرة.. الحسرة في كوننا ولوقت طويل لم نعش تجربة تذوق إشراقاته ومجده. وبصورة عكسية؛ فإن هذا يعني بأن الندم والتوبة الفعليتين المبنيتين على أساس البشارة مسبوقتان باليقظة تجاه إشراقات مجد الله. وأن تذرف الدموع بصورة استثنائية على عدم امتلاكك المعرفة بأن الله هو كنزك، فهذا يعني أن الله تعالى قد صار عزيزاً عليك. إن البشارة توقظ الحسرة على الخطيئة من خلال إيقاظ الشعور بحلاوة تذوق رؤية الله والتوق إليه.

كيف سبب دافيد برينرد David Brainerd الحزن للهنود ليجعلهم سعداء

بعد ستة وعشرين سنة من إلقاء عظته حول "السعادة في الدين" نشر جوناثان إدواردز يوميات دافيد برينرد، الشاب المبشر لدى الهنود الأميركيين والذي توفي في العام 1747 عن عمر ناهز التاسعة والعشرين سنة. لقد استغل هذه الفرصة ليثبت من خلال الواقع المعاش ما كان قد قام بتعليمه حول العلاقة بين تألق البشارة وألم الندم.

في 9 آب من العام 1745 ألقى برينرد عظته أمام الهنود في كروسويكنغ في نيوجيرسي، وسجل هذه الملاحظة:

> ذرف العديد منهم الدموع عندما كنت أحاضر أمام العامة.. كان البعض مأثراً كثيرا ببعض العبارات التي قيلت لهم بطريقة قوية وفعالة والتي تجعل الأشخاص يبكون بحرقة ولفترة طويلة من عذاب الروح المبرح. وعلى الرغم من أنني لم أتفوه بكلمة حول العذاب والألم، ولكن عكس ذلك، عرضت أمامهم بما فيه الكفاية فضائل المسيح، واستعداده لقبول وتخليص كل من يأتي إليه، وبذلك حثثتهم كي يأتوا دون توان[3].

ومرة ثانية، وفي الثلاثين من آب من العام نفسه، ألقى دافيد بيرنرد عظة حول ما جاء في لوقا 16: 19 26 المتعلقة بالغني وأليعازر.

> كان للحديث وقعه القوي عليهم في ذاك التجمع خصوصاً عندما كنت أتحدث حول قداسة أليعازر "حضن إبراهيم" (لوقا، 16: 22) وكان باستطاعتي أن أتبين، أن هذا كان له تأثير عليهم أكثر من تأثير حديثي حول تعاسة الرجل الغني ومعاناته. وهذا ما كان يحدث معهم بشكل اعتيادي... لقد ظهروا دائماً وبشكل تقريبي أكثر تأثراً ... بحقائق الكلمة الإلهية المخيفة والمروعة. إن ما أثار القلق لدى العديد منهم بطريق النقل، هي أنهم وجدوا ما افتقدوه، وليس باستطاعتهم الحصول عليه، وهي السعادة الإلهية[4].

---

(3) جوناثان إدواردز، حياة دافيد برينود، في أعمال جوناثان إدواردز، مجلد 7، المحرر نورمان بيتّيت، (New Haven, Conn: Yale University Press, 1993)، 310. المزيد من التأكيد.

(4) Ibid، 342، المزيد من التأكيد.

هذا بالضبط ما كان إدواردز يحدث عنه في عظته على مدى اثنين وعشرين عاماً. كان ذلك يبدو غريباً في بادئ الأمر. اذ يجب على المرء أن يتذوق السعادة في إدراك وشهود جلال الإله المتعالي في البشارة، قبل أن يكون باستطاعته التألم لعدم امتلاكه المزيد من تلك السعادة الفعلية الحقيقية. وليس هناك من تناقض بين ضرورة الشعور بالحزن والألم والحسرة بسبب الخطيئة، وضرورة إدراك وشهود إشراقات الله في البشارة. إن حلاوة إدراك الله في البشارة مطلوب كشرط أولي للشعور بالألم والحسرة المفعمة بالورع وذلك على الوقت الطويل الذي انقضى دون الاستمتاع بهذه الحلاوة.

فقط السعادة المبنية على الحسرة هي إجلال الله تعالى

إن ما تتضمنه هذه الحقيقة للدعوة والعظة بالبشارة هي أن الله نفسه يجب أن يظهر كأنباء سارة مطلقة في البشارة، وإذا لم يتيقظ الناس لقدرة الله ولجمال إشراقاته المتجلية على وجه المسيح؛ فإن ألم ندمهم لن يكون نتيجة من نتائج فشلهم في معرفة قدرة الله وتقدير مجده. ولكن هذا يأتي نتيجة الخوف من جهنم أو نتيجة حماقة وسفاهة سلوكياتهم السابقة أو نتيجة لتفاهة الحياة التي يعيشونها لإهدارهم لحياتهم. ولكن، ما من واحدة من هذه المبادئ والأسس للندم، بحدّ ذاتها، تحل محل إجلال لله وتعظم شأنه.

ما هي المحبة الخالصة؟

السعادة بالله في الله

إن بعض من يعرف القليل عن جوناثان إدواردز من الممكن أن يبدي اعتراضاً هنا. ومن الممكن أن يقول: "إن أسلوبك في الحديث عن البشارة لا يتوافق مع ما جاء عند إدواردز في هذا الصدد. أنت تتحدث عن تقدير وتذوق ومعرفة قدر الله حق المعرفة في البشارة. يبدو أن هذه الكلمات توحي برغبة قوية للعثور على السعادة والسرور في القرب من الله، ولكن إدواردز تكلم عن الحب غير "المتجرد" لله. فهل أنت حقاً مخلص لإدوارز وللحواري بولس من خلال أسلوب حديثك حول التجاوب مع البشارة".

في الإجابة عن هذا السؤال المفيد والمناسب، أود أن أقول أنه من الصحة لإدواردز أن يستعمل مصطلح "الحب المتجرد" بالإشارة إلى الله.

كم هي قليلة تلك المحبة النزيهة المجردة لله وهذه العاطفة الخالصة النقية الإلهية في هذا

العالم[5].

> ليست هناك محبة أخرى تسمو وتترفع عن مبدأ الأنا مثل المحبة المسيحية. وليست هناك محبة مجردة ونزيهة سوى محبة الله التي هي لله دون غيره ولأجله[6].

ولكن المفتاح لفهم هذه المعاني موجود في الاقتباس الأخير. وإن المحبة الخالصة لله هي محبة الله، "لله وفيه ولأجله وحسب". وبعبارة أخرى فقد استخدم إدواردز مصطلح "المحبة الخالصة النزيهة" ليدل على الحب في الله الذي يشيع الابتهاج بجلال الله وجماله، ولتميزه عن الحب الذي يشيع البهجة بسبب نِعم الله وعطاياه. فالمحبة الخاصة ليست محبة مجردة من المتعة والسعادة.

المتعة المجرّدة اللطيفة

في الواقع، إن إدواردز يقصد أنه لا توجد محبة لله لا تتضمن السرور والابتهاج في الله. وهكذا فإنه إذا كانت هناك محبة خالصة لله، فهناك ابتهاج خالص في الله. وهذا بالضبط أسلوب تفكيره وعلى سبيل المثال فقد قال:

> محبة القديسين، هي بالقدر نفسه ابتهاجهم وسعادتهم. والأساس الأول لهذا، ليس مرده إلى أي اعتبار أو تصور حول اهتماماتهم بالأمور الإلهية، ولكن ذلك يكمن بالدرجة الأولى في الاستمتاع اللطيف المحبب الذي تعيشه أذهانهم من خلال التصورات والمعاينة والشهود... للجمال والجلال الإلهي المقدس في تلك الأمور [7].

فهو يقول بعبارة أخرى أن هناك "غبطة روحية"، غير مبنية على أساس "اهتماماتهم بالأمور الإلهية". وهذا يعني أن ابتهاجهم بالله ليس مبنياً على أساس تلك النعم التي وهبهم إياها. وعلى ذلك؛ فإن المحبة "النزيهة الخالصة" لله إنما هي "الاستمتاع الحلو اللطيف بالسعادة الناشئة عن معرفة الذات الإلهية[8]. وهذا ما تمنحه البشارة عند كشفها عن "إِنَارَة إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ

---

(5) جوناثان إدواردز، الخطيئة الأولى، في أعمال جوناثان إدواردز، مجلد 3، المحرر كلايد أ. هولبروك، (New Haven, Conn: Yale University Press, 1970)، 144.

(6) جوناثان إدواردز، الإحسان وثماره، في الكتابات الأخلاقية، مؤلفات جوناثان إدواردز، المجلد 8، المحرر بول رامسي، (New Haven, Conn: Yale University Press, 1989)، 264.

(7) إدواردز، المشاعر الدينية، 249، المزيد من التأكيد.

(8) إن نورمان فينريتج، محق في الاقتباس التالي إذا ما أخذت كلمة "غير مبالٍ" ضمن المفهوم الكلي الخالص بمعنى ليست هناك فائدة مهما يكن الأمر، حتى ولا "الاستمتاع السار" بشهود الله. و"عدم المبالاة في محبة الله هي مستحيلة لأن الرغبة بالسعادة هي أساسية ومتأصلة في جميع الرغبات أو المحبة مهما كان نوعها. والله هو أهم نهاية في عملية البحث عن السعادة. جوناثان إدواردز، المفاهيم الأخلاقية في سياقها البريطاني (Chapel Hill. N.C.: University of North Carolina Press, 1981)، 161.

اللهِ." (كورنثوس 2، 4: 4).

كما لو أن هناك حزنا، لكن هناك ابتهاج دائماً

إن أحد أسباب معالجتنا في هذا الفصل لطبيعة أسس التوبة المسيحية هو أنها تمنحني القدرة على الوقاية من النزعة الانهزامية، فأنا على وعيٍّ بأنني عندما أستعمل لغة المكافأة والتقدير والابتهاج والإعزاز، والشعور بالاكتفاء بإشراقات الله المتجلية على وجه المسيح، فإن هذا يعطي انطباعاً للبعض وكأن كل الإحباط والمعاناة والآلام والأحزان قد مضت بعيداً وفارقتنا. وهذا ليس حقيقيا، فالمسيحي لا يمضي إلى ما وراء المعركة ويتجاوزها وهو مثقل بآثامه[9]، والحياة ليست كلها بهجة تفوق الألم؛ إنها معركة لانتزاع البهجة والسرور من عمق الألم[10]. إن الراية التي تخفق في سماء حياتي وعلى مدى مساحة هذا الكتاب هي راية قول بولس المأثور الذي يحمل الأمر ونقيضه والذي جاء في كورنثوس 2، 6: 10 " كَحَزَانَى وَنَحْنُ دَائِمًا فَرِحُونَ، كَفُقَرَاءَ وَنَحْنُ نُغْنِي كَثِيرِينَ، كَأَنْ لاَ شَيْءَ لَنَا وَنَحْنُ نَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ."

لقد شهد جوناثان إدواردز إشراقات الله في البشارة بشكل أكثر نقاءً وشفافية من معظمنا، وخَبِرَ ما يعني أن تكون مسحوراً ومفتوناً بأن تكون مع الله وبصحبته عبر البشارة[11]. ولكنه أيضاً ترك لنا التوصيفات الأكثر سحراً وجمالاً لما تولده إشراقات الله التي جاءت في البشارة في حياة المؤمن. وقد أظهر بأن التجليات الإلهية الساحرة على المسيح في البشارة لا تجعل الشخص متطاولاً، ولكنها

---

(9) إن ما يفيد في هذه النقطة الهامة هو جون أوين في مؤلفه، أعمال جون أوين، المجلد التاسع، المحرر وليم جول (Edinburgh: Banner of Truth, 1967). إن هذا المجلد يتضمن ثلاثة أعمال مهمة حول المعارك مع الآثام المتبقية لدى المؤمنين "إماتة الإثم في المؤمنين" "الغواية: طبيعة قوتها، تضليلها وهيمنتها المتبقين من الآثام في المؤمنين. تقوم دار كروسوي بنشر طبعة من هذه المؤلفات الثلاثة ضمن مجلد واحد تم إصداره عام 2006 أشرف على تحريره جوستن تيلور.

(10) من أجل ذلك قمت باختيار عنوان "كيفية الصراع من أجل الفرح" كعنوان فرعي لكتابي "عندما لا يكون لدي الرغبة بالله" (Wheaton, III: Cross Way Books, 2004).

(11) ذات يوم وعندما كنت ممتطياً حصاني في جولة في الغابة من أجل صحتي وذلك في العام 1737، وترجلت في أحد الأماكن للاستراحة، وكما تعودت دائما، أمضي في تأملات روحية وصلوات، اذ برز لي تصور، كان بالنسبة الي غير طبيعي، وهو يتعلق بمجد حبيب الله، كوسيط بين الله والإنسان، ورحمته الرائعة العظيمة التامة والعذبة، والمحبة والتواضع، اللطف والسلوك السامي... التي استمرت، وكما أحسب، ساعة من الزمن، والتي أبقتني وعلى مدى وقت طويل غارقاً في دموعي وأنا أنشج بصوت مرتفع" تم اجتزاء ذلك المقطع من "سيرة ذاتية" من ضمن نماذج مختارة من أعمال جوناثان إدواردز، المحرر كلارنيس هـ. فوست Clarence H. Faust وتوماس هـ. جونسون Thomas H. Johnson (New York: Hill and Wang, 1935)، 69.

تجعله متواضعاً، فهي تولّد بهجةَ قلبٍ ينفطر ألماً.

> إن كل العواطف الشفافة هي عطر لطيف محبب للمسيح يملأ الروح... روح المسيحي بشذى وعبير سماوي لطيف. إنها عواطف قلب ينفطر ألماً. إن المحبة المسيحية الحقيقية، فيما إذا كانت محبة الله أو الإنسان هي محبة قلب منكسر متواضع. إن رغائب القديسين، مهما بلغ الإخلاص فيها، هي رغبات متواضعة: فآمالهم آمال متواضعة، وسعادتهم...تتأتّى عن بهجة قلب منكسر ينفطر ألماً[12].

ترك الشيطان حيّاً هو الثمن لإظهار قيمة المسيح

هلاّ تساءلت يوماً لِمَ لمْ يضع الله وببساطة نهاية للشيطان وأعوانه فيجعله خارج الوجود[13]؟ من المستغرب بأن الله بقدراته وهيمنته وسلطانه على الشيطان وأعوانه، سمح له بفعل الكثير من الأذى. إن الله يملك القدرة والسلطان على الشيطان فيرمي به في نار جهنم. والله جلّ جلاله سوف يفعل ذلك بكل الشياطين (رؤيا يوحنا، 20: 3، 10). والسؤال لمَ لمْ يفعل الله جلّ جلاله ذلك، وهذا في ظلّ مدى التعاسة والبؤس اللذان يسببهما الشيطان؟

هل السبب إعطاء فرصة للشيطان وملائكته للتوبة؟ كلا لأنهم ضالون ويتعذر صلاحهم. لقد قال يسوع المسيح بأن الجحيم الأبدي [قد تم] تحضيره للشيطان وزمرته (متّى، 25: 41). وكتب "يهودا" بأن الملائكة الذين هبطوا من السماء "حَفِظَهُمْ إِلَى دَيْنُونَةِ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ بِقُيُودٍ أَبَدِيَّةٍ تَحْتَ الظَّلاَمِ." (يهودا (6)).

لِمَ يعذب الله تعالى إذن الشيطان؟ نجد الجواب عندما نتذكر بأن الشيطان يكره البشارة، " الَّذِينَ فِيهِمْ إِلهُ هذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ." (كورنثوس 2، 4: 4) هو ذا المفتاح لمعرفة سبب منح الله تعالى إبليس المزيد من السيطرة. وغاية الله هو إعلاء شأن مجد المسيح وتألقه من خلال البشارة.

اذ بإمكان المسيح بفضل قوته الفائقة تدمير الشيطان ببساطة. وهذا، ودون شك، سيمجد قوة المسيح، لكنه لن يظهر بوضوح كبير تفوق االمسيح الأعظم على إبليس. كما أنه لن يعمل على إظهار المثال الرائع للمسيح ولسلطته وتواضعه واتضاعه وعدم حبه لذاته. إن هدف البشارة هو وضع مجد المسيح المصلوب على مرأى الجميع، لإحراج إبليس وجعله يشعر بالخزي من قبل

---

(12) جوناثان إدواردز، المشاعر الدينية 348- 349.

(13) في ماتبقى من هذا الفصل، أقترب وأقوم باقتباس ما كنت قد كتبته في: الحياة كوهم/كشيء لا قيمة له، (Sisters, Ore: Multnomah, 2004)، 77- 81.

ملايين الناس "كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ، وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللهِ، حَتَّى يَنَالُوا بِالإِيمَانِ بِي غُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيبًا مَعَ الْمُقَدَّسِينَ. " (أعمال الرسل، 26: 18) ومن أجل تكذيب الشيطان كبديل لمثال المسيح الرائع في البشارة[14].

إن هذه الطريقة في الانتصار على إبليس هي أكثر كلفة من دحره بعيداً. لقد عانى المسيح من أجل هذا الانتصار، وكذلك عانى العالم. لكن الثمن الإلهي لا يمكن تقييمه بسهولة. فإذا ما قام المسيح بمحو أثر كل الشياطين في هذا الوقت (وبإمكانه ذلك) فإن سلطته المطلقة سوف تظهر على أنها سلطة معظمة، ولكن تفوق مثاله الرائع وقدرته لن يلمعا بشكل مشع كما حدث عندما قامت أمة الله بالتخلي عن وعود إبليس، والوثوق بدم المسيح وبطهارته وصلاحه.

إبليس ينهار عندما يكون الله هو البشارة

هذا يعني أن محور هذا الكتاب هو وبشكل مذهل أمر إلهي مهم. وما أراده الله تعالى هو أن إشراقاته التي بالإمكان إدراكها وتذوقها بوضوح تبين أن سلطة إبليس قد تبددت، وأصبح واضحاً بالنسبة للجميع بأن لطف ورقة المسيح المصلوب أكبر من فعّالية وفتن الشيطان.

لذا دعونا نتعظ ونعيش البشارة هكذا كما يظهر من خلالها المسيح، دعونا نعمل معاً لدحر الشيطان بأن نكون جريئين وسعداء بالمجد والتألق الأكبر لوليّ وحبيب الله! أنا لا أقول إن ذلك سهلاً، فهو مكلف جداً. إن الطريق الذي يقود من صلب المسيح إلى تألق المسيح ومجده هو طريق التضحية. إن النموذج المثال للمسيح المتفوق على إبليس والخطيئة يمكن إدراكه بشكل أفضل إذا ما كانت لدينا الرغبة لنتعذب ونعاني من أجل ذلك. كما أن أعظم الصدمات المثارة ضد سلطة الظلام تأتي من دم الشهداء "وَهُمْ غَلَبُوهُ بِدَمِ الْخَرُوفِ وَبِكَلِمَةِ شَهَادَتِهِمْ، وَلَمْ يُحِبُّوا حَيَاتَهُمْ حَتَّى الْمَوْتِ." (رؤيا يوحنا، 12: 11). إنها تلك الحياة التي تنمو مع إدراك الله كرسالة.

(14) وعندما يستهزئ الشيطان بأنه ما زال لديه الملايين ممن أقنعهم بالبقاء في ظلامه، فإن هذا يساعد على من يعظم من شأن عدالة الله بالعقاب والرحمة تجاه هؤلاء الذين هربوا من ذاك الظلام. إن الله يعلم معدل الأمور والأشياء وكيف أنه من الأفضل إعطاء أهمية لكل ما ينسب للمسيح.

إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ، لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ.

أفسس، 1: 5 6.

لأَنَّ بِهِ لَنَا كِلَيْنَا قُدُومًا فِي رُوحٍ وَاحِدٍ إِلَى الآبِ.

أفسس، 2: 18.

مَتَى جَاءَ لِيَتَمَجَّدَ فِي قِدِّيسِيهِ وَيُتَعَجَّبَ مِنْهُ فِي جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ. لأَنَّ شَهَادَتَنَا عِنْدَكُمْ صُدِّقَتْ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ.

تسالونيكي (2)، 1: 10.

وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ.

يوحنا، 17: 3.

الفصل التاسع

البشارة نعمة من عند الله تفوق كل ما هناك من نعمٍ

الخط الفاصل بين الامتنان والشكر المنبثق عن إعجاب أعمى بالنعمة

إن السؤال الذي أطرحه في هذا الفصل والذي يليه هو: كيف تتعلق كلّ الهبات والنعم التي تتدفق علينا من البشارة بالله كنعمة نهائية ومهمة جداً للرسالة؟ إن التحدي في هذين الفصلين هو رسم خط دقيق بين التقليل من قدر نعم الله والاستخفاف بها وبين جعل نعم الله لله. إنه الخط الفاصل بين الامتنان والشكر لله والمنبثق عن معزّة الله وتقديره وبين الامتنان والتقدير المنبثق عن الإعجاب الأعمى بالنعمة ذاتها.

ما أعنيه بقولي هو أن نريح عواطفنا وشعورنا لأن رغبات قلوبنا وجدت نقطة النهاية إلى هدفها حيث ترتاح فقط بحضرة الله، وكأنها تسمو بها إلى الله على جناح الآلاف من النعم والعطايا.

يقول أوغسطين: "لقد خلقنا من أجله، وتبقى أفئدتنا قلوبنا في اضطرابها وكدرها إلى أن تسكن في حضرته"[1]. إن هذا الكدر هو شيء محبب عندما نحب أنفسنا في حالة متعة وابتهاج من خلال نعمة من نعم الله علينا.

إن نعم الله وعطاياه يجب أن تبعث فينا السعادة، سواء أكانت تلك النعمة نعمة الخلاص (بطرس 1، 1: 4 5) أو نعمة الطعام (تيموثاوس 1، 4: 3؛ 6: 17). ولكن إذا ما استراحت مشاعرنا هناك سنصير مخلصين بشكل أعمى. لذا، فإن هدف هذا الفصل والذي يليه هو إظهار كيف أن نعمة التضحية بالدم ومن الممكن أن يقول أحدهم نِعمة البشارة تشير إلى أبعد من نفسها، إلى الله تعالى كنعمة بحدّ ذاته.

هبة البشارة نعمة تحرير وخلاص للأرواح

تأمل في بادئ الأمر نعم الله المتعددة والمتنوعة التي نحصل عليها عند تمام خلاصنا. وكيف نقتنيها. إن تحرير وخلاص الأرواح هي البشارة الأولى، على الرغم من أنها سبقت موت المسيح

(1) القديس أوغسطين: اعترافات القديس أوغسطين، (New York: Washington Square Press, 1962)، 1.

في الأبدية. إن الحمل الذي لا عيب فيه يسوع المسيح، الذي ذبح من أجل خطايانا قد تُنبئ به قبل التكوين (بطرس 1، 1: 20) من أجل ذلك منحنا الله الرحمة والعطف بسبب المسيح قبل بدء الخليقة (تيموثاوس 2، 1: 9). لذا يقول بولس: "إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ" (أفسس، 1: 5) إن هذا القدر هو إرادة الله لأن يجعلنا عباده ويجعلنا مقدسين وغير محاسبين أمامه بمحبة.

كيف والحال هذه سنشعر بالابتهاج بقدر نعمة التضحية بالدم المذهلة لتحرير وخلاص الأرواح؟ يعطي بولس الإجابة في أفسس 1: 6 "حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ، لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ" (NASB). إن ما أراده الله تعالى في تحرير وخلاص أرواحنا هو أن نجلّ ونحب ونستزيد من أنوار رحمته. وبعبارة أخرى، إن الهدف من تحرير وخلاص أرواحنا هو جعل ذلك بادياً للعيان كأمر معظّم، وأننا سوف ندركه ونشهده ونتذوقه ونتغنى بمجده. إن أنوار الرحمة هي أنوار إله لطيف رحيم يعمل برحمة. ذلك أن الغرض من هذا القدر هو إدراك الله وتقديره لما قدره علينا في رحمته المنقذة والمخلصة لنا. إن الهدف مما قدّر علينا هو إدراك وتقدير الله في عمله الرحيم من أجل خلاصنا. كما أن الغرض من هذا المقدّر علينا هو أننا سوف نكون سعداء في تمجيد وتعظيم رحمة الله.

كيف نمتلك نعمة البشارة في التجسد

ومن أجل الحصول على نعمة قدرنا في خلاص وتحرير أرواحنا، كان لا بد أن يرسل الله برسوله وحبيبه من بني البشر إلى العالم فكان كلمة الله المتجسدة ليموت متحملاً العقاب الإلهي على الخطيئة ولينجز ويحقق الصلاح والاستقامة الأخلاقية التي فشلنا في تحقيقها. إن هذا المدخل لحبيب الله إلى العالم يدعى تجسد كلمة الله وهي نعمة من نعمه العظيمة التي لم نكن نستحقها. وكان ذلك بمثابة النتيجة والشرط في الموت المكفّر عن الذنوب للمسيح. لقد كان نتيجة بمعنى أن الله تعالى نبه بأن ما سيفعله في الجلجثة(المكان الذي صلب فيه المسيح) عند موت وليّه كي يثبت وبشكل علني العمل الجائر في إذلال وتحقير وليه وكلمته المتجسدة ذات الثلاث والثلاثين عاماً... وإن موت المسيح سوف يثبت فضل الله في إرساله المسيح وتعريضه للمحدودية والمعاناة والبلاء. إن الاقتداء بالدم سوف يجعل الإله عادلاً وهو الذي يصفح عن الخاطئين الذين يؤمنون به (رومية، 3: 24 26).

كيف يمكننا حينها امتلاك التجسد؟ يجيب بولس في رومية 15: 8 9: "أَقُولُ: إِنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ قَدْ صَارَ خَادِمَ الْخِتَانِ، مِنْ أَجْلِ صِدْقِ اللهِ، حَتَّى يُثَبِّتَ مَوَاعِيدَ الآبَاءِ". إن المسألة هنا أن

تجسد المسيح كخادم لدى العليّ القدير شكل إظهاراً وبياناً رائعاً للرحمة. تلك الرحمة كانت دلالة على مجد وإشراقات الله الوافرة والغنية. إن تجاوبنا مع هذا الإظهار للرحمة الكاشفة عن مجد الله وإشراقاته هي لجعل قلوبنا تحلق مع شعاع الرحمة في شهود حضرة الله، وهناك تشهد وتتذوق إشراقات الله. إن مشاعر بهجتنا يجب ألا ترتاح عند حدود النعمة، ولكن يجب أن نسمو بالنعمة لتكون على مستوى الذات الإلهية.

طرح بولس المسألة نفسها في فيليبي 2: 6 11, وإذا قمنا بإسقاط هذه العبارات في المقدمة والخاتمة، بإمكاننا وبوضوح إدراك السبب المطلق بالنسبة للتجسد. وهي تذكر بأن المسيح "قد وُلِد على صورة الإنسان... ليكون منصاعاً لأمر الموت... وبهذا... فإن كل لسان [سوف] يعترف بأن يسوع المسيح هو الكلمة التي تجلت من عند الله. "إن الهدف الأسمى للتجسد هو ادراك الناس لإشراقات الله في يسوع المسيح. إن كل أحداث قصة حياة المسيح وموته، هي قصة حياة تجسد المسيح بأكملها وموته وقيامته فكان بريق شعاعها يسطع نتيجة تجليات أنوار الله عليه. فعندما تمّ إعلان قصة هذه البشارة على الملأ حقاً ظهر التألق للعيان، وإذا لم يظهر هذا الإشراق ولم يدرك، فهذا يعني أن أروع ما في البشارة من ميزات لم يدرك، ولن يتم الخلاص.

التصالح: بلوغ حضرة الله والابتهاج والفرح

لقد قمنا في الفصل الثالث بتناول التبرئة من الإثم من خلال الإيمان والعفو عن الذنوب. وقمنا بإظهار أن ذلك من نعم البشارة التي تهدف إلى إزالة العوائق بيننا وبين الله. فهذه ليست بالأنباء السارّة بحدّ ذاتها، لكنها تجعل المصالحة بين الخاطئين وبين الله تعالى ممكنة. وإن هذه المصالحة تعيدنا إلى حضرة الله. كما أن التركيز في المصالحة والتصالح هو أنه يمكننا الاستمتاع بحضور الله دون إدانة.

وبعد أن قال بولس في رومية 5: 10 11: أنه "قد صولحنا" مضى ليقول: "وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضاً بالله من خلال يسوع المسيح الذي نلنا به الآن المصالحة". إن الهدف من هذه المصالحة ليس توحداً آمناً ومعتماً؛ إنما الهدف أننا "نفتخر أيضاً بالله من خلال يسوع المسيح" أن الله تعالى هو مركز هذه المصالحة، وأن الابتهاج بالمصالحة هو فرح وابتهاج بالله. لذا عندما نعظ برسالة المصالحة، فإن التركيز يجب ألا يكون على إزالة الخصومة وحسب، ولكن يجب أن يكون التركيز على بلوغ الفرح بالله. إن رؤية المصالحة وإدراكها وتذوقها مع الله هي النعمة المطلقة في أنباء يسوع المسيح السارّة.

نزف المسيح ليقربنا من الله

ان فعل المسيح هو بمثابة تأدية كفارة أو استرضاء أو عقابا استرضائيا أو تحريرا أو عذرا مبررا أو مغفرة للذنوب أو تحررا, والغاية من ذلك هي اختصار النعمة الإلهية المطلقة. أولاً جاء في بطرس 1، 3: 18 ما يجعل الأمر أكثر وضوحاً: "فإن المسيح البار أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا ومن أجل الأثمة ليقربنا إلى الله" وأفسس 2: 13 18 أكثر دقة بخصوص هذه الحقيقة: "وَلكِنِ الآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً بَعِيدِينَ، صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ. وَلكِنِ الآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً بَعِيدِينَ، صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ. أَيِ الْعَدَاوَةَ. مُبْطِلاً بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، لِكَيْ يَخْلُقَ الاثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا، صَانِعًا سَلاَمًا، وَيُصَالِحَ الاثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلاً الْعَدَاوَةَ بِهِفَجَاءَ وَبَشَّرَكُمْ بِسَلاَمٍ، أَنْتُمُ الْبَعِيدِينَ وَالْقَرِيبِينَ. لأَنَّ بِهِ لَنَا كِلَيْنَا قُدُومًا فِي رُوحٍ وَاحِدٍ إِلَى الآبِ.".

أفضل نعم الله: كوننا عباد الله إلى الأبد

هذه مسألة مهمة يجب إدراكها. إن العديد من الأشخاص يحيطون بالأنباء السارّة دون إحاطتهم بالذات الإلهية. وليس هناك دليل قوي نؤكد من خلاله أننا نملك قلوباً جديدة فقط لأننا نود تجنب الجحيم. إن هذه الرغبة طبيعية تماماً، وليست رغبة خارجة عن المألوف, فلن تحتاج لقلب جديد لتطلب الراحة النفسية في المغفرة عندما يغفر لك، أو عند رفع الغضب الإلهي عنك، أو عندما تكون الوارث لعالم الله. بالإمكان إدراك كل هذه الأمور دون أن يحدث أي تغيّر في الجانب الروحي، لست بحاجة لأن تخلق من جديد لتتوق إلى هذه الأمور، فالشيطان به توق إلى هذه الأمور من باب أولى.

ما من خطأ في أن تكون لديك الرغبة في هذه الأشياء. وفي الوقت عينه هذا لا يعني أن تستأثر هذه الرغبة بكل كيانك ومشاعرك. إلا أن الدليل على تحولنا وتغيرنا يظهر من خلال تلك الرغبة التي تجعل هذه الأمور بمثابة حافز كي تحتوينا السعادة في الله. وهذا من أعظم وأروع الأمور التي مات المسيح من أجلها. وهذا أروع وأعظم مما في الأنباء السارة. لم هذا؟ الجواب هو أننا خلقنا لنعيش تجربة السعادة الغامرة التي لا تنتهي بسبب إدراكنا واستمتاعنا بإشراقات الله. وإذا ما كان مصدر سعادتنا بسبب غاية أدنى وأقل من تلك الغاية، حينها نكون عبدة أوثان ولن تكون الذات الإلهية محل تقدير وإجلال. لقد خلقنا على قدر بحيث إن إشراقاته وجلاله تبين وتكون ظاهرة للعيان من خلال فرحنا وسعادتنا بها. إن رسالة المسيح هي الأنباء السارّة التي كان كلفتها وثمنها حياة

صفيّه ووليّه، فكان أن أقام الله كل ما هو ضروري كي تكون عبوديتنا له من خلال ما يجعلنا سعداء إلى ما لا نهاية وبشكل متزايد، وبالتحديد من خلاله ومعه جلّ جلاله[2].

اكتمال البشارة: الشعور بالذهول والدهشة أمام المسيح العظيم

إن إنجاز خلاصنا عند مجيء المسيح ثانية هو مضمون, وضمانته كانت دم المسيح والدعوة بالبشارة. إن موت المسيح وقيامته من بين الأموات منحته قوة التغلب على الموت لمصلحة كل ما يمت له بصلة "كُنْتُ مَيْتًا، وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ! آمِينَ. وَلِي مَفَاتِيحُ الْهَاوِيَةِ وَالْمَوْتِ." (رؤيا يوحنا، 1: 18). هناك صلة وثيقة بين انتصار المسيح على الموت وبين انتصارنا نحن على الموت "وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَاكِنًا فِيكُمْ، فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ أَيْضًا بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ." (رومية، 8: 11). "وَاللهُ قَدْ أَقَامَ الرَّبَّ، وَسَيُقِيمُنَا نَحْنُ أَيْضًا بِقُوَّتِهِ." (كورنثوس 1، 6: 14؛ Cf، كورنثوس 2، 4: 14).

وعندما يأتي المسيح ليقيمنا من بين الأموات فانه "سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ، بِحَسَبِ عَمَلِ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُخْضِعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ." (فيليبي، 3 21).

ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ. أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟ أَمَّا شَوْكَةُ الْمَوْتِ فَهِيَ الْخَطِيَّةُ، وَقُوَّةُ الْخَطِيَّةِ هِيَ النَّامُوسُ. وَلكِنْ شُكْرًا لِلهِ الَّذِي يُعْطِينَا الْغَلَبَةَ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ." (كورنثوس 1، 15: 54 57).

ولكن أين سيكون التركيز في تلك الساعة العظيمة ساعة الوصول إلى إتمام المهمة؟

إن البشارة الثابتة إلى أهل تسالونيكي 1: 7 10 تعطي جواباً واضحاً. إن النقطة المحور ستكون حول مجد المسيح، سنقف هناك مذهولين مندهشين.

سيظهر السيد يسوع في السماء مع مجموعة ملائكته الأشدّاء ضمن نيران ملتهبة، تنزل عقوبة العذاب على هؤلاء الذين لم يعرفوا الله، وعلى هؤلاء الذين لم يطيعوا ما جاء من أوامر في رسالة سيدنا يسوع، وسوف يقاسون من عذاب الهلاك الأبدي، بعيدين عن حضور السيد المسيح وبعيدين عن مجده وعظمته. سيأتي المسيح في ذاك اليوم ليتم تمجيده، وليكون موضوع ذهول ودهشة بين جميع من آمنوا، لأن شهادتنا بك قد تم تصديقها والإيمان بها.

---

(2) إن المقطعين الخاصين هما مبنيان على الفصل (22): "المسيح تألم ومات من أجل أن نعود إلى الله" في كتاب جون بيبر: "آلام يسوع المسيح" (Wheaton, III: Cross Books, 2004)، 62- 63.

إن الغاية من قدومه وإتمامه لما وعد به من البشارة هو "ليتمجّد قدّيسوه وليكون موضع دهشة وذهول" أمام جميع من آمن "سوف تكون تلك سعادتنا العظيمة ومجده العظيم. وهذه إرادة الله النافذة. وسنحصل على السعادة عندما يتمجد يسوع المسيح. إن الهدف في إنجاز ما جاء في البشارة هو تجليات إشراقات الله على وجه المسيح، وإن أفضل وأسمى ما في الأنباء السارّة هو أننا نرى ونمجد من هو جدير بالتمجيد والإعجاب والدهشة الى ما لا نهاية.

الحياة الأبدية: جعل السعادة والمتعة بمعرفة الله أكثر شمولية وكمالاً ومثالية

طبعاً. إن هذا الحدث الذي هو موضع اعتزاز وفخر هو الابتداء والاستهلال والختام. إنه بداية الطريق إلى حياة الخلود. وحقاً لقد تم منحنا هبة الحياة الأبدية من خلال الإيمان بالمسيح. "خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي.، وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي" (يوحنا، 10: 27 28).

إنه أمر حقيقي أيضاً أن تمام حياة الخلود واكتمالها يبدأ في يوم البعث والنشور. يقول يسوع المسيح: "فَقَالَ لَهُمُ:«الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ بَيْتًا أَوْ وَالِدَيْنِ أَوْ إِخْوَةً أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا مِنْ أَجْلِ مَلَكُوتِ اللهِ، إِلاَّ وَيَأْخُذُ فِي هذَا الزَّمَانِ أَضْعَافًا كَثِيرَةً، وَفِي الدَّهْرِ الآتِي الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ" (لوقا، 18: 29 30). إن تمام حياة الخلود يبدأ في الآخرة. لذا يقول بولس بأننا "نَصِيرُ وَرَثَةً حَسَبَ رَجَاءِ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ." (تيطس، 3: 7)لأن الحياة الأبدية تهفو إليها نفوسنا.

إن حياة الخلود هي أحد أهم النعم الغالية في البشارة. وهي متجذرة في أكثر وعود البشارة المألوفة والمحببة على نحو أفضل "لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ." (يوحنا، 3: 16). لذا، فإن الوعد بحياة الخلود مرتبط بمحبة الله وبهبة حبيبه. فما هي إذن تلك النعمة التي تتدفق من البشارة ومن محبة الله؟

يخبرنا يسوع المسيح في صلاة يوحنا (17) حين صلّى لخالقه "وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ." (VI، 3). وبعبارة أخرى إن هبة البشارة التي تدعى حياة الخلود هي ليست امتدادا لكل المتع الدنيوية المحضة، ولكنها امتداد واكتمال لمتعه وحلاوة معرفة الله وحبيبه وابنه يسوع المسيح". إن طريق الخلود لا يكون إلا من خلال معرفة ذاتك جلّ جلالك أنت الله الواحد الحق ويسوع المسيح الذي أرسلته". يجب أن تزول كل آلهة أخرى، وكل متعة في غير ذات الله يجب أن تتلاشى ولا يعني ذلك أن كل شيء ممتع وحسن يجب أن يُزال، ولكن يعني ترك مكان لما هو أفضل بشكل قاطع. حياة الخلود هي هبة البشارة العظيمة،

وستصبح هبة البشارة العظيمة عندما تعيش تجربتها.. تجربة الاستمتاع بمعرفة الله الحق الواحد الأحد بوليّه وحبيبه إلى ما لا نهاية.

الإنجيل يؤمّن كل ما هو صالح وحسن بالنسبة لنا

من الممكن أن نسمي هذه النعم نعم البشارة المخلصة والمنقذة، الإيمان بالقضاء والقدر، التجسد، التبرئة والعفو، الاكتمال، حياة الخلود، إلخ. وهناك المزيد. لقد جاءت البشارة رحمة من الله القدير كي تتدفق النعم الأخرى إلينا من جوهر رسالة الله. يجول في ذهني مقطع من (رومية، 8: 32) "اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟" وهذا يعني بأن جوهر البشارة هي أن الله بعدم استبقائه لحبيبه جعل هذا هو الضمان بأن "كل الأشياء" سوف يتم منحها لنا.

كل الأشياء؟ ماذا يعني ذلك؟ هذا يعني ما جاء في رومية 8: 28 "وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ." ويجعلها تخدم خيرنا المطلق. وهذا لا يعني أننا نحصل على كل ما تهفو إليه نفوسنا الضعيفة، ولكنه يعني أن نحصل على ما هو خيّر وصالح بالنسبة لنا ولمصلحتنا.

الإنجيل يضمن تلبية كل حاجة حقّة

قارن ذلك بما جاء في فيلبي (4: 19): "فَيَمْلأُ إِلهِي كُلَّ احْتِيَاجِكُمْ بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي الْمَجْدِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ". أُكلّ الاحتياجات! هل هذا يعني أننا لا نواجه أبداً أوقاتاً صعبة؟ بشكل واضح جليّ كلا. يقول بولس في آيات سبعة وردت آنفاً "أَعْرِفُ أَنْ أَتَّضِعَ وَأَعْرِفُ أَيْضًا أَنْ أَسْتَفْضِلَ. فِي كُلِّ شَيْءٍ وَفِي جَمِيعِ الأَشْيَاءِ قَدْ تَدَرَّبْتُ أَنْ أَشْبَعَ وَأَنْ أَجُوعَ، وَأَنْ أَسْتَفْضِلَ وَأَنْ أَنْقُصَ. أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي." فيلبي 4: 12 13.

إن هذا يدعو للحيرة والدهشة. الله يحقق "كل حاجة" (V، 19) لذا تعلمت كيف أواجه "الفاقة" و"الحاجة" (V، 12). بإمكاني فعل "كل شيء" من خلال الذي منحني القوة بما في ذلك أن أكون في فاقة وفي حاجة! وأنا أضيف أن ذلك يشمل كل المؤمنين. كل شيء نحن بحاجة إليه سيمدنا به إذا نحن عملنا على كل ما يرضي الله وعلى تعظيم شأنه وتبعاً لما جاء في الرومية (8: 32) فقد كان ذلك مضموناً بواسطة البشارة.

وهذا ما تم الإفصاح عنه وبشكل صارم في رومية 8: 25 37. "وَلكِنْ إِنْ كُنَّا نَرْجُو مَا لَسْنَا نَنْظُرُهُ فَإِنَّنَا نَتَوَقَّعُهُ بِالصَّبْرِ. وَكَذلِكَ الرُّوحُ أَيْضًا يُعِينُ ضَعَفَاتِنَا، لأَنَّنَا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لأَجْلِهِ كَمَا

يَنْبَغِي. وَلكِنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينَا بِأَنَّاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا. وَلكِنَّ الَّذِي يَفْحَصُ الْقُلُوبَ يَعْلَمُ مَا هُوَ اهْتِمَامُ الرُّوحِ، لأَنَّهُ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ يَشْفَعُ فِي الْقِدِّيسِينَ. وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ. لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ، لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ. وَالَّذِينَ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ، فَهؤُلاَءِ دَعَاهُمْ أَيْضًا .وَالَّذِينَ دَعَاهُمْ، فَهؤُلاَءِ بَرَّرَهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ بَرَّرَهُمْ، فَهؤُلاَءِ مَجَّدَهُمْ أَيْضًا. فَمَاذَا نَقُولُ لِهذَا؟ إِنْ كَانَ اللهُ مَعَنَا، فَمَنْ عَلَيْنَا؟ اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟ مَنْ سَيَشْتَكِي عَلَى مُخْتَارِي اللهِ؟ اَللهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُمَنْ هُوَ الَّذِي يَدِينُ؟ اَلْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ قَامَ أَيْضًا، الَّذِي هُوَ أَيْضًا عَنْ يَمِينِ اللهِ، الَّذِي أَيْضًا يَشْفَعُ فِينَا. مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضَيْقٌ أَمِ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:«إِنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ. قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ. وَلكِنَّنَا فِي هذِهِ جَمِيعِهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا." و"هل هذا مفاجئ! نحن أكثر من متغلبين على كوننا نقتل كل يوم؛ لذا لن يفصلنا شيء عن محبة المسيح، لأن محبة المسيح تحمينا من كل أذى، بل لأن محبته تحمينا من الأذى المطلق في عدم إيماننا وبعدنا عن محبة الله. فهو يدلنا على الله لنكون أقرب إلى محبته. لإن نعمة محبة الله في البشارة هي أفضل من الحياة.

كل شيء هو رهن يديك بما في ذلك الموت

"لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ، وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتٍ، وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً، ولاَ عُلْوَ وَلاَ عُمْقَ، وَلاَ خَلِيقَةَ أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا." (رومية، 8: 38 39). لن يكون بإمكان الموت أن يفصلنا عن محبة الله. يقول بولس في كورنثوس 1، 3: 21 23) "إِذًا لاَ يَفْتَخِرَنَّ أَحَدٌ بِالنَّاسِ! فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَكُمْ: أَبُولُسُ، أَمْ أَبُلُّوسُ، أَمْ صَفَا، أَمِ الْعَالَمُ، أَمِ الْحَيَاةُ، أَمِ الْمَوْتُ، أَمِ الأَشْيَاءُ الْحَاضِرَةُ،أَمِ الْمُسْتَقْبَلَةُ. كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلِلْمَسِيحِ، وَالْمَسِيحُ لِلهِ". كل شيء هو لكم بما في ذلك الموت! إن الموت هو ضمن خزانة كنوزنا التي هي عطايا من الله من خلال البشارة. لذا يقول بولس أيضا أننا "أكثر من منتصرين" في الموت. وفي نص آخر يقول بأن كل شيء لنا، بما في ذلك الموت. وأنا أتصور أنه يعني حسب رومية (8: 28) و8: 32، أن الله قد نزع كل ما هو مؤذ وجعله لمصلحتنا بما في ذلك الموت. الموت هو "لنا" خادمنا. وحقيقة أننا "أكثر من منتصرين" لا يعني فقط أن الموت يتمدد صريعاً تحت أقدامنا بعد المعركة ولكنه أخذ كأسير وتم تكريسه لخدمتنا.

كيف يقوم الموت بخدمتنا؟ كيف يكون الفداء بالدم تابعاً للموت الذي يبارك عباد الله؟

يجيب بولس: "لأَنَّ لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ." (فيلبي، 1: 21). ويقول في آيتين بعد ذلك "لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح. ذاك أفضل جداً". وأن تكون مع المسيح بعد الموت "ذاك أفضل جداً" من البقاء حياً على الأرض. لهذا السبب نحن أكثر من منتصرين عندما يبدو الموت منتصراً. سيصبح كباب يفضي إلى صحبة أفضل مع المسيح.

كيف تم تحضير جون أوين للموت

عندما كان جون أوين عالم اللاهوت والراعي الأكثر رفعة في إنكلترا يحتضر في العام 1683 كان تركيزه كله منصباً على مجد المسيح. كان عنوان كتابه الأخير "تأملات في تألق ومجد المسيح". كان أوين يعتقد بأن الطريقة الأفضل للاستعداد للموت هي من خلال التأمل في هذا المجد.

إذا كانت قدسية مستقبلنا تكمن في أن نكون حيث يكون، ورؤية مجده وتألقه، فما هي التحضيرات الأفضل لنعيش هذا التألق والمجد ذاته[3].

لقد قام ويليام بلَيْن ناشر كتاب أوين حول تألق المسيح ومجده بزيارته في آخر أيامه وسجل بأن "أوين" قال له: "آه يا أخي لقد جاء اليوم الذي تمنيته أخيراً، والذي فيه أشهد التألق والمجد بأسلوب مختلف"[4].

وهذا ما عناه بولس عندما قال بأننا عندما نكون مع المسيح سنرى مجد المسيح بطريقة أخرى".

من أجل ذلك دعانا الله لنكون في حضرته في المكان الأول "أمين هو الله الذي دعيتم إلى شركة وليّه يسوع المسيح بيننا". لقد كان "بولس" و"جون أوين" مقتنعين بأن الموت لم يكن عائقاً ومعطلاً للصحبة، بل كان معمقاً لها.

نعم البشارة الأكثر إيلاماً والأكثر تنقية وتطهيراً

يبدو ذلك كله غريباً. فالله وعد بأن يعطينا كل شيء مع المسيح، رومية (8: 32). ويتحول "كل شيء" لا ليشمل الأشياء الممتعة فقط، وانما أيضا الأشياء المروعة مثل الابتلاء والمحن، المعاناة،

---

(3) جون أوين، تأملات وحوارات حول مجد المسيح في طقوسه في صلواته وعواطفه الشخصية، أعمال جون أوين، مجلد 1، (Edinburgh: Banner of Truth, 1965)، 275.

(4) بيتر تون Peter Toon، "كلام الله": حياة وأعمال جون أوين، (1961, Reprint, Eugene, Ore: Wipf & Stock 2005)، 171.

الاضطهاد، والمجاعة، والأخطار، والقتل، والموت. وهي كلها من نعم البشارة المحصّلة لنا بدم المسيح. الموت هو نعمة، لأنه يسرّع خطانا نحو ما في البشارة من خير رؤية الاستمتاع وتذوق تجليات إشراقات الله على وجه المسيح.

البشارة هي نموذج عن معاناة بولس ومعاناتنا

لقد أظهر لنا بولس ذلك في عدة مواضع. على سبيل المثال في كورنثوس (2)، 1: 8 9، وصف المثل الذي ضربه الله في البشارة وهو أي بولس في ذروة معاناته المريعة في آسيا' "فإننا لا نريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة ضيقتنا التي أصابتنا في آسيا أننا تثقلنا جداً فوق الطاقة حتى يئسنا من الحياة أيضاً. لكن كان لنا في أنفسنا حكم الموت لكي لا نكون متكلين على أنفسنا بل على الله الذي يقيم الأموات". إن هذا ليس من ابتكار الشيطان. إنه ابتكار إلهي. لإن حياة بولس المهددة بالعذاب والمعاناة كانت مقدرة من الله لكي يبقى قريباً منه. إن هدف البشارة ليس حياة سهلة بل هو معرفة عميقة بالله وثقة أعمق به.

وبشكل مماثل في كورنثوس (2)، 12: 7 10 يوضح بولس كيف أن المسيح رفض أن تتنزع منه معاناته لأجل غاية أفضل من وجود بلا ألم.

> ولكي لا أرتفع أُعطيت لي شوكة في الجسد ملاك الشيطان ليلطمني لكي لا أرتفع. فتضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقني. فقال تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل. فبكل سرور أفتخر بالحريّ في ضعفاتي لكي تحلّ عليّ قوة المسيح. لذلك أسرّ بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح. لأني حين أكون ضعيفا فحينئذ أنا قوي.

إن هذه الشوكة "رسالة الشيطان" كانت مرتبة من قبل الله تعالى لإعطاء إقرار ديني بأن غاية البشارة هي كلياً بعيدة المنال عن الشيطان، ليصبح الشيطان خادماً لدى المسيح الذي قام من بين الأموات. ما كان غرض المسيح من معاناة بولس؟ "إن قوتي هي أكمل في ضعفي". وذلك عصيّ على فهم أولئك الذين يعرفون المحبة على أنها شيء يساعدنا على التخلص من الألم بسرعة كبيرة. وهذا أيضاً عصيّ على فهم هؤلاء الذين قالوا بأن المسيح لا يمكن أن يكون موضع محبة إذا ما ترك بولس يعاني ويتألم من أجل تعظيم مجده. ولكن هذا بالضبط ما يفعله. لهذا تبدو محبة الله في البشارة عبثية لا منطقية بالنسبة للناس. فكيف تكون تلك محبة؟

يقول بولس بشكل واضح "لذا وهذا لأن المسيح يتمجد بضعفي " "فبكل سرور أفتخر بالحريّ في ضعفاتي لكي تحلّ عليّ قوة المسيح".

إن هذا الرجل غريب. كلا. على الأغلب يجب أن نقول، إن البشارة غريبة وهدفها ليس

راحتي الآنية. إن هدفها أن أكون في حال من المحبة الكبيرة مع المسيح، وعاطفي جدا فيما يتعلق بمجده وعندها يكون باستطاعة معاناتي إلقاء الضوء على مقامه، سوف أتحملها "بمزيد من الامتنان".

لا يضيّع الله حبيبه، لذا كل الأشياء ملكك، الحياة أو الموت (أو شوكة في الجسد، أو تهديد الحياة بالمضايقة والاضطهاد) كلها هي لك، وأنت المسيح والمسيح حبيب الله". تلك هي نِعَم البشارة لأنها بواسطة دم المسيح تساعد على الوصول إلى الهدف من البشارة. إن هذا الهدف ليس راحتنا وطمأنينتنا أو غنانا وأماننا، بل هو اعتمادنا وتبعيتنا للمسيح وابتهاجنا بمجده.

طعم الإيمان يكمن فيما يعلي من شأن المسيح ويشمله

ما هي صلة الوصل بين هدف البشارة والاعتماد على المسيح والابتهاج بمجده وتألقه. لقد رأينا أن ما ابتدعه الله من خلال معاناة بولس في آسيا (كما معاناتنا) كان "لكي لا نكون متكلين على أنفسنا بل على الله الذي يقيم الأموات" (كورنثوس 2، 1: 9). وقد رأينا بأن حصيلة عطفه ورأفته الشديدة في شأن ترك "الشوكة المغروسة من جسده" كانت في أن بولس "وبكل سرور افتخر بضعفه". وبعبارة أخرى فقد وجد بأن السعادة المطلوبة هي أكثر في المسيح منها في المتع الجسدية. ما هي صلة الوصل بين الثقة والابتهاج والسرور؟ كيف للإيمان بالمسيح والابتهاج والسرور بالمسيح أن يرتبطا؟ وكيف يرتبط الإيمان والثقة بالله بتذوق إشراقاته؟

هناك شيء آخر يجب أن يكون حاضراً في الإيمان؛ إذا ما كان يهدف إلى أن يكون إيماناً مخلصاً يمجد ويشرف المسيح وليس فقط استعماله كوسيلة. إن الإيمان المخلص يجب أن يتضمن سمات تتعلق بتذوق ما يعلي من شأن المسيح ويشمله.

كيف تطمئن إلى العبارة "أنا ما يرضي ويروي ظمأ روحك"

علينا أن نثق بالمسيح فيما يقوله لنا وتحديدا في عطاياه ووعهوده. فماهي تلك العطايا والعهود؟ إن أفضل العطايا المرسلة إلينا والتي وعدنا بها في البشارة هي كلمة الله نفسها التي تجلت من خلال المسيح والتي قُدّمت لنا من أجل سعادتنا. ماذا يعني أن تثق بالشخص الذي يقول: "مَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلاَ يَعْطَشُ أَبَدًا" (يوحنا، 6: 35) أو لنقولها بشكل مختلف. ماذا يعني أن نثق بشخص يقول: "إن جمالي وتألقي ومجدي بمثابة الرضى لروحك الأعمق وهو ما يروي ظمأها؟" هذا يعني بأن الثقة يجب أن تتذوق وتحيط بذلك الرضا. يجب أن تعيش الثقة تجربة إرواء ظمئها لتقول "أنا أثق الآن بأنك ما يرضي وما يروي ظمأ روحي الأعمق" وإذا لم يكن لديك تذوق لذاك الرضا والارتواء فهذا يعني

أن هناك تناقض وتعارض.

لنكن متأكدين بأننا يجب أن نثق بالمسيح بسبب تمام هذا الرضا والارتواء في مرحلة تأتي. نحن لم نعش تلك التجربة الآن. ولكننا تذوقناها عند حدود معينة. هذا ما عناه بولس في قوله: "لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان" (كورنثوس 2، 5: 7). نحن لم نرى أو نَذُقْ إشراقات الله بتمامها الآن "فإننا ننظر الآن في مرآة في لغز لكن حينئذ وجهاً لوجه. الآن أعرف بعض المعرفة. لكن حينئذ سأعرف كما عرفت".

ولكن وبينما تمام الرؤية ينتظر الوقت ليأتي، هناك رؤية روحية الآن (كورنثوس 2، 4: 4؛ أفسس (6)، 1: 18)، والإيمان الحاليّ بالمشاهدة الروحية للإشراق يتضمن تذوق الإشراق الآن.

هذا ما يعني أن تثق بشخص يعرض نفسه "كمصدر سعادة استثنائي لنا" "فآتي إلى مذبح الله، إلى الله بهجة فرحي" (المزمور، 43: 4). فإذن إن الإيمان هو تذوق إشراقات الله المتجلية على المسيح والاعتزاز بها بما فيه الكفاية لأن تمام ذلك هو غنى ومعاناة منتظَرَان. الإيمان هو رؤية للحقيقة، ذاك أن جزءا من مجد المسيح وتألقه هو استحقاق الثقة به. لذا فإن الإيمان ينظم نفسه ضمن وعود المسيح ويضمن بأن تمام الإشراق وتمام السعادة لا بد قادمان.

مليون رحمة في الإنجيل، ولكن لا خير في واحدة منها دون حضور الله

إن النقطة الرئيسية في هذا الفصل والذي يليه هو أن البشارة قد جعلت مليون رحمة تحلّ على أتباع المسيح، وليست واحدة منها تمثل أنباءً سارّة بحدّ ذاتها. فجميعها جيدة لدرجة تجعل من الممكن أن يصبح الواحد صالحا بشكل كبير، أي بالتحديد، يعرف ويستمتع بذات الله. لذا يجب أن يتم الوعظ بالإنجيل ويتم الإيمان به والعيش به وذلك "لإنارة معرفة مجد الله في وجه المسيح" (كورنثوس (2)، 4: 6). وهذا ما أعنيه في قولي الله هو البشارة.

فمع أنه لا يزهر التين ولا يكون حمل في الكروم يكذب عمل الزيتونة والحقول لا تصنع طعاماً ينقطع الغنم من الحظيرة ولا بقر في المذاود فإني أبتهج بالرب وأفرح بإله خلاصي.

حبقوق، 3: 17 18.

الفصل العاشر

الإنجيل نعمة الله من لدن ذاته تفوق كل نعمه الرائعة المبهجة

هناك الآلاف من بركات البشارة المرسلة إلى المؤمنين بواسطة دم المسيح. وقد لمسنا ذلك في ما ورد في إصحاحات رومية 8: 32 في الفصل السابق "اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟", لقد لمسنا أن "كل الأشياء" تتضمن الموت والاضطهاد والشوكة في الجسد. ولكن "كل الأشياء" تتضمن أيضاً الأشياء الرائعة المبهجة. لذا نتناولها في هذا الفصل حيث ما زال السؤال مطروحا: كيف ترتبط نِعم الله الرائعة بذاته كنعمة البشارة العظيمة؟

كل الإجابات تكمن في الصلاة من أجل النعمة المكتسبة بالدم في البشارة

إن من أقوى التحذيرات الإنجيلية هي عدم الالتجاء إلى الله في الإنجيل فقط للحصول على هباته من خلال الصلوات. يأتي هذا في السياق نفسه وبصورة خاصة لما حصل معي ومع زوجتي عندما كنا نواجه بعض الصعوبات في حياتنا؛ فأثناء كتابتي لهذا الكتاب، كنا نريد من الله أن يحقق لنا بعض الأشياء فكنا نصلي بدموع وبصدق كبير. لكن حينها ورد خاطر في ذهني حيث شعرت بأننا لم نكن نصلي بالطريقة التي فيها إجلال لله. لذا كتبت ملاحظة لزوجتي تعبر عن جزء من التحذير الإنجيلي الذي ذكرته للتو:

> إن الشعور الذي ينتابني الآن بعد أن استيقظت باكراً ولم يكن باستطاعتي العودة للنوم هو أن الله جلّ جلاله يريد منا الوثوق به. ويريد تحذيري بأن تضرعي إليه لم يكن تضرعاً نابعاً عن إيمان راسخ، ولكن نابعاً عن تذمر وشكوى، وليس من اللائق التذمر من الله، لم أكن ألقي بحمولي وبمتاعبي وأسلم أمري إليه. كنت أتصرف معه بطريقة أتصرف بها معك تجاه بعض الأشياء بنبرة تشي ويفهم منها أنه لن أكون سعيداً أبداً إذا لم يتحقق ما أريد. هذا ليس بإيمان عندما تعلو نعم الله على الله نفسه، لذا جعلتني تلك الأفكار أن أكون شجاعاً "فألقي بحمولي وهمومي على الله"، وأثق بما وعد به بأنه سيكون عوناً وسنداً لي؛ سوف لن يسمح أن تزول الفضيلة، وكدليل أستعين بالمزمور 25: 8.
>
> "الرب صالح ومستقيم لذلك يعلم الخطاة الطريق", وهذه واحدة من الميزات التي جعلتها بثقة حاضرة في صلاتي وهي: أنني إنسان خاطئ.

إن الاستجابات التي ملؤها الرحمة والغفران بعد الصلاة هي نعمة البشارة المكتسبة بالدم. إن

الآيات في العبرانيين 4: 16 تعلمنا أنه باستطاعتنا أن نتقدم "بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ"، لأننا لدينا رئيس كهنة رفيع الدرجة عظيم (4: 14). إن السبب في أن يسوع المسيح، رئيس الكهنة الرفيع الشأن العظيم، مكننا من أن تكون صلاتنا مستجابة وهو بذلك يختلف عن قسيس العهد القديم، فالمسيح: "لَيْسَ لَهُ اضْطِرَارٌ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ أَنْ يُقَدِّمَ ذَبَائِحَ أَوَّلاً عَنْ خَطَايَا نَفْسِهِ ثُمَّ عَنْ خَطَايَا الشَّعْبِ، لأَنَّهُ فَعَلَ هذَا مَرَّةً وَاحِدَةً، إِذْ قَدَّمَ نَفْسَهُ." (رسالة العبرانيين، 7: 27).

وهذا سببه أن جميع وعود الله تتحقق من خلال المسيح، ومن أجل ذلك نصلي باسم يسوع "لأنه مهما كانت مواعيد الله فهو فيه النعم وفيه الآمين لمجد الله بواسطتنا" (كورنثوس 2، 1: 20). لذا يقول يسوع: "بل أنا من اختاركم لتكونوا ممن يثمر أعمالاً... فيمنحكم الله بذلك كل ما تسألونه باسمي" (يوحنا، 15: 16).

إن استجابة الصلاة مبنية على شفاعة يسوع المسيح الكهنوتية لنا، وهذه الشفاعة تعتمد على الدم الذي أراقه ليمحو عنا خطايانا ويطلق عنان فيوض الرحمات استجابةً للصلوات. لذا فإن كل البركات التي نتلقاها هي إنما استجابة للصلاة التي ندين بها لرسالة صلب المسيح وقيامته، وليست هي بالبركات الآلية. فهي البركات التي تم اكتسابها بالدم من أجل الخاطئين من أمثالنا.

كيف يمكن أن تصبح الصلاة خيانة لله

والآن يأتي التحذير العظيم في العهد الجديد وهو تحذير من جعل الصلاة الموضع الذي فيه نلجأ إلى الله للحصول على نعمه ولا نلجأ إليه من أجله. يصور يعقوب ذلك التحذير في الآيات (4: 2 5):

> "تشتهون ولستم تمتلكون. تقتلون وتحسدون ولستم تقدرون أن تنالوا. تخاصمون وتحاربون ولستم تمتلكون لأنكم لا تطلبون. وتطلبون ولستم تأخذون لأنكم تطلبون ردياً لكي تنفقوا في لذّاتكم. أيها الزناة والزواني أما تعلمون أن محبة العالم عداوةٌ لله. فمن أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله. أم تظنون أن الكتاب يقول باطلاً. الروح الذي حلّ فينا يشتاق إلى الحسد".

لماذا يدعوننا "بالزناة" عندما نصلي؟ إن ذلك يعود إلى أننا نسأل الله أشياء وأموراً خاضعة لرغباتنا وليست لرغبات الله. وهذا مروّع وهو أنه وفي أشدّ لحظات ورعنا الإيمانية في الصلاة، نبدو وكأننا نرتكب خيانة تجاه إلهنا. وكلمة خيانة هي كلمة إنكليزية قديمة تطلق على الرجل الذي تكون زوجته غير مخلصة له. إن الصورة المجازية في هذه العبارات هو أن الله وله المثل الأعلى هو الزوج المخلص الشهم. الذي نتوجه إليه ونسأله...لنقل خمسين دولاراً، ويعطينا إياها. نأخذها

ونمضي عنه ونسير إلى نهاية الرواق حيث الحبيب غير الشرعي يقيم. بمثل ذلك ينظر الله إلى صلاتنا التي "فيها يقدس اسمه" والقلب فيها يبكي عند كل لحظة تضرعاً.

عندما يقول يعقوب في نهاية هذه العبارات بأن الله "يشتاق بحسد إلى الروح التي جعلها تسكن أجسادنا" فهو يعني: إن الله حاضر في قلبك عند صلاتك. لن يكون الله مجرد موزع للهبات والنعم على هؤلاء الذين لا يبهجون الله العليّ نفسه.

والآن ماذا تعلمنا في هذا الموضع عن البشارة؟ إن ما تعلمناه هو أن الغاية من البشارة هي أن تمنحنا نِعم الله بصورة رئيسية، ولكن تمنحنا بشكل أكبر نعمة حضور الله فينا. فإن الخير في كل نعمه. ولكن الغاية من خلال هذا كله هي إدراك المزيد عن الله وعظمته ومجده وإشراقاته وتذوق المزيد من جماله وكمالات جلاله المطلقة غير المحدودة المتبدية والمرئية في البشارة.

هل بالإمكان أن يتحول الامتنان والشكر لله إلى حب أعمى؟

ماذا لو قال أحدهم: "ربما تكمن المشكلة في الزوجة التي سألت زوجها الخمسين دولاراً هي أنها غير ممتنة، لا تشكر النعمة. وربما تكمن مشكلتنا والحال هذه في التعامل مع البشارة ومع الذات الإلهية بما يعبر عن عدم تقديرنا للنعمة وعدم امتناننا". حسناً. هذا يشكل جزءاً من مشكلتنا بالتأكيد. لكنه ليس المشكلة الأساسية الجوهرية. إن التشخيص للمشكلة لم يلحق جذورها لأنه ربما يكون بالإمكان أن تكون ممتناً لشخص على عطائه دون أن تكون محباً له.

لقد سعى جوناثان إدواردز وراء هذه المشكلة بعمقها عندما كان يدرس مضامين ودواخل الناس في حالة الصحوة العظيمة. لقد ساعدنا على التيقظ والحذر من البشارة التي يمكنها استحضار ما يمكن أن يكون ظاهره شكراً أو امتناناً ولكن لا يحمل في مضمونه قيمة أخلاقية[1].

إن الامتنان أو الشكر الحقيقي لله على لطفه بنا ينبثق من أسس وقواعد تم إرساؤها من قبل. والتي تكمن في محبة الله لذاته، في حين أن الامتنان العادي ليس له في قواعد وأسس معينة قد سبق إرساؤها. إن الدوافع لعاطفة الامتنان لله على عطفه ورحمته التي نتلقاها مبعثها دائماً ذاك المخزون من المحبة الكامنة في القلب، والتي تم ترسيخ دعائمها، في المكان الأول على أسس مختلفة Viz. على إبداعات وعظمة الله نفسه[2].

---

(1) إن الأفكار التالية مبنية على ما كنت قد كتبته حول "كيف السبيل إلى عدم ارتكاب طقوس وثنية في عيد الفصح"، "حياة في ظل كلام الله"، (Sister, Ore: Multnomah, 1997)، 213- 214.

(2) جوناثان إدواردز، المشاعر الدينية، في أعمال جوناثان إدواردز، المجلد 2، المحرر جون سميث (New

بعبارة أخرى، إن الامتنان الذي يرضي الله هو أولاً ليس مقابل ما يقدمه الله من منافع (وهذا سيكوّن جزءاً منه) بل إن الامتنان الحقيقي يجب أن يكون متجذراً ومتأصلاً في أمور أخرى يأتي منها في المقام الأول وتحديدا، الابتهاج بجمال وجلال الذات الإلهية. وإذا لم يكن ذلك ليشكل الأساس في امتناننا، فإنه سوف لن يفوق في ماهيته الامتنان لأي "إنسان عادي"، بعيداً عن تجارب روح طبيعة المسيح الجديدة.

سوف لن تكون مكرماً فيما إذا شكرتك دائماً على هداياك لي، لكن دون أن يكون لك اعتبار وتقدير عميق وتلقائي تجاهي كشخص. سوف تشعر بأنك مهان، مهما كان شكري على ما قدمته لي من هدايا. وإذا لم تجذبني شخصيتك وشخصك أو يمنحاني البهجة في كوني دائماً معك، فإنك ستشعر حينها بأنه يتم استغلالك فقط كمثل أداة أو آلة لإنتاج الأشياء التي أحبها حقاً.

فبالنسبة للذات الإلهية، إذا لم نكن مجذوبين لذاته والمتبدية بعطاءاته المدخرة، سيكون حينها كل ما نقرّ به في عيد الشكر مثل امتنان زوجة لزوجها على المال الذي حصلت عليه منه لتنفقه في علاقتها العاطفية مع رجل آخر.

هل يمكن للامتنان للصليب أن يكون حبا أعمى؟

من المدهش بأن هذا الحب الأعمى يكون في بعض الأوقات أيضاً صادقاً عندما يشكر الناس الله على إرساله المسيح للموت فداء لهم. وبعبارة أخرى، فهم يشكرون الصليب لأنه حاكى منافعنا. فماهي القاعدة التي بني عليها هذا الامتنان؟

يطلق جوناثان إدواردز على هذا الامتنان امتنان المراءاة والنفاق. لمَ؟ لأن سبب ذلك "أنهم" في البدء يغتبطون ويعتبرون أنهم حقا يتقربون كثيراً إلى الله، وعلى هذا الأساس يبدو أن [الله] لطيف معهم ومحب لهم... فهم مسرورون إلى درجة قصوى، لسماع أن الله والمسيح يقدمان الكثير لهم. لكن ابتهاجهم الحقيقي والحال هذه هو ابتهاج "لأنفسهم وليس لله"[3]. إنه لأمر يدعو للصدمة أن نعلم أنه من أحد وأكثر التوصيفات الشائعة اليوم للصليب هو ربما على نحو مقبول توصيف حب الذات العادي دون أن يحمل معنى لقيم روحية.

أيها الأصدقاء.. يجب علينا جميعاً أن نلتفت ونتنبه إلى حكمة جوناثان إدواردز هنا. فهو بكل بساطة يوضح الأمر بدقة حول معنى القيام بما يجب تأديته بما في ذلك تقديم الشكر لتمجيد الله

(Haven, Conn: Yale University Press, 1959)، 247.

(3) Ibid، 250- 251.

وإجلاله (كورنثوس 1، 10: 31) فهو يعرض علينا الدافع الذي من أجله كانت البشارة. إنها من أجل تمجيد الله وإجلاله. وإن الله لا يتم تمجيده إذا كان الأساس في امتناننا للبشارة يكمن في قيمة ما تقدمه من هبات ونِعم وليس امتناناً للواهب والمنعم. فإذا لم يكن الامتنان للرسالة في جذوره وأصوله تمجيدا لله دون الامتنان لنعم وهبات الله، فسيكون حينها هذا الامتنان حبا مموّها أعمى. عسى الله أن يمنّ علينا بقلب يدرك ما في البشارة من أنوار وإشراقات الله المتجلية على صفحة وجه المسيح. وعسى أن يمن علينا بما يساعدنا على أن نكون مبتهجين بذاته لأنه لن يتغير أو يتبدل. بناء عليه فإن كل امتناننا وشكرنا مقابل نعمه وعطاياه إنما يمثل محاكاة وصدى لسعادتنا وابتهاجنا بعظمة الواهب!

لماذا أبدع الله العالم المادي

هذه إجاباتي على مئات الأسئلة حول الأشياء الخيّرة التي أبدعها الله لنا ومنحنا إياها. إن إبداع العالم المادي بما في ذلك أجسامنا بحواسها الخمس هي بمشيئة الله. لم يفعل ذلك بصورة رئيسية إغواء وانجذابا لحبٍ أعمى، ولكنه أبدع ذلك لإظهار عظمته ومجده "السماوات تحدث بمجد الله" (19: 1). تلك هي الغاية من الملايين من أجناس الحيوانات والنباتات وملايين المجرات "لأن كل خليقة الله جيدة ولا يرفض شيء إذا أخذ مع الشكر" (تيموثاوس 1، 4: 4). نعم إذا كان هذا الشكر على العطاء متجذر في إدراك مجد الواهب الذي من الواجب أن يكون محلّ إعجاب بالمقارنة مع جميع نعمه، فمن الواجب أن يتم الابتهاج من خلاله بجميع عطاياه ونعمه.

ويكفي القول هنا أن الله خلق ما سِواه. لذا فإنه شيء حسن أن يكون ما هو سوى الله مخلوق. والسبب في أن الله لم يبدع مثيله وهو أن ذلك كان الطريقة المثلى لبيان مجده من خلال خلق ما سوى ذاته. وإرادته في ذلك كانت متزامنة مع محبته وإظهار مجده. وأقول "بشكل متزامن" لأن هذين الأمرين يتزامنان معاً. فيتجلى الله لنا، ونكون موضع محبة. وتمنحنا المحبة ما هو أفضل، وهو معرفة الله والابتهاج بمعرفته. وهو بعلمه الأزلي علم كيف يجعل كمالات إشراقاته ومجده منتهى ابتهاجنا. وهو أتم محبته لنا وأظهر نفسه من خلال إبداعه الكون المادي. واستمر هذا في الحدوث عندما أعطانا الله تعالى عيوناً لترى بأن كل الخلق "يعلن مجد الله وإشراقاته".

مجد الله في البشارة يفوق مجده كله في الطبيعة

فضلاً عن ذلك، فإن مشيئة الله تمضي إلى ما وراء إظهار مجده من خلال الطبيعة والإنسان. لقد كان لجون أوين بصيرة نافذة نحو الكشف الفريد المتفرد لمجد الله في البشارة. وكان ذلك عندما

كان يحضر نفسه للموت ولملاقاة المسيح وجهاً لوجه.

> إن التجلي الذي تمّ للمسيح في البشارة المباركة هو وإلى حدّ بعيد أكثر من باهر، وأكثر تألقاً وأكثر امتلاءً بإشعاعات الحكمة الإلهية والأصالة، وهو أكثر مما في جميع الخلق,,, ودون معرفة ذلك يبقى عقل الإنسان، على العكس، يتفاخر بنفسه بسبب ابتكارات واكتشافات أخرى وينتهي بشكل نهائي إلى الظلام والارتياب والتشويش والاضطراب[4].

نستغل هذا العالم للاحتفال والصيام

لذا يجب علينا النظر إلى العالم كشيطان. وهو مشحون بالمغريات في هذا العصر. والحلّ لهذه المشكلة ليس الانسحاب من هذا العالم والتقوقع. فهذا غير ممكن، لأننا نحمل ذواتنا الآثمة معنا. إنّ السبيل إلى الجنة هو توازن إنجيلي بين الإيجاب والرفض تجاه ما يتعلق بالعالم الذي أبدعه الله. إن التأديب والتهذيب المسيحي في الصيام والمآثر والامتيازات المسيحية في الاحتفاليات والأعياد الدينية المسيحية تضع علامات لهذا الطريق.

لِمَ خلق الله الخبز، وجعل الإنسان بحاجة إليه في الحياة؟ بمقدور الله عزّ وجل خلق حياة لا تحتاج إلى طعام. وهو بقدرته الأزلية جعل الحياة على الوجه الذي يرضيه ويرتضيه ويشاؤه. فلم الخبز؟ ولم هناك الجوع والعطش؟ إن جوابي بسيط كثيراً: لقد خلق الخبز ليعطينا فكرة حول تشبيه ابن الله عندما قال: "أنا هو خبز الحياة" (يوحنا، 6: 35) وجعل الظمأ والارتواء لتكون لدينا فكرة حول ماهية الإيمان بالمسيح في قوله: "مَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلاَ يَعْطَشُ أَبَدًا" (يوحنا، 6: 35).

إن الإنسان ليس محور هذا الكون، بل الله، وكل شيء وكما قال بولس هو: "منه وبه وله" (رومية، 11: 36) "منه" يعني كل شيء في هذا الكون وجد ليبقى منصاعاً له وليقدم له الإجلال والإعجاب. يقول بولس في كولوسي وبشكل أكثر تحديداً أنه فيه خلق كلّ ما في السماوات وما على الأرض لذا فقد تم خلق الخبز من أجل مجد المسيح والجوع والعطش قد تم خلقهما من أجل مجد المسيح وجعل الصيام من أجل المسيح.

عندما نأكل، فإننا نتذوق شبه طعامنا السماوي الفردوسي خبز الحياة. وعندما أصوم أقول: "أحب الحقيقة على الشبه". فإن الطعام والصيام كلاهما عبادة في قلب القديس. وكلاهما يمجد المسيح. كلاهما يجعل القلب الممتن والمشتاق ساعيا وراء المعطي. لكلّ مكانه المعتمد والكلّ لديه مخاطره. إن مخاطر الطعام هو أننا نقع في حب النعمة، إن مخاطر الصيام أننا نقلل من أهمية

---

(4) جون بيبر، عندما لا يكون لدي شوق إلى الله: كيف أصارع وصولاً إلى الفرح (Wheaton, III: Cross Way Books, 2004)، 175– 206.

النعمة ونمجد قدراتنا[5].

الابتهاج بالله مختلف عن الابتهاج بهباته ونعمه

لكن عندما تحررنا رسالة يسوع المسيح، سيكون السبيل مفتوحاً أمامنا لأن نعيش تجربة أن المتعة والابتهاج بالله تختلف عن الاستمتاع والابتهاج بهباته ونعمه. وباستطاعتنا رؤية كل نعمة كشعاع ينبثق من شمس إشراقات الله. وكل متعة وبهجة هي صادرة عن هذا الشعاع الذي يصل إلى منبع الضوء وينتهي هناك. ليس من شيء مخلوق يصبح مضاهياً للذات الإلهية وإنما يظهر حقيقة الله. لذا بوسعنا القول بالنسبة لفكر إنجيلي متحرر أن كل الابتهاج والمتعة بالأشياء المخلوقة هي لا ترقى إلى الابتهاج والمتعة بالله.

ليس باستطاعتنا قول ذلك حول غير المؤمن الذي يبتهج كالمؤمن بنفس الأشياء. باستطاعتنا أن نقول للمؤمن: إن متعتك بطفلك، التي تعيشها حقاً، هي السرور الشديد بالله. إن الشخص الذي انبعث من جديد سوف يسمع ما ذكرناه ويشعر بما نقوله ويغتبط ويعيش هذه التجربة بدرجة أكثر عمقاً. ولكن الشخص غير المنبعث روحياً لن تكون لديه أية فكرة حول ما نتحدث عنه، فالابتهاج بالطفل لديه هو ابتهاج بالطفل، وليس بالله. هذه مأساة كبرى، وهذا سبب آخر يدعونا لوجوب الدعوة والعظة بالبشارة وجعل الأمر واضحاً ومبسطاً فيما يتعلق بقولنا الله هو البشارة.

وعود ومخاطر القوة الروحية

مما لا جدل فيه أن الاختبارات والمغريات سوف تزداد في العالم المادي المتدني. وقد جاءت البشارة بقدرة كبيرة تساعد على الخلاص تحررنا من كل شيء من الممكن أن يحول دوننا ودون تذوق حضور الله. لذا فإن القوة هي نعمة جيدة في البشارة. لكن من الممكن أن تكون حتى القوة مضللة وموهمة. وإن الله غيّورٌ إذا صرنا نحب القوة الروحية أكثر منه.

بل إن الله جلّ جلاله سوف يسخّر القوى الروحية الغريبة لاختبار ما إذا كان هو جلّ جلاله من نحب لنفضله على نعمة القوة. تأمل في هذا الاختبار المذهل في سفر التثنية 13: 1 3.

> إذا قام في وَسْطِك نبي أو حالمٌ حلماً وأعطاك آية أو أعجوبة ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها قائلاً لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها وتعيدها فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم لأن الرب إلههم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب إلههم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم.

---

(5) جون أوين، تأملات وحوارات حول مجد المسيح في طقوس صلاته، ورفقه الذاتي. مؤلفات جون أوين، المجلد 1، (Edinburgh: Banner of Truth, 1965)، 275.

بعبارة أخرى، ليس العالم المادي هو الذي يغوينا ويغرينا فقط لِنُحبّ النِعَمَ على حساب المُنعم. ففي العالم الروحي الأخطار نفسها. المحبة للآيات والدلالات من الممكن أن تحلّ محل محبة الله. إن للعالم الروحي المخاطر نفسها. ومن الممكن أن تحل محبة الدلائل والآيات محل محبة الله كأي شيء ماديّ آخر.

يجب أن ينبهنا ذلك إلى عدم وضع التأكيد على المعجزات في غير موضعه لتوجيه الناس إلى المسيح. من الممكن أن نرتكب الخطأ الذي ارتكبه سيمون الساحر. فقد كان مذهولاً من قوة بطرس الخارقة وتمناها، ولكنه كان في الواقع "في مرارة المر ورباط الظلم" (أعمال الرسل، 8: 23). أنا لست أنكر الموضع الملائم للمعجزات والخوارق، حتى في يومنا هذا. يفصح لوقا عن ذلك بوضوح في أعمال الرسل 14: 3 "إن السيد الذي كان يشهد لكلمة نعمته ويعطى أن تجرى آيات وعجائب على أيديهما". وكمثل جميع عطايا ونعم الله فإن الآيات والعجائب تشهد على طبيعة وذات الله، وعلى وجه الخصوص، على رحمته ولطفه. ولكن النعم والعطايا المادية من الممكن أن تجذب قلوبنا لها وليس لله. لذا يجب علينا أن نبقي التأكيد على أن الله هو البشارة.

الربط المهلك بين القوة الخارقة والمتعة الحسية

يبين يسوع مدى الصلة الوثيقة بين المتعة الحسية وبين آيات القوة الخارقة. فبعد إطعام يسوع المسيح للخمسة آلاف شخص بخمسة أرغفة من الشعير وسمكتين، مضت الجموع إثر يسوع المسيح في بحث عنه. إلا أنه لم ير الصحبة الصادقة في قلوبهم فقال: "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: أَنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي لَيْسَ لأَنَّكُمْ رَأَيْتُمْ آيَاتٍ، بَلْ لأَنَّكُمْ أَكَلْتُمْ مِنَ الْخُبْزِ فَشَبِعْتُمْ." (يوحنا، 6: 26). وبعبارة أخرى، هم أخطأوا الهدف الأساسي من المعجزة. فقد كان الهدف الأساسي هو مساعدتهم على رؤية روعة المسيح واتباعه. ولكن ما رأوه كان مجرد معجزة. وهم في الحقيقة آمنوا بالمعجزة. إلا أن هذا النمط من الاعتقاد لا يحمل أي تشريف وإكرام للمسيح. إن الشيطان قد آمن بالمعجزة أيضاً وارتعد خوفاً وقلقاً. والناس آمنوا، وأرادوا تسخير ذلك لأغراضهم وغاياتهم المادية العادية البحتة.

كل النعم قد تأخذك لاحقاً بعيداً عن الله. وإلى أن نشدد وبشكل مستمر على أن الله هو البشارة، سيقع الناس في حب ساعي البريد الذي ربما يكون اسمه التسامح ومغفرة الخطايا أو الحياة الأبدية أو الفردوس أو الكهنوت أو المعجزات أو العائلة أو الطعام.

نحن ندق وتداً في الأرض عند زواجنا

هناك بعض العبارات المؤثرة في الإنجيل لحمايتنا من الأخطاء. وإحدى هذه العبارات المفضلة

لدي لأنها قد تمت تلاوتها عند زواجنا في العام 1968 قد وردت في الحبقوق الآية 3: 17 18. "فمع أنه لا يزهر التين ولا يكون حمل من الكروم يكذب عمل الزيتونة والحقول لا تصنع طعاماً ينقطع الغنم من الحظيرة ولا بقر في المذاود فإني أبتهج بالرب وأفرح بإله خلاصي".

ماذا يمكن أن يكون أكثر وضوحاً هنا من أن الله هو أثمن من الحياة وكل الخير الأرضي الذي تمنحه الحياة؟ إن الهدف من هذا الكتاب هو إظهار أن الخير الأعظم الذي تم إرساله والوعد به من خلال البشارة هو تجربة المعرفة والابتهاج بتجليات الله في المسيح.

إن محبة الله الداعمة للحياة هي أفضل من الحياة نفسها

يقول داود الشيء نفسه في المزمور 63: 1 3.

> "يا الله إلهي أنت. إليك أُبكّر. عطشت إليك نفسي يشتاق إليك جسدي في أرض ناشفة ويابسة بلا ماء، لكي أبصر قوتك ومجدك كما رأيتك في قدسك لأن رحمتك أفضل من الحياة. شفتاي تسبحانك".

إن ما هو جدير بالملاحظة والانتباه هو قوله: "لأن رحمتك أفضل من الحياة", الحب الراسخ "هو حب يحتفل به بشكل متكرر في المزامير لأنه ينقذ ويحمي ويصون ويدفع الأعداء. فهو أصل المئات من النعم والبركات الدنيوية. ولكن عندما يجيل داود النظر كلياً في جميع نعم محبة الله الدنيوية، يقول بأن المحبة نفسها "هي أفضل من الحياة"؛ الحياة التي فيها يتم الاستمتاع بالنعم والعطايا الدنيوية. ذكرت ذلك قاصداً أن الله الذي يحبه هو أفضل من كل عطايا ونعم محبته.

"ليس هناك من شيء أرغب فيه سواك"

هو ذا منحى تفكير ناظم الترانيم آساف عندما يرتل هذه الكلمات في صلاته وبشكل أساسي: "برأيك تهديني وبعد إلى مجدٍ تأخذني. منالي في السماء. ومعك لا أريد شيئاً في الأرض. قد فني لحمي وقلبي. صخرة قلبي ونصيبي الله إلى الدهر (مزمور 73: 24 26). ليس هناك من شيء في السماء أو الأرض أرغب فيه معك يا إلهي. وهذا يجب أن يعني، أولاً، إذا ما ضاع كل ما هو خيّر، فإن آساف سوف يبقى مبتهجاً بالله. ويجب أن يعني ثانياً، انه من خلال كل الأشياء الخيّرة على الأرض وفي السماء، يرى آساف الله ويحبه. كل شيء يُرغب فيه بقدر ما يظهر من عظمة الله. ويصوغ أوغسطين ذلك كالتالي: "الذي من يحب كل شيء معك لا يحبك لذاتك"[6].

---

(6) إن المقطعين السابقين مأخوذان من مؤلف جون بيبر: "التقرب من الله من خلال الصلاة والصيام، (Wheaton, III: Cross Way Books, 1997)، 21.

ويصوغها السيد المسيح كالتالي: "مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوِ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي" (متى، 10: 37). يجب أن يكون يسوع هو الكنز المطلق في حياتنا إذا كنا أتباعاً مخلصين ليسوع. لقد مات يسوع من أجلنا وقام ثانية ليجعل بمقدورنا رؤيته وتقديره فوق كل الأشياء بمتعة لا نهاية لها. هو ذاك الخير العظيم الذي قصدت البشارة إنجازه.

لذا فإن أولئك الذين ينفذون البشارة بشكل أعمق يقولون بلسان الرسول بولس: "لكِنْ مَا كَانَ لِي رِبْحًا، فَهذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً. بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ" (فيليبي، 3: 7).

الله هو أعظم نِعم البشارة

إن ما كنت أحاول بيانه في هذا الفصل والذي سبقه هو أنه وعلى الرغم من أن البشارة أرسلت ووعدت بالعديد من العطايا الخيّرة، ابتداء من النعم الأكثر روحانية إلى النعم الأكثر مادية، فإن الله وحده هو الخير السرمدي الموعود في البشارة. وإذا لم نرَ ونقدّر ونتذوق الخير الأعظم بصورة تضاهي ذلك الشعور تجاه الخير في الأشياء الأخرى وما يشملها كلها، لم نصل بعد إلى معرفة لِمَ الأنباء السارّة هي كذلك حقاً. وقد عبّر جوناثان إدواردز بشكل قوي جداً عن هذه الحقيقة بأن الله نفسه هو سعادتنا وبهجتنا المطلقة وهو بهجتنا وسعادتنا الحقيقية التي نلمسها في كل الأشياء.

> إن الذين تم خلاصهم يمتلكون كل الأشياء المرضية العينية الموجودة فعلاً في الله. إن الله نفسه هو الخير العظيم الذي يصل بالمخلّصين ليكون ملكهم ومحل استمتاعهم وسرورهم. إنه الخير الأسمى، وهو الذي يختصر كل الخير الذي قدمه المسيح. إن الله هو إرث القديسين، والذي هو جزء من أرواحهم في حضوره غناهم وثراءهم وكنوزهم، طعامهم، وحياتهم، وفي حضرته مسكنهم. وحليّهم وتاجهم هو، وعزهم الذي لا ينتهي، وهو التألق والبهاء في حياتهم. ليس لهم من شيء أو غاية في الجنة السماء سوى الله. هو الخير المطلق العظيم الذي يلقاه من ثمّ خلاصهم عند الموت، والذي به قيامتهم عند نهاية العالم، إن الله المهيمن هو نور القدس السماوي، "وهو ماء نهر الحياة" الذي يجري، وشجر الحياة الذي ينمو "في وسط جنة الله". إن المقامات العليّة لبهاء وجمال الله ستبقى هي الأنس لعقول القديسين وفكرهم إلى الأبد، وسيبقى حب الله عيدهم ومأدبتهم التي لا تنتهي. وإن من تم خلاصهم سيتمتعون بأشياء أخرى أيضاً، سيتمتعون ويبتهجون بالملائكة، ويبتهجون ببعضهم بعض[7].

(7) تم اقتباسها من أعمال القديس أوغسطين، اعترافات القديس أوغسطين (x، 40)، في ملفات الكنيسة السميحية، المحرر هنري بيتسون Henery Betterson (London: Oxford University Press 1967)، 54.

"أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ. أَيُّهَا الآبُ الْبَارُّ، إِنَّ الْعَالَمَ لَمْ يَعْرِفْكَ، أَمَّا أَنَا فَعَرَفْتُكَ، وَهؤُلاَءِ عَرَفُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. وَعَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ وَسَأُعَرِّفُهُمْ، لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ، وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ" (يوحنا، 17: 24 26).

الفصل الحادي عشر

الإنجيل ما الذي يجعل منه خيراً مطلقاً: رؤية المجد والتألق، أم رؤية نفسك ممجداً؟

إن الأنباء السارّة في إنجيل المسيح هي أن خالق الكون الممجد بعظمته قد جعل في موت المسيح وقيامته ما يزيل أي عائق يحول بيننا وبينه عسانا نجد ابتهاجاً لا ينتهي في شهود وتذوق جماله المطلق. إن محبة الله المخلصة هي في القيام بما يجب القيام به من أجله، ومن أجل أقل الواجبات، وبذلك يجعلهم سعداء إلى درجة قصوى بشكل أبدي، وبالتحديد، سعداء به هو نفسه. لذا فإن رسالة الله ومحبته تمّ التعبير عنهما بالكامل من خلال عطايا ونعم الله من أجل سعادتنا التي لا تنتهي[1]. "أمامك شِبَع سرور، في يمينك نعم إلى الأبد" (مزمور 16: 11).

المسيح يروي جزءاً من الظمأ الروحي

إن من أدركوا تجليات الله على وجه المسيح وتذوقوا ذلك بشكل أكثر كمالاً يحدثوننا عن بعض ذلك.

> هؤلاء الذين عاش المسيح فيهم، وصلوا إلى إرواء جزء من عطشهم الروحي. وصلوا إلى السعادة والطمأنينة الأحق هناك حيث توجد السعادة الروحية الخالصة... هناك حيث التوظيف الأفضل للإدراك والفهم.. [2].

لهذا قال المسيح بأن الأنقياء هم مباركون لأنهم "يعاينون الله" (متى، 5: 8). ولذا قال داود: "واحدة سألت من الرب وإياها ألتمس. أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي لكي أنظر إلى جمال الرب وأتفرّس في هيكله" (مزمور 27: 4). إدراك جمال الله هو على الدوام الرغبة القصوى لدى هؤلاء الذين عرفوه حقاً.

---

(1) البعضٍ من التصورات الهامة حول العلاقة بين قسمي الجواب على السؤال الأول في كتاب ويستمنسر الأسئلة والأجوبة ("النهاية الرئيسية للإنسان هو تمجيده لله والابتهاج والفرح به إلى الأبد") انظر بنجامين وورفيلد "السؤال الأول في كتاب الأسئلة والأجوبة، مؤلفات بنجامين ورفيلد، مجلد 6، (Reprint, Grand Rapids, Michigan: Baker, 2003)، 379– 400.

(2) جوناثان إدواردز، "تمجيد المخلص" مواعظ وحوارات 1723– 1729 مؤلفات جوناثان إدواردز، المجلد 14، المحرر كينيث، پ. منكيما Kenneth P. Minkema، (New Haven, Conn: Yale University Press 1997)، 467.

تمجيد النفس البشرية لا يختلف عن الجنس بالنسبة للجسد

إن حصيلة هذه المقولة هي أن محبة الله ورسالة الله هما بشكل أساسي جعل الله هو المحور والمركز. لأن محبة الله لنا هي أنه منحنا شيئاً من إشراقاته لنبتهج. وتعتبر البشارة أنباء سارة لأنها أعلنت لنا أن الله لم يجعل في المسيح سبيل قبولنا في الجنة وحسب؛ ولكن جعله أيضاً السبيل كي يكون الله معنا. إن الخير الأعظم في البشارة هو "أن يكون الله لنا" كنزا إلى الأبد.

أن يكون الله هو محور المحبة أمر غريب بالنسبة للبشر الآثمين، وخصوصاً هؤلاء الذين كمعظمنا، قد أتخموا على مدى عقود بمعتقدات وأحكام تبعاً لأهوائهم الذاتية. لقد امتصصنا واستوعبنا تعريفات عن الحب والمحبة تجعل منا المحور والمآل. ولهذا نشعر بأننا موضع محبة عندما نشعر بأننا موضع أهمية. لذا فإن تعريف الحب الإنساني الطبيعي هو إصباغ الأهمية على أحدهم. إن السبب الرئيسي لهذا الإحساس بالمحبة هو الشعور بالرضى الكبير والامتلاء الناتج بدوره عن الشعور بالأهمية الكبرى لدى الشخص. ما من شيء روحي في هذا الحب. ولن تكون هناك حاجة إلى التغير أبداً كي نعيش تجربة هذا النوع من "الحب". فهذا الحب هو بكليَّته طبيعي. فهو يعمل على أولويات وسلوكيات متواجدة أصلاً في طبيعتنا الدنيوية، الآثمة، وفي نفوسنا التي ماتت الروح فيها. و ان تمجيد الإنسان هو شعور محبب. لأن تمجيد النفس يضاهي الجنس للجسد. فقط لن يكون هناك تغيّر نحو الأفضل، طالما نحن موتى روحياً.

إن أساس المحبة الطبيعية في النهاية هو أنا وليس الله, وإذا ما جعلتُ من نفسي شيئاً مهماً، أشعر أني محبوب، لأنني الأساس النهائي لسعادتي. لكن ليس لله مكان هنا.

عندما يعتنق الناس الدين دون ان يتغيروا

إن الشيء الذي يثير الدهشة هو أن الناس بإمكانهم أن يصبحوا متدينين دون أن يعني ذلك أنهم تغيروا. وهذا يعني، أنهم ينضمون إلى كنيسة، ويبدأون بقراءة الإنجيل، والقيام بأداء واجبات دينية، دون أي تغيير يطرأ على أساس سعادتهم. فهم ما زالوا على نفس الحال. رغم أنهم الأساس في سعادتهم وبهجتهم. وكونهم موضع الأهمية هو مفهومهم للمحبة الذي جلبوه معهم إلى الكنيسة. لذا فإن ما يغذي الحاجة في أن يكونوا شيئاً مهماً هو الشعور بأن يكونوا محور المحبة. وقد تكون بعض الكنائس مضللة كثيراً بعلمها اللاهوتي. فهي في حقيقة الأمر ترعى وتغذي تلك الحاجة وتسميها محبة. وهي تفسر كل المشاعر الخيّرة في الكنيسة على أن مصدرها حماية الله ورعايته، ولكن يمكن النظر إلى معظمها في الواقع على أنها من السلوكيات البشرية الطبيعية.

وهناك كنائس أخرى لا ترعى وتتعهد عملية التوق إلى إعطاء الأهمية، ولكن عندما يتم الوعظ حول محبة الله، فإن البعض يفهمون أن الله جعل منا شيئاً مهماً. بل من الممكن أن يكون لديهم شعور قوي تجاه الله طالما أنهم يرون فيه ما يؤيد ابتهاجهم في كونهم الأساس والمحور في سعادتهم. وإذا كان باستطاعتهم رؤية الله كمساعد على إجلال أنفسهم فسيكونون سعداء لأداء بعض مما يعلي شأن الله.

كيف يغتبط المنافقون بالله

ما من شيء روحاني في هذه الحالة. لأنها حالة طبيعية بشكل محض، إذ يتم إعادة تأويل الذات الإلهية بما يتناسب مع التصنيفات الدنيوية للأنانية البشرية. وهذا من الصعب تحديده، لأن الإنسان قادر على تحقيق المآثر الجيدة وذلك في غمرة توهج الإعجاب والمديح البشري. وبعبارة أخرى، يمكن ومن خلال أساليب المحاكاة بناء المسيحية على مفاهيم وتصورات مغلوطة بخصوص محبة الله ورسالته. اكتسب جوناثان إدواردز تلك المعرفة ووصل إلى درجة الحزن والمعاناة وذلك عند دراسته للنفاق وتقلباته، والتي عنونها **الصحوة الكبرى** ومضاعفاتها الجانبية. وكنت قد أشرت باختصار إلى هذا الاستبطان في الفصل السابق. ولكني أقتطف هنا مقطعاً أكبر.

> هذا... الـ... فرق بين ابتهاج المنافق وابتهاج القديس الحقيقي أن [المنافق] يبتهج بنفسه، والنفس هي الأساس الأول لابتهاجه، وأن [القديس الحقّ] يبتهج بالله... إن القديسين الصادقين الحقيقيين لهم ذهنيتهم، وفي المقام الأول، فهم وبشكل لا يمكن وصفه مسرورون ومغتبطون بالأفكار الحلوة واللطيفة والتصورات حول الطبيعة الودودة والمبهجة للأشياء الإلهية، وهذا هو منبع كل ابتهاجهم ومتعهم، وصفوة كل مسرّاتهم. إلا أن تبعية أحاسيس ومشاعر المنافقين تأخذ منحى معاكساً: إن اغتباطهم بالدرجة الأولى... ياتي من إحساسهم أنهم محل أهمية كبيرة بالنسبة لله، وعلى هذا الأساس يبدو محببا لديهم[3].

يريد الله بمشيئته أن يجعلنا موضع أهمية

سوف نرى لاحقاً في هذا الفصل أن هناك شعور بأن مشيئة الله أن يضع عباده حقاً موضع أهمية. ولكن الأمر مختلف بالنسبة للأشخاص الذين لم يتغيروا. فأن يخلقنا الله ويضعنا موضع أهمية بالتحديد هو أساس متعتهم وابتهاجهم. إن هذه المسألة لا تنحصر فيما إذا كان بالإمكان أن يتقبل الله أو حتى أن يمدح عباده (وهذا ما يفعله). إن المسألة هي التالية: على ماذا تستند أسس متعتنا

(3) جوناثان إدواردز، المشاعر الدينية، مؤلفات جوناثان إدواردز، المجلد 2، المحرر جون سميث (New Haven, Conn: Yale University Press 1959)، 249- 250، المزيد من التأكيد.

وابتهاجنا؟ ما هي سعادتنا العميقة؟ هل تكمن في أنفسنا أم أن سعادتنا العميقة هي في الله؟

التغيير: التدمير الرحيم لمصدر الفرح الأدنى

إن التغيير المسيحي يكمن في اليقظة الروحية لذواتنا باتجاه بهاء الله ومجده كأساس لسعادتنا. إن التحول هو الكشف الروحي لأن محبة الله لنا لا تعني القبول الإلهي لعواطفنا ومشاعرنا في تمجيد أنفسنا. إن كوننا محل محبة الله حقا إنما يعني التدمير الرحيم لتلك العاطفة. والتدمير ليس هو النهاية بحد ذاتها؛ بل يفتح مجالاً ليجعل هناك متسع للتجربة الروحية لإجلال الله وتعظيم شأنه حتى تكون تلك التجربة هي الهدف بحدّ ذاتها. إن التعظيم والإجلال الروحي لشأن الله ليس الوسيلة التي تفضي إلى السعادة بإعلان شأن النفس وتمجيدها.

أن نكون محل محبة الله هو إبدال رائع لأنها أساس ومصدر فرحنا وسعادتنا وليحل بهاء الله وجلاله محل النفس. إن معظم الناس يعرفون بأن التجارب الأكثر تأثيراً هي تجارب إنكار الذات وغيابها في حضور ما هو جليل مهيب. وهذه اللحظات تمر قليلاً في حياتنا. في معظم الوقت فإن فرحنا يسبب بعض البريق والأبهة لشيء خارج عن ذواتنا يتم تلوينه بوعي الذات والرغبة الملحّة للأنا لنيل حصة من هذا الإعجاب. ولكن تذوقنا للفرح الناتج عن نكران الذات يساعدنا في التعرف على ما يعنيه بحق أن نكون محل محبة الله. إن أفضل عطايا الله ونعمه ليست الاعتزاز بالنفس، بل إن هبة الله الأفضل هي الله، أن نكون محل محبة الله هو المحفز للتحرر والنجاة من ردهة تتجمع فيها مرايا ظننا ذات مرة أنها تجلب لنا السعادة. فالسماء ليست ردهة مرايا، أو ربما ينبغي القول أن السماء هي العالم الذي ضمنه تصبح كل الأشياء المخلوقة مرايا، وجميعها تميل بزاوية بقدر 45° درجة. فأينما استدرنا لنلقي نظرة على كل المخلوقات، نرى الله في تجلياته.

أوحى الله النصوص لكشف الحجاب

يسوق الله جلّ جلاله الوسائل لرفع الحجاب. وإحدى هذه الوسائل هي الكتاب المقدس. لذا سيكون من المفيد تركيز انتباهنا على العديد من النصوص التي تتلاءم بشكل خاص لإظهار بهاء الله وجلاله كأفضل نعمة من نعم محبة الله. لقد وجدت بأن العديد من النصوص في إنجيل يوحنا تساعد على رفع الحجاب عن المحبة الإلهية المحور. أحد هذه النصوص يدور حول قصة مرض أليعازر وموته.

كَانَ إِنْسَانٌ مَرِيضًا وَهُوَ لِعَازَرُ، مِنْ بَيْتِ عَنْيَا مِنْ قَرْيَةِ مَرْيَمَ وَمَرْثَا أُخْتِهَا. كَانَتْ مَرْيَمُ، الَّتِي كَانَ لِعَازَرُ أَخُوهَا مَرِيضًا، هِيَ الَّتِي دَهَنَتِ الرَّبَّ بِطِيبٍ، وَمَسَحَتْ رِجْلَيْهِ بِشَعْرِهَا. فَأَرْسَلَتِ الأُخْتَانِ إِلَيْهِ

قَائِلَتَيْنِ: يَاسَيِّدُ، هُوَذَا الَّذِي تُحِبُّهُ مَرِيضٌ. فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ، قَالَ: هذَا الْمَرَضُ لَيْسَ لِلْمَوْتِ، بَلْ لأَجْلِ مَجْدِ اللهِ، لِيَتَمَجَّدَ ابْنُ اللهِ بِهِ. كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّ مَرْثَا وَأُخْتَهَا وَلِعَازَرَ. فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّهُ مَرِيضٌ مَكَثَ حِينَئِذٍ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ يَوْمَيْنِ. (يوحنا، 11: 1 6).

التوقيت العجيب لمحبة المسيح

إن الأمر الأول المثير للدهشة في هذا النص هو عدم مغادرة يسوع المسيح المكان في الحال وذلك للوصول في الوقت المحدد لشفاء لعازر. مكث يومين حيث كان (آية: 6). وبعبارة أخرى، هو تأخر عن قصد وترك لعازر يموت. والأمر الثاني المثير للدهشة هنا هو وصف هذا التأخير كنتيجة لمحبة يسوع المسيح لأصدقائه لاحظ كلمة "لذا" في بداية الآية (6): "كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّ مَرْثَا وَأُخْتَهَا وَلِعَازَرَ. فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّهُ مَرِيضٌ مَكَثَ حِينَئِذٍ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ يَوْمَيْنِ ". لقد ترك يسوع لعازر يموت، لأنه كان يحبه وأختيه.

ماهو المنطق في ذلك؟ لقد أعطى يسوع الإجابة في الآية (4) عندما أخبر تلاميذه سبب مرض لعازر: "هذَا الْمَرَضُ لَيْسَ لِلْمَوْتِ، بَلْ لأَجْلِ مَجْدِ اللهِ، لِيَتَمَجَّدَ ابْنُ اللهِ بِهِ".

لدى يسوع المسيح خطة. سوف يترك لعازر يموت وسيقيمه من الموت؛ لقد كانت تلك خطة باهظة الثمن. كان على لعازر أن يمضي في عذابات الموت، وسيكون على عائلته الصبر أربعة أيام من الحزن على موته.

لقد وضع يسوع المسيح بعين الاعتبار أن الثمن يعطي الحدث قيمة وأن توضيحاته ذات شقّين. أولاً: ترك لعازر يموت كي يقيمه من الموت. وهدفه إظهار مجد الله وعلوّ شأن حبيبه. ثانياً: في هذا الكشف الباهظ الثمن لرفعة شأنه تبدو محبته لهذه العائلة.

محبة المسيح غير الواضحة

سيظن العديد منا اليوم أن يسوع شخص متحجر قاسي الفؤاد وغير محب بسبب ترك لعازر يموت. وسوف يضيفون ناقدين: إنه متغطرس ومغرور بنفسه فيما إذا كان مدفوعاً برغبة لعرض علوّ شأنه. ويمكن القول إن ما يظهره الانتقاد هو مدى جنوح معظم الناس إلى جعل قيمة الحياة الخالية من الألم أعلى شأناً من مجد وعظمة الله. الحب بالنسبة لمعظم الناس مهما تكن صفته يضع قيمة الإنسان وصحة الإنسان في أعلى المراتب، لذا أن تدعو سلوك يسوع بالمحبة يبدو أمرا غير منطقي بالنسبة لهم.

ولكن دعونا نتعلم من يسوع ماهي المحبة وماهي الكينونة المعافاة السليمة حقاً. فالمحبة هي

فعل ما أنت بحاجة للقيام بفعله لمساعدة الناس لإدراك وتذوق وتقدير جلال الله وتجلياته على المسيح دائماً وإلى الأبد. المحبة تُبقي الله هو المحور. محاكاة يسوع في ذلك لا تعني أننا نبحث لنعرض رفعة شأننا. المحاكاة له تعني أننا نبحث للقيام بعرض رفعة شأنه، وبحث يسوع عن رفعة شأنه هو بحثه عن مجد الله، علينا البحث عن علوّ شأن يسوع وعن جلال الله ومجده. إن يسوع هو المخلوق الوحيد في هذا الكون الذي يمثل تعظيم النفس وإعلاء شأنها لديه فضيلة أسمى والفعل الأكثر ودّاً. فهو حبيب الله لذا فإن أثمن ما يعطيه هو الكشف عن نفسه.

كيف يحبنا المسيح من خلال الصلاة التي تعلي من مقامه

يؤكد يسوع بأننا هنا على المسار الصحيح بسبب صلاته من أجلنا وذلك في يوحنا (17). وأن الله سوف يعلي من شأنه، وأنه علينا رؤية رفعة شأنه ومجده. وأنا أزعم أن يسوع عندما يصلي من أجلنا، هو الذي قال ("لَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هؤُلاَءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلاَمِهِمْ" الآية 20) فهو يحبنا. فصلاته هي فعل محبة. لذا هو في يوحنا (17) يصلي، "أَيُّهَا الآبُ، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ أَيْضًا، وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ" (الآية 1، 5).

كم يبدو ذلك غريباً، إن محبته انسكبت في الصلاة عسى أن يتم رفع شأنه. ولكن لا يبدو ذلك غريباً أبدا بالنسبة للذين رفع حجاب أنا الإنسان عن بصائرهم. هو ذاك البهاء الذي خُلقنا من أجله. إن إدراك وشهود بهاء وإشراقات الله متجلية على المسيح هي النعمة الأعظم والسعادة الأكبر التي تم تأهيلنا لها وإسباغ ذلك علينا هو ما تعنيه تلك المحبة. في الآيات 17: 24 يجعل يسوع واضحاً أنه يصلي من أجل مجده لعلنا ندرك مجده. "أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ.". إن محبة يسوع قادته للصلاة من أجلنا، ثم الموت من أجلنا، فليست قيمتنا هي المحور، ولكن عسى أن يكون مجده ورفعه المحور المهم، وبذلك يكون بإمكاننا إدراكه وتذوقه وتقديره إلى ما لا نهاية. وهذا هو الخير الأعظم في الأنباء السارّة للرسالة. "إلهي ليكن هؤلاء الذين جعلتهم من خاصتي معي في حضرتك.. ليروا المكانة الرفيعة التي وهبتها لي". وهذا ما يعني بالنسبة ليسوع أن يكون محباً لنا. إن الحب الإلهي يتحمل ويعاني ليأسرنا ليفتننا بما يرضينا ويشبع احتياجاتنا بشكل لامتناهٍ: فالمسيح كلمة الله المتجلية[4].

(4) يغفل الـ NIV المعنى الكوني لـ ουν من مثل "من أجل ذلك" أو "لذا" ويسقط الآية كاستدراك عوضاً عن

الانقسام والانشطار الجائر

إن السؤال الذي يجب أن نطرحه على أنفسنا عندما يتم تمجيدنا في البشارة، وعندما نفرح ونبتهج بمحبة الله هو التالي: هل أننا محل محبة الله لأن الله أراد أن يجعلنا محل أهمية أو أن ذلك هو لذات الله؟ إنه سؤال عميق الأثر.

ولكنه أيضاً وإلى حدّ ما سؤال غير محق فيما إذا تم أخذ العبارة بشكل مطلق خارج السياق وليس ضمن سياق ورودها في هذا الفصل. إن ما هو غير محق في هذا السؤال هو أنه يجعلك متمسكاً بقوة باحتمالين وخيارين ليس بينهما علاقة متماثلة بشكل حصري[5] من الممكن أن يكون كلاهما محقّان. وقد أقررت بذلك قبلاً. هناك مفهوم من خلاله جعلنا الله محل أهمية. هذا ليس محل نقاش. وإنما ما أقدمه كإجابة هو أن هذه الحقيقة هي ليست هدفا أسس سعادتنا وفرحنا. وإذا كان الأمر بالنفي، إذن كيف تمثل ذلك في أنباء البشارة السارّة؟ إن الإجابة عن هذا السؤال يقودنا إلى الانطباعات الأخيرة حول معنى التمجيد والإجلال ومسألة ما إذا كان تشبهنا بالمسيح أو إدراك مجد المسيح هو أعظم خير في الأنباء السارة.

كيف يجعلنا الله محل أهمية؟

إن الطريقة التي جعلنا الله من خلالها محل أهمية هو أن خلقنا على صورته في أحسن تقويم وأطلق على هذا الخلق "أحسن تقويم"، ثم بعد الهبوط مضى إلى ما بعد إعادة التكوين إلى مستوى جديد من التحويل والتغيير، وبالتحديد، إلى تجسيد كلمته في حبيبه "وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضاً صورة السماوي" (كورنثوس 1، 15: 49).

إن تحولنا على مثال المسيح يتتابع ويمضي بصورة متواصلة ومتقدمة في هذه الحياة وسيلغى تمامه عند البعث والنشور. إن البهاء والمجد الذي حصلنا عليه بهذه الطريقة كان له تأثير في تلقينا الثناء والرفعة من الله.

هناك مؤشرات إنجيلية واضحة على هذا التشريف وتلك الرفعة اللافتة للنظر بأن الله ورغم آثامنا وخطايانا أصبغ علينا رحماته دون مقابل. "فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله

الاستدلال من خلال ترجمتها بمعنى "حتى عندما سمع بأن أليعازر كان مريضاً..." ويلاحظ د. أكارسون D. A. Carson بأن تقديم الـ NIV للافتتاحية، المجلد 6، دون دفاع لغوي... إن يومي التأخير كان الدافع وراءهما محبة يسوع لمارثا، ماري أليعازر". "رسالة يوحنا، (Grand Rapids, Mich: Eerdmans, 1991)، 407.

(5) إن هذه المفاهيم حول يوحنا في ما ورد في 11 و17 تم إصدارها في الأصل في "كم هي غريبة ورائعة محبة المسيح" مؤلف جون بيبر "ينفذ من خلال الكلمة"، (Sister, Ore: Multnomah, 2003)، 11– 15.

خلقه. ذكر أو أنثى خلقهم... ورأى الله كل ما عمله، فإذا هو حسن جداً (التكوين، 1: 27، 31). ثم وخلال تحولنا نحو المسيح، بدأ الله ذلك ثانية: "إذاً إذا كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة" (كورنثوس 2، 5: 17). "لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة" (أفسس، 2: 10). "إذا خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه" (كولوسي، 3: 10).

إن إرادة الله في خلق عباده هي للتوافق مع مثال المسيح "لأن الذين سبق فعينهم مشابهين صورة حبيبه ليكون هو البكر بين كثيرين (رومية، 8: 29). "ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد" (كورنثوس 2، 3: 18).

هذا التوافق مع المسيح يعني بأننا نتشارك في تجليات إشراقات الله روحياً ومادياً. وهذا يتضمن أجسادنا. وعندما يعود المسيح ثانية "سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة مجده". يدعو بولس ما سيحدث لنا "تمجيد" "فالذين سبق نعيهم هؤلاء دعاهم أيضاً، والذين دعاهم فهؤلاء برّرهم أيضاً، والذين برّرهم فهؤلاء مجدهم أيضاً (رومية، 8: 90). إن البهاء والتألق سوف يكون ساطعاً بشكل مبهر، وسوف نكون بحاجة لبصر جديد غير بصرنا لننظر إلى بعضنا بعض بسعادة غامرة "حِينَئِذٍ يُضِيءُ الأَبْرَارُ كَالشَّمْسِ فِي مَلَكُوتِ أَبِيهِمْ." (متى، 13: 43).

سنكون كالعروس التي تتهيأ لزوجها الطاهر النقي "أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا، لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّرًا إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ، لِكَيْ يُحْضِرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذلِكَ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلاَ عَيْبٍ." (أفسس، 5: 25 27). إن التمجيد لعروس المسيح سيكون جوهرياً حيث يقول بولس إن بقية الخلق سوف تحصل على تحولها من تحولنا "لأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ." (رومية، 8: 21).

إن حصيلة هذا التحول المدهش سيكون في أن الله جلّ جلاله سينظر إلينا بسرور شديد، ويمجدنا "الرب إلهك في وسطك جبار. يخلّص، يبتهج بك فرحاً. يسكت في محبته. يبتهج بك بترنيم" (صفنيا، 3: 17). يقول بطرس بأن مذاق ونقاء إيمان المؤمنين سوف "توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح" (بطرس 1، 1: 7). ويقول بولس عن المسيحي الحقيقي أنه "ليس من الناس بل من الله" (رومية، 2: 29).

وفي يوم القيامة يوم الدينونة الكبرى "كل واحد يتلقى مكافأته [أو: مديحه، ثناءه] من الله"، حيث يخبرنا بولس قائلا: "أما الذين بصبر في العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء فبالحياة الأبدية" (رومية، 2: 7).

سنرى المجد، وسنكون موضع ثناء وتمجيد

وبهذا المفهوم والإدراك والإحساس، يمكننا الحديث عن جعل الله محل أهمية لنا. فسوف نشهد جمال الله، وسوف ينعكس علينا هذا الجمال. سوف نشهد مجداً، وسنكون موضع ثناء ومجد. ويصيغ جوناثان إدواردز هذا المشهد كالتالي:

> كم هو مفرح أن المحبة التي تكون في ارتقاء لا نهائي شاملة لكل هذه الأمور. والتي من خلالها يتم الكشف وبصورة مستمرة عن جمالات جديدة، وعلى المزيد والمزيد مما تعشقه النفس. وعندما سَتُسبغ علينا قدرة الكشف في الحقيقة، ونتلقى المزيد والمزيد من تعابير الود والحب الآسر إلى الأبد. سيصبح حينها اتحادنا وألفتنا أكثر وثاقة، وارتباطنا أوثق، وانسجامنا أكثر حميمية[6].

الرؤية والكينونة كلاهما سيكونان في ازدياد, "جمالات جديدة تكشف باستمرار" في الله، ثم "سوف تزداد في الجمال أنفسنا إلى الأبد". ليس بإمكان الفكر المحدود الإحاطة بالفكر اللامحدود وبلوغ نهاياته اللامحدودة. إن قدراتنا المحدودة على الفرح ليس باستطاعتها إدراك كل الفرح الذي يكون هناك في النبع الذي لا ينضب. لذا، فإن الطور الذي لا بد قادم سوف يحمل مزيدا من العرفان والإدراك والمحبة إلى ما لا نهاية[7]. وهذا يعني أن الحقيقة الواردة في (كورنثوس 2، 3: 18) لا تتوقف "وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا في مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ". وكلما كان إبصارنا له أفضل، كلما كان انعكاس مثاله أفضل إلى ما لا نهاية.

يجب أن نكون على مثال المسيح كي نرى مجده كاملاً

إن السؤال الأخير إذاً هو التالي: هل الخير الأعظم المرسل والموعود به في البشارة هو الصيرورة على مثال مجد المسيح أم رؤية المسيح وإدراك مجده ؟

---

(6) إن صديقي وزميل الدراسة على مدى أكثر من 25 عاماً توم ستيللر Tom Steller، حصل على سلفة لطباعة هذا القسم من أجلي ومساعدتي على كتابة تتمة هذا الفصل بالطريقة التي اتبعتها. إن ما قمت بكتابته ما كان ليكون فيه توازن إنجيلي لولا معلومات توم المفيدة.

(7) جوناثان إدواردز، "كتابات متنوعة أدبية"، مؤلفات جوناثان إدواردز، المجلد 13، تحرير توماس أ. شفر Thomas A. Schaefer، (New Haven, Conn: Yale University Press, 1994)، 336– 337.

هناك دليل في ما ورد في (رومية، 8: 29) في ارتباطها بما ورد في (كولوسي، 1: 18). حيث يقول بولس "لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ، لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ." (رومية، 8: 29). ماهو المضمون والمغزى في قول بولس "... كي يكون البكر بين كثيرين". إن كلمة "البكر" هي من الأهمية بمكان. وقد تم استعمالها ثانية في (كولوسي، 1: 18). "هو البداءة بكر من الأموات. لأنه فيه سرّ أن يحلّ كل الملء". معظم المفاهيم تلتقي حول ان المسيح مات وقام من بين الأموات كبكر بين أقرانه كي يكون محل رؤية وابتهاج وتفوق وعلو شأن ورفعة وتألق وبهاء.

وبعبارة أخرى، فأن نكون مثل المسيح هو أن نكون جاهزين وقادرين على رؤية وتقدير عظمة بهائه ومجده. علينا أن نتحلى بخصاله وأن نكون مثله كي نعرفه وندركه ونحبه ونعجب به بالطريقة المرجوة. "كي يكون البكر بين أقرانه" يجعل ذلك واضحاً للعقل بأن المسيح هو دائما وأبداً متفوق على أقرانه. ينبغي أن نصبح مثله، لا مجرد أن نكون من أقرانه، ولكن وبصورة رئيسية أن نملك طبيعة تكون بشكل تام شاعرة برهبته كواحد نعرفه "متقدماً في كل شيء" (كولوسي، 1: 18 NASB).

وبدون كلمات كتلك الموجودة في نهاية البشارة إلى أهل رومية (8: 29) وإلى أهل كولوسي (1: 18) كم هو سهل أن ننزلق إلى مشهد وفكرة الإنسان المحور، الأنا الإنسان. نحن ننزع إلى جعل مماثلتنا للمسيح هدف أقصى للرسالة، وهو هدف متألق عظيم. ولكنه لن يكون الهدف الأقصى. لإن إدراك وتذوق وتقدير وإظهار تفوق المسيح هو الهدف الأقصى.

اختبار شخصي بخصوص الأهم المطلق في قلوبنا

يجب علينا إجراء اختبار على أنفسنا من خلال بعض الأسئلة. من السليم أن تجدّ وراء مماثلة المسيح. ولكن السؤال هو، لماذا؟ وماهي جذور دوافعنا؟ ضع في الاعتبار بعض خصائص وصفات المسيح التي نجدّ وراءها واطرح هذه الأسئلة.

- هل أريد أن أكون قوياً مثل المسيح، وهكذا أكون محط إعجاب لأني قوي، أو كي يكون باستطاعتي قهر كل خصومي وهذا ما يجذبني للتكريس والتأسيس لأي متعة وبهجة هي أقل من بهجة الإعجاب بأقوى الأشخاص في هذا العالم، المسيح؟

- هل أريد أن أكون تقياً مثل المسيح، وهكذا أكون محل إعجاب كوني تقيا، أو ليكون بإمكاني أن أتحرر من كل المتع التي تحول بيني وبين إدراك وتذوق ورع المسيح وقدسيته ؟

- هل أريد أن أكون محبوباً مثل المسيح. وهكذا أكون محل إعجاب كشخص محبوب؟

إن السؤال ليس فيما إذا كنّا سنحظى بكل هذا الشبه المتألق للمسيح. فسوف يكون لنا ذلك. ولكن السؤال هو إلى أي حدّ؟ فكل شيء وكما جاء في رسالة رومية 8: 29 30 هو عمل الله، اختياره لنا، قضائه وقدره فينا. استدعاؤنا، إنصافنا وتبرئتنا من الإثم والعفو عنا، أخذه بنا إلى ذروة المجد كل ذلك محدد بمشيئة الله لا ليجعلنا محل أهمية بشكل مطلق، ولكن ليحررنا فيجعلنا أهلاً للاستمتاع برؤية المسيح وجعله محل أهمية إلى الأبد.

ليس في الختام كينونة ومشاهدة، ولكن ابتهاج فرح وشهود

ربما لم نصل إلى طرح السؤال بالطريقة الأفضل. السؤال هو فيما إذا ما كان إدراك وشهود الله وأن نكون على صورته هو أكبر وأعظم نعمة في البشارة. ربما نتوقف قليلاً عند تحديد هدف الكينونة والإدراك والشهود. إنه الابتهاج والفرح في انكشاف بهاء الله ومجده متجليا على وجه يسوع المسيح. "أن يشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه المسيح (كورنثوس (2)، 4: 6).

يشير يسوع إلى ذلك من خلال الطريقة التي أنهى بها صلاته وذلك كما ورد في يوحنا 17 الآية 24. لقد ابتهل عسى أن نكون معه حيث يكون لرؤية مجده. إن التأكيد هو على نعمة البشارة العظيمة في شهود البهاء والإشراق الإلهي. ولكن العبارات الأخيرة ليسوع، الصلاة التي وردت في الآية (26) هي بمثابة وعد يسترعي الانتباه تجاه الإشراق والبهاء الذي سيدركنا بشهودنا لهذا التألق والبهاء: "لقد جعلت اسمك معروفاً لديهم، وسأستمر في جعله معروفاً، لعل الحب الذي أحببتي يحلّ فيهم ويكون لهم. وأنا فيهم".

إنه لوعد يوقع الرهبة في النفس. فهو لا يقول فقط بأننا سنشهد مجده، ولكن يقول إنه وعندما نراه، سوف نحبه المحبة التي يحبها الله لوليّه "... وعسى أن الحب الذي أحببتي إياه يكون من حظهم". إنها المحبة التي قوامها فرح أقصى. لدى الله فرح غير محدود بمجد وليّه. ونحن موعودون بحصة من هذا الفرح. وهذا يعني بأن الشهود والكينونة، بحدّ ذاتهما ليسا هما الربح المطلق في البشارة. لإن الرؤية تقود إلى التذوق، وإلا ليس هناك أنباء سارة على الإطلاق.

النظر إلى بهاء الله ومجده سيكون روحياً ومادياً

ومن خلال وسيلة التذوق والابتهاج والسرور الشديد بإشراقات الله، يأتي الشهود. وهو يحدث داخلياً وخارجياً. داخلياً؛ مشاعر الابتهاج نفسها تكبر وتعظم قيمة الله عز وجل ككنزنا الأعظم,

يشرق الله فينا عندما يكون هو كل شيء بالنسبة لنا. أما خارجيا، فإن كل الجهد لرفع شأن المسيح يتدفق وينساب من الابتهاج بالمسيح، وكل ما كنا ذكرناه في الفصل السابق حول أهمية الخلق المادي يصبح شديد الأهمية في هذه المرحلة. جميع الخلق، ولكن على وجه الخصوص الذين تم خلاصهم من البشر، سيشرقون بإشراقات الله وينظرونها حسياً وبشكل منظور. سوف يكون ذلك روحياً وحسياً. إن فرح قلوبنا برفعة شأن المسيح وبأداءاته الرفيعة الشأن في إعادة أجسادنا إلى الحياة، فكلا الأمرين سيجعلان مجد الله مميزاً ومعلوماً.

كيف لنا الحديث عن كينونتنا وإدراكاتنا وإبصاراتنا المستقبلية إذا لم تكن هذه النعم هي النعمة المطلقة في البشارة؟ كيف لنا الحديث عن كينونتنا كي نصير "شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ" (2 بطرس، 1: 4) وأن نكون "مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ" (رومية، 8: 29). وناظرين مجده (يوحنا، 17: 24). كيف لنا أخيراً الحديث عن كينونتنا التي أسبغ الله عليها الأهمية؟

مؤشرات لا تنتهي للكشف المتزايد للبهاء الإلهي

إنها كارثة بالنسبة لنا إذا نحن تحدثنا عن وجودنا، أو كينونتنا، بحدّ ذاتها. ومن أجلها. فنحن وجدنا بواسطته، ومن خلاله، ومن أجله (رومية، 11: 36). إن الأمر الجيد المطلق والأعظم في البشارة ليس الإعجاب بالنفس أو بأداءاتها وأفعالها، ولكن الشيء العظيم في البشارة هو كينونة قادرة على إدراك وشهود بهاء الله وإشراقاته دون تجزيء، وكينونة قادرة على الابتهاج والتألق في بهاء ومجد المسيح كابتهاج الله بحبيبه، وكينونة قادرة على أداء مهمات المسيح التي ترفع الشأن والتي تنساب من ذاك الفرح وتلك البهجة. لذا فإن حضور الله فينا هو الأساس لشهوده ومعرفة ذاته، وهذا يمثل الأساس في التذوق ثم التألق في بهاء الله من خلال الفرح به، وهذا بدوره يفيض بشهود بصري لبهاء الله.

وعندما يرى كل واحد منا المسيح ويبتهج بالمسيح كابتهاجه بالله بتدخل من الروح، سوف نفيض بأفعال محبة مرئية. وبقدرات إبداعية في العالم الجديد: بهذه الطريقة سوف نرى انكشاف بهاء الله على حياة كل واحد منا بطريقة جديدة للغاية. أبعاد جديدة للثروة الوافرة لبهاء الله متجلية في المسيح سوف تشع وتسطع وعداً على الملأ كل يوم من فرحنا الجديد والأفعال الجديدة. وهذه بدورها سوف تصبح بمثابة أسلوب جديد لإظهار ورؤية المسيح الذي سوف يثير ابتهاجات جديدة وأداء جديد. ومن ثم فإن الإشارات المتنامية دائماً للكشف عن مكنونات بهاءات الله سوف تتحرك في مدارات دائمة وإلى الأبد، و سيتوضح هذا من خلال الخير المطلق والنهائي في البشارة يتجلى

وذلك في الله[8].

(8) يصف جوناثان إدواردز العلاقة بين المدركات الحسية السارّة، من جانب والابتهاج والسرور الروحي بالله، من جانب آخر في مرحلة تأتي بعد انبعاث أجسادنا من جديد: "إن هذه السعادة من خلال المدركات الحسية الخارجية، سوف يتاح لها وبالفعل، أن يكون الله مدركاً لها. وسيكون ذلك من خلال تجليات الله على المسيح. تمجيده الظاهري الذي يكون مرتباً في مرتبته وفي محيطه ليكون كلياً وبشكل مطلق خاضعاً لرؤية روحية مستمدة من المجد الروحي السماوي الأرفع، الذي سيكون رمزاً، لحضور دائم أبدي وخاضعاً لابتهاج روحي أرفع لدى القديسين. وضمن هذه الاعتبارات فإن الجسد يكون جسداً روحياً، وخاضعاً لسعادة الروح وابتهاجها، ولن يكون هناك نزوع أو جموح أو خطر أو هيمنة. إن هذا المجد الظاهر للعيان يكون خاضعاً للشعور بالمجد الروحي". "كتابات أدبية متنوعة" مؤلفات جوناثان إدواردز، المجلد 18، المحرر آفا شامبرلين Ava Chaimbrlain، (New haven, Conn: Yale University Press, 2000)، 315.

استنتاج

الله هو البشارة دعونا نقدم القربان ونغني

لن يكون حباً إذا لم يكن لله

ان محبة الله لنا محبة ليس باستطاعة كائن أن يقدمها. فما من أحد في هذا الكون يستطيع أن يحب من خلال إعطائنا نعمة من ذاته. ولست أعني بأنه ليس باستطاعة البشر تسخير حياتهم من أجل الآخرين ودعوة ذلك محبة. أقصد ليس هناك من كائن بإمكانه تسخير حياته في سبيل الآخرين وذلك بغاية إمكانية أن يعتز الآخرون به، ويدعو ذلك محبة.

أنا لست بالكنز الذي يفي بكل الحاجات. لذا، فإن متّ أو عشت أو فارقت حياتي بغاية أن تمتلكني ككنز لك، أضلك وأحرف قلبك عن محبة الله، عن بهجتك السرمدية، وإذا ما أحببتك، يجب أن أعمل ما قام به يسوع المسيح. عليّ أن أعيش وأموت في سبيل أن أعرّفك على الله. هذا ما فعله يسوع المسيح، وهذا فعل الله تعالى، انه الفعل الإلهي الأسمى.. المحبة في تعريفنا على صفاته فنحبه.

ولنقول ذلك بأسلوب آخر. هناك في سبيل هذه المحبة مشقات، وإذا ما هناك حاجة تكون معاناة لنفتتن ونكون أسرى لما هو مُرض ومشبع لحاجاتنا بشكل نهائي وإلى الأبد، يعني إنه الله: وهذا حقيقي بالنسبة لمحبة المسيح، وهو حقيقي بالنسبة لمحبتنا. عانى المسيح في محبته ليعطينا الله. ونحن نعاني في محبتنا لنعطي الله للآخرين. إعطاء أنفسنا دون إعطاء الله يبدو محبة للعالم "ولكن ليس ذاك، فنحن بدائل هزيلة عن الله، نحن لسنا ذوي شهامة إذا متنا من أجلهم، ولم يكن لقلوبنا توق في أن يكون موتنا هو الذي يرشدهم إلى الله. إن إحدى التلميحات الخارجة عن المألوف في هذا الكتاب، هو أنه وفيما إذا ما كنا سنحب كالمسيح، سوف نتحمل مهما كان الألم الذي علينا تحمله لجعل مجد المسيح ملموساً. إن هدف المحبة سواء بواسطة كلمة البشارة أو التضحية بحياتنا إنما هو لأسر الحبيب بمجد المسيح الذي هو من تجليات الله إلى الأبد.

البشارة وجوهرها الأساسي الضروري الحرفي الفعلي التاريخي

هكذا رأينا بأن الخير الأسمى والأفضل والنهائي وما يجعل البشارة أنباء سارّة هو مجد المسيح الذي هو من تجليات الله (كورنثوس 2، 4: 4). رؤية وتذوق وإظهار ذلك للعيان دون أي خطيئة، وبمساعدة قديرة من الروح هو الابتهاج النهائي الموعود في البشارة. موت وقيامة يسوع المسيح

من أجل خطايانا هي المآثر الأساسية التاريخية للرسالة (كورنثوس 1، 150: 3 4). ليس هناك رسالة دون أن تكون ذات حقيقة حرفية وفعلية تاريخية.

ولكن هذه الأحداث هي أنباء سارّة بسبب ما ينجم عنها. أن تقف وحدها عند حدود التاريخ دون تأثير، لن تكون هذه الأنباء والحال هذه أنباء أبداً. إنها أنباء سارة لأنها ومن خلال موت المسيح و قيامته صار طلب الرحمة من الله من عقابه وغفران خطايانا وإسناد الصلاح والاستقامة إلى المسيح، كل ذلك صار بالنسبة الينا بواسطة الإيمان فقط. إزالة غضب الله علينا، إزالة الإثم والذنب عنا. طاعة المسيح تم اعتبارها كطاعتنا تلك هي نتيجة كون المسيح قد صلب عوضاً عنا وقام من بين الأموات.

العديد من المسيحيين يقفون هنا عاجزين مترددين عند الإجابة عن هذا السؤال: ما هي البشارة؟ العديد يظنون بأنهم ذكروا بأن الخير في الأنباء السارّة هو ذهاب غضب الله ورفع الخطيئة، والتحلي بالاستقامة. ولكن لِمَاذا الاسترحام والصفح أنباء سارّة؟ ما الذي يجعل منها أنباء سارّة؟ إن الإجابة عن هذا السؤال هو ما يحدث كل التباين والاختلاف في العالم.

الخير هو الله

حتى لو أجاب أحدهم أن هذه الحقائق هي أنباء سارّة لأنها تمنح النجاة من الجحيم ودخول الجنة، فماهو الشيء الذي نتعلمه من هذه الإجابة؟ لم نتعلم بعد الأمور القاطعة المصيرية. لم نتعلم بعد لم يريد الشخص دخول الجنة. آه.. كم هناك العديد من أولئك الذين تمثل الجنة بالنسبة اليهم الغياب المحض للألم وحضور السعادة الأبدية! ولكن يأتي الآن السؤال الحاسم المصيري بكل معنى الكلمة: هل السعادة هي الله نفسه أم هي بسبب نِعم الجنة؟

إن موضوع هذا الكتاب هو أن البشارة المسيحية هي ليست فقط أن يسوع مات وقام ثانية؛ وليست فقط أن هذه الأحداث عملت على تهدئة غضب الله، وعلى العفو عن الآثام، وتبرئة الخاطئين، وهي لا تعني أن هذا الخلاص من الخطيئة يجنبنا الجحيم ويدخلنا الجنة فقط، وانما تعني دخولنا في حضرة بهاء الله ومجده في تجلياته على وجه يسوع المسيح، وذلك هو كنزنا الأعظم، والمشبع لكل حاجاتنا، والذي يدوم إلى الأبد.. "فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ، مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلكِنْ مُحْيىً فِي الرُّوحِ" (بطرس (1)، 3: 18).

الله هو البشارة

إن ما أعنيه بالعنوان بأن الله هو البشارة ... هو كون ذات الله هي مدار الابتهاج بمجد الله وبهائه...الابتهاج بعودة دفق شعاع الله ومجده من خلال نعمة السماء ثم التبرئة والصفح والغفران والاسترحام والصلب.

والآن عندما نعلن عن موت المسيح وقيامته كأنباء سارة، لن نكون حينها فقط جذلين بصنيع الله أو بنعم الله، ولكننا بذلك نبدي السبب المبهج لإطلاق صفة الأنباء السارّة على ذلك كله. وعندما نعلن بأن موت يسوع وقيامته هما الأساس لطلب الرحمة من الله لرفع غضبه وسؤاله العفو عن الإثم، والوصف بالصلاح، فنحن لا نقوم فقط بتخفيف الذنب والتحرر من المخاوف بل نحن حينها نكون مبينين لمجد الله. نحن لا نجعل الإرادة والنعم الإلهية معلومة وبادية للعيان فحسب، بل نحن نبدي للعيان حقيقة جمال وقيمة المسيح نفسه الذي يمثل تجليات صورة الله. ومن خلال قدرة الخلق الفائقة المطلقة للذات الإلهية، فنحن نفتح البصائر الكليلة العمياء لإدراك ما في البشارة (الـ 26: 17ط؛ كورنثوس 2، 4: 4، 6) "هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.". نحن نوضح أنه ليس هناك من خلاص بواسطة البشارة إذا لم يكن بالاستطاعة رؤية وتذوق النعمة الأسمى والنهائية التي في البشارة. إن النعمة هي بهاء وقيمة وجمال كنز المسيح نفسه الذي هو مربٍ وإنسان بكل معنى الكلمة.

قدرة مجد المسيح على أحداث التغيير من خلال البشارة

والآن، عندما ننشغل بالتطهر الصراع من أجل الطهارة من الآثام فنحن نصارع بواسطة وسائل البشارة ربما بشكل مختلف مما عهدنا على الإطلاق. فنحن في صراعنا، وفي تصالحنا، ثم في عظاتنا (بالنسبة لبعضنا)، سنتبين بأن قدرة البشارة على تغييرنا وتحويلنا لنكون بشكل بالغ أناس لطفاء محبين، ليس بسبب كوننا قد غُفِر لنا أو اعتبارنا صالحين، ولكن ذلك بسبب رؤية وإدراك وتذوق بهاء ومجد المسيح وتألقه في البشارة.

وكما جاء في كورنثوس (2، 36: 18) سوف نرتقي ونسمو إلى حيث المنزلة السامية الرفيعة وذلك عند انشغالنا الفعلي العملي ومسيرتنا نحو المحبة والصلاح "ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الربّ الروح". وبعبارة أخرى سيكون الصراع كي نصير على صورة المسيح، كما لم يكن أبداً من قبل، صراعاً لإدراك ورؤية وتذوق تجليات يسوع المسيح.

وعلى سبيل المثال، فإننا عندما نحاول مساعدة صبي مراهق للتغلب والانتصار على الفحش

والفاحشة، فنحن نعمل ونصلي ونبتهل كي يدرك ويتذوق بهاء مجد المسيح. فنحن لن نقوم باستعمال الصيغ المسؤولة، والمنطق البشري. بل سنبحث عما يروي ظمأ عقله وقلبه بالرؤى والمفاهيم والتصورات التي تعطي انطباعاً عن المسيح الذي يرضي كل الحاجات. نحن لن نقول بأن ذلك سهل. سوف نتذكر بأن إله المادة المسيطر على هذا العالم يريد أن يعمي بصائرنا وعقولنا عن إدراك ورؤية نور مجد رسالة المسيح (كورنثوس 2، 4: 4). ولكننا أصبحنا الآن على علم بالمعركة التي يدور فيها الصراع بشكل أساسي. إنها معركة فيها الصراع على مستوى تصور روحي. وهو الطريق إلى الحرية الإلهية وإلى محبة المسيح الجذرية.

والآن دعونا نصلي ونقدم القربان ونغني

لقد وصلنا إلى نهاية الكتاب. كيف سيكون وداعنا لبعضنا بعض؟ ربما بأخذ عهد على الصلاة والكلمة والعظة. من الآن فصاعداً اجعل هدفك رؤية وإدراك مجد المسيح في البشارة. اجعل هدفك أن تدع بصيرة قلبك متفتحة ليسطع قدر أكبر من حزم أنوار التألق في البشارة إلى أن يرتاح تركيز فكرك ومشاعرك القلبية عند الذات الإلهية، وعندما، تكون قد حررت نفسك من تفاهة وغرور هذا العالم، ضع نصبك الهدف الأسمى والأكثر تواضعاً والأكثر إسعاداً في هذا العالم إظهار وتبيان مجد المسيح من خلال الإعلان والمجاهرة بالمحبة للرسالة.

ربما هناك خدمة أخيرة بإمكاني اقتراحها. على الرغم من أننا الآن ننظر في مرآة معتمة بشكل واهٍ غير جليّ الأشياء التي سوف نشهدها ذات يوم بوضوح وجهاً لوجه لكن ورغم ذلك فقد رأينا ما يكفي لنعلم أنه علينا أن نغني وننشد. ليس هناك جزء من أجزاء البشارة يجب ألاّ يكون موضع غناء وإنشاد. إن كل جانب من جوانب سطح الماسة هي ومضة تضرم المشاعر في روح الشعراء المسيحيين الذين جندوا أقلامهم من أجل الكنيسة. ولكن ألق الماسة كلها يشع بتألق يبهر الأبصار بالتحديد ببريق يسوع المسيح المتألق بتجليات الله. لذا، وبغاية مساعدتك على إنشاد ما جاء في ذلك قمت هنا بجمع بعض الأناشيد التي قامت بالاحتفال بالمسيح على مدى القرون ككنز هائل وقائم على الدوام.

أربعة عشر قرناً من الغناء والترنم بالمسيح

تم تأليف هذه الكلمات في الأصل باللغة الإيرلندية القديمة، وتم نسبتها إلى شاعر إيرلندي من شعراء القرن الثامن عشر وهو دالان فورجيل. فإذا كانت كنيسة يسوع المسيح اليوم وفي جميع أنحاء العالم تصلي بهذه الصلاة بإخلاص وصدق، فيا لها من ثورة كوبرنيكية حول مركزية الله

قابلة للتصديق، وممكن حدوثها.

لتكن أنت حضرتك تصوري ومشهدي، يا سيد قلبي

كل ما سواك عدم عندي، ولتكن أنت منقذي

في ليلي ونهاري أنت أحلى تأملاتي

في يقظتي ومنامي في حضورك ضيائي

لتكن حضرتك أنت حكمتي، وأنت كلمتي الصادقة؛

أنا ما حييت معك وأنت معي، سيدي

أنت إلهي العظيم، وأنا بالنسبة لك العبد الحقيقي

فأنت تعيش فيّ، وأنا أعيش فيك لنكون كواحد

لتكن أنت درعي في المعركة، وسيفي للقتال

لتكن أنت شرفي ووقاري ولتكن أنت ابتهاجي وسروري

فأنت ملاذ روحي، وأنت حصني الشامخ

ارفعني إلى السماء نحو الأعالي، يا قوة في قوتي

أنا لا أكترث للأغنياء، وللمديح الفارغ للإنسان

فأنت إرثي الآن ودائماً

أنت.. وأنت فقط الأول في قلبي

مليكي مليك السماوات.. هنا أنا قد حققت انتصاري

هل لي ببلوغ فرح السماء.. أيا شمس السماء الساطعة

يهدي قلبي كيفما دارت الأحداث

ما زلت رؤاي، أيا الحاكم على الجميع

وبعد أربعمئة سنة، في القرن الثاني عشر، كتب المتصرف الفرنسي برنادرد كليرفو باللغة اللاتينية: "يسوع هو فكرك إلى حدٍّ بعيد" وهي واحدة من الأغنيات المقدسة التي تعمل على بناء مفردات الابتهاج في أذهاننا وفي نفس الوقت تعمل على إيقاظ مشاعر السعادة الروحية في قلوبنا من خلال التأمل في المسيح:

يسوع هو فكرك إلى حدٍّ بعيد

بلطفٍ يملأ الصدر

ولكن بوجه أحلى إلى حدٍّ أبعد من أن تراه؛

بحضرته أنت تسكن وترتاح

ليس هناك من صوت يصدح بالغناء، ولا قلب يشتعل بالمحبة

لا ولن توجد ذكريات

بأحلى صوت نترنم باسمه المبارك

أيا مخلص البشرية!

أيا أمل كل قلب نادم

يا فرح كل المستضعفين

إلى كل هؤلاء الآثمين الساقطين.. كم لطيف هو!

كم هو خيّر وفاضل

كم هو خيّر للضالين!

ولكن ماذا عن هؤلاء المستقيمين الصالحين؟ آه، وبالنسبة لهؤلاء

ليس من لسان ولا قلم يمكنهما التعبير وإظهار

.. كم هي.. محبة يسوع

لا أحد يمكن التعبير عنها سوى من عاشها

كن أنت يا يسوع بهجتنا وفرحنا فقط أنت

كما ستكون أنت مكافأتنا

كن يا يسوع لنا الآن البهجة والفرح

وإلى الأبد

يا يسوع يا منارة من يجأرون بصوتٍ عال عميق

فأنت مصدر ومنبع جذوة الحياة

وأنت البهجة التي فاقت كل البهجات

وأنت.. أنت منتهى ما يمكن أن نتمناه

إن القديسين الممتلئين بالمسيح في كل القرون قد عبروا وأعلنوا على الملأ البشارة القصيرة وهي أن منتهى السعادة الدنيوية لا يمكن أن تقارن بسعادة ولذة الإيمان في حضور المسيح. إن منتهى السعادة والسرور عند معرفة المسيح والقرب منه هو الموضوع الذي جاء في قصيدة برنار "يسوع.. أنت فرح القلوب المحبة".

يسوع.. أنت فرح القلوب المحبة

أنت نبع الحياة.. وأنت الضياء

وأنت أفضل النعم التي تمنحها الدنيا للبشر

ننقلب إليك أنت ثانية خاليي الوفاض

فحقيقتك تبقى راسخة مهما مرّ عليها من زمن

فأنت مخلص هؤلاء من يلوذون بحماك

لهؤلاء الضالين أنت أنت كل الخير

لهؤلاء المهتدين.. أنت كل ما يؤخذ بعين الاعتبار

نحن نتذوقك أنت.. آهٍ أنت خبز الحياة

وما زلنا وعلى طول المدى نولم من أجلك

نحن نشرب منك.. فأنت الينبوع

وكم أرواحنا عطشى للارتواء منك.

أرواحنا المضطربة تتوق إليك

وكيفما ألقت بنا أقدارنا المتعدلة المتقلبة،

تملؤنا البهجة عند رؤية ابتسامتك الرحيمة

ومقدسين كلما كان إيماننا أقدر وبسرعة على التمسك بك

آه يا يسوع ابق معنا إلى الأبد

لوّن لحظاتنا بالفرح والطمأنينة

اطرد ليل الخطيئة الحالك بعيداً

ظلَّلْ على العالم بظلال نورك القدسي.

ومن التراتيل المعروفة جداً وعلى نحو واسع واحدة باللغة الإنكليزية كانت قد كتبت في القرن السابع عشر من قبل شخص غير معروف في ألمانيا هو شونستر هرجيو. لقد تم نشرها لأول مرة في مدينة منستر جيسنبجنخ في العام 1677 وتمت ترجمتها إلى اللغة الإنكليزية من قبل جوزيف. أ. سيس في العام 1873 وهي تحت عنوان "السيد يسوع الأكثر إشراقاً/جمالاً. يتناول الشاعر في هذه الترنيمة، وبشكل مُسْتَغْرَق، الطبيعة بكل جمالها وتألقها ليؤكد عند كل منعطف بأن المسيح هو أكثر جمالاً. وقد تم حذف المقطع الرابع من القصيدة بشكل تقليدي في كتب التراتيل ولكن المقطع يعبر عن حقيقة وحيدة؛ لم يتم التعبير عنها في بقية المقاطع، وبالتحديد يعبر هذا المقطع على أن يسوع ليس فقط الأكثر إشراقاً وتألقاً وجمالاً مما يوجد في الطبيعة من حسن وجمال، ولكنه أيضاً، منتهى كل الجمال. وما نراه في الطبيعة نراه أكثر تألقاً وروعة في المسيح.

السيد يسوع.. الأكثر إشراقاً، ملك كل الطبيعة

آه.. أنت ابن الله.. وابن الإنسان

أنت يا من سوف أعزّ... وأنت يا من سوف أُجلّ.

أنت ألق روحي، فرحها.. أنت تاجها

متألقة هي البراري والمروج... وما زالت الغابات أكثر تألقاً

مكسوة بثوب الربيع النضر

و.. يسوع هو منها أكثر تألقاً.. يسوع أكثر منها نقاءً.

يسوع.. هو من جعل القلب الحزين المنكسر يغني

والشمس كم هي رائعة.. وما زال الأروع.. ضوء القمر

وكل مجموعات النجوم المتلألئة

إلا أن يسوع أكثر سطوعاً... ويسوع بإشراقه أكثر نقاءً

وبالمقارنة.. حق لملائكة السماء التباهي به..

كل الجمال الرائع... السماوي والأرضي

وبشكل يثير الدهشة.. كل ذلك هو في يسوع

ليس هناك من أحد من هو أقرب.. أكثر ألقاً... وغلاء

منك.. أنت.. المنقذ أنت لي.

المخلص الرائع! سيد البشر!

ابن الله.. وابن الإنسان!

ابتهاج وعزّة.. فخر وولهٌ

الآن وإلى الأبد.. فلتكن لي والكثير.. بالنسبة لي.

كتب الأستاذ والقسّ جورج ميشيل فيفركورن باللغة الألمانية أيضاً ترتيلة تم نشرها 1667، وقد ترجمت إلى الإنكليزية عام 1923 من قبل أوغسطين كرول تحت عنوان "ما العالم بالنسبة لي؟" وعلى الرغم من عدم شهرتها، إلا أنها تعبر عن الطرق العديدة التي يفوق بها المسيح في عطائه ما يمكن أن تعطيه هذه الدنيا.

ما هو العالم بالنسبة لي

بكل متعه التي يفخر بها

وأمامك أنت.. وفقط أنت وحدك..

السيد يسوع.. أنت كنزي!

أنت فقط أعز سيّد

أنت ستكون النور لروحي

أنت أمني وسلامي.. راحتي واطمئناني..

فما هو العالم بالنسبة لي؟

العالم كالغمام

وكأنه بخار يتدفق وينساب

وظلٌّ يغيب... يأفُل

منسحباً وبصورة سريعة نحو غيابه الأخير

يسوعي ينتظر ويترقب يصبر

على الرغم من أن كل الأشياء تخبو وتنساب وتتلاشى

ولكن لي صخرتي الراسخة على الدوام

ما العالم بالنسبة لي؟

يمضي العالم وراء الثراء والغنى

ووراء كل ما هو معروض من المال والمقتنيات الدنيوية

وبعد... فلن يكون هناك اكتفاء وامتناع

على افتراض أنه يجب أن تمتلئ بالذهب خزائنه

ولكن لدي مبتغى ومنفعة أسمى

وبه سأكون مكتفياً ومقتنعاً

فيسوع هو غناي وثروتي

فما العالم بالنسبة لي؟

العالم محزن بصورة مؤلمة

وحيثما صار قليل الأهمية صغيراً

أو كلما كان هناك شهرة فارغة خادعة

وكلما أفسد الشرف وأصيبت الأخلاق بآفة

فأنا... باقترابي منك أيها المسيح أستطيع تحمل ذلك

وعلى المدى طالما أن ذلك يرضيك

فأنا أفتخر بسيدي

فما العالم بالنسبة لي؟

العالم بغطرسته وبتعاليه المفرط

يحجر من متعه الآثمة

واليهم وبغباء سلَّم الكنوز الإلهية

دع الآخرين يحبون العالم

بكل تفاهته

وأما أنا.. أنا أحب سيدي.. مرشدي

فما العالم بالنسبة لي؟

غير محتمل هو ذاك العالم...

انظر... سوف يتلاشى مثل الجسد

بكل عظمته وأبهته الفارهة

وشحوب الموت لا يمكن الهروب منه

سوف يصل قادماً

ومعه متع العالم تنساب وتمضي

ولكن يسوع هو من يحتمل يصبر..

فما العالم بالنسبة لي؟

ما هذا العالم بالنسبة لي؟

يسوع هو كنزي

هو حياتي... عافيتي هو... وبه أغتني

صديقي هو.. محبتي.. وهو سعادتي

هو بهجتي... تاج عزّتي... وهو كل لي كل الوجود.

نعمتي.. بركتي إلى الأبد

وبعد.. ثانية أعلن

ما العالم بالنسبة لي؟

شارك جوهان فرانك الفرقة التي كانت متميزة في عصره في ألمانيا وأنشد أنشودة يسوع مصدر السعادة الطاهرة النقية "Jesu, Mein Freude" والتي تم نشرها في العام 1653، وتمت ترجمتها من الألمانية إلى الإنكليزية من قبل كاترين وينك وورت "Catherine Wink Wor" في العام 1863 تحت عنوان "يسوع كنز لا يقدر بثمن".

كنز لا يقدر بثمن.. هو يسوع.. وهو نبع السعادة الأكثر نقاءً

الصديق الأوفى هو لي، هو من تاقت إليه نفسي طويلاً

إلى أن أصبحت على وشك أن تخدر قواي...

آه يا جسدي النحيل... أيها الحمل النقي

سوف أعاني من الشريرين لأخفيك أنت، وأسأل عنك أنت في حضورهم تأخذني بين ذراعيك أنت وتحتضنني من هؤلاء الذين يضايقوني.

لن يستطيعوا الوصول إليّ في هذا الموضع. وعلى الرغم من أن الأرض ستهتز والقلوب تتسرع دقاتها.. لكن يسوع سيهدئ من روعنا والإثم والجحيم في صراع يسقطون.

وبعواطفهم الثقيلة يتطاولون علينا.. إلا أن يسوع لن يخذلنا من أجل ذلك.. فإن كل الأفكار الحزينة.. من أجل سيد السعادة سيدي يسوع كن مع هؤلاء.. الذين يحبون الله.

وحتى أن العواطف يمكن أن تجمع.. فما زالت تحمل في طياتها السلام.

أجل. مهما كان علينا تحمله في ذلك.

فما زال فيك أنت تكمن السعادة الأنقى أنت يسوع الكنز الذي لا يقدر بثمن.

ولد شارلز أ. تيندلي Charles A. Tindley في العام 1851. ولكونه ابن أحد العبيد؛ فقد قام بتعلم القراءة لوحده، وحصل على درجة في علم اللاهوت بالمراسلة. وفي العام 1902 أصبح راعي كنيسة كالفري ميثودست إيبسكوبل في فلادلفيا بنسلفانيا حيث عمل في هذه الكنيسة كبواب. وعند موت تيندي، كان هناك 12.500 عضواً.. وقد كانت ترنيمته "سوف أتغلب يوماً ما" الأساس لترنيمة الحقوق الدينية الأميركية" سوف ننتصر"[1]. أما ترنيمته "لا شيء يحول بين روحي وبين مخلّصي" فقد كتبت في العام 1905. وكما في الخط الأدبي المتميز للرسالة فهي تستحضر العواطف القوية للمتيم بالمسيح، والتي لا تسمح لأي متع منافسة أن تحول بين الروح وبين المخلّص.

لا شيء يحول بين روحي وبين مخلصي،

لا ولا حتى الأحلام المضللة للعالم.

أنا أعلن التخلي عن المتع الآثمة

ويسوع هو لي... لا شيء يحول بيننا.

لا شيء يحول بيننا... من مثل المتع الدنيوية

والتصرفات اليومية، على الرغم من أنها تبدو غير مؤذية

إلا أنه يجب أن لا تفصل قلبي عنه أبداً

---

(1)

لا شيء يحول بيننا، لا كبر أو مكانة

نفس.. صديق لن يحولا بيننا

لقد عزمت على ذلك.. لا شيء سوف يحول بيننا

ليس ما يحول بيننا، حتى ولو كانت المحاولات شاقة

وعلى الرغم من أن كل العالم يجتمع ضدّي

ساهراً أصلي ومجاهداً أكثر رغبات ذاتي

وفي النهاية سوف أنتصر ولن يكون هناك ما يحول بيننا.

وبشكل مفاجئ شهد القرن العشرون ازدياداً مفاجئاً وكبيراً في قصائد الصلوات المغناة التي تشدّ الانتباه إلى المسيح وإلى عمله في الخلاص. وأقول بشكل مفاجئ لأن القصيدة في هذه المقاطع الإنشادية مضت إلى أبعد ما مضت إليه العظة في تلك الأيام التي كانت حول محورية الله وإظهار المشاعر نحو المسيح المبجل"، مثل "أنا عرفتك" بقلم جراهام كيندرك. وهذه الترنيمة تحمل مضمون ما جاء في فليبي (3: 7 12).

إن الترنيمة تنسج قدر المسيح الكبير نفسه والحقيقة العظيمة للرسالة في عزو الصلاح والاستقامة إلى المسيح.

كل ما تمثلت به ذات يوم كشيء عزيز قيّم وبنيت حياتي عليه

وكل تناقضات هذا العالم، والصراعات

والعالم بكل تخلفه، والحروب في سبيل السيطرة

كل ما حسبته ربحاً ذات اليوم أعتبره اليوم خسارة

هو الآن مُولٌ لا قيمة له الآن

ذاك أني عرفتك.. يا يسوع... عرفتك

فليس هناك من شيء أعظم منك

فأنت كلّي... والأفضل أنت

أنت بهجتي أنت وفرحي.. استقامتي وصلاحي

وأيا سيدي أنت الذي أحب.

والآن... ما يهفو إليه قلبي هو أن أعرفك أكثر

كي أجد نفسي فيك، وأن أُعرف بك

فأمتلك بالإيمان ما لا أستطيع الحصول عليه

من كل نعم الصلاح التي تفوق الحدود.

آه لو تعلم ما تحمله بالنسبة لي عودتك إلى الحياة

ومعرفتي بمعاناتك

فأصبح مثلك في موتك... يا سيدي

فمعك أحيا.. ولن أموت أبداً

كان هناك مع أوائل القرن العشرين، على الأقل عند بعض المجموعات، تركيز متزايد على إنتاج أدبي يدور محوره حول المسيح والصليب. إن إحدى أروع العبارات المغنّاة حول الله باعتباره هو البشارة كانت تحاول أن تقول: "سوف أتمجد بالمخلص" وكانت هذه الترنيمة بقلم ستيف وفيكي كوك. فهي تسرد الأحداث التي مرّت في البشارة مع تأثيراتها: دم المسيحي فديتي الحمل هو صلاحي لقد قهر سلطتا الخطيئة والموت لقد كسب لي حياتي لقد حملني على أجنحة الصقور هو ينتظرني عند بوابة ذهبية، إن الأقسام الستة التي جاءت مكررة في السطر "سوف أتمجد بمخلصي" لا تدع هناك مجالاً للشك بأن محور أحداث البشارة كلها، وتأثيرات البشارة هو استثارتنا بالمسيح نفسه في كلا الحالين الآن وفي اليوم الآخر المسيح هو كل شيء. "ليس بي شوق إلى سواه/أنا راضٍ/مقتنع به فقط"، لذا وحين تحين لحظة الموت "وعندما يدعوني سوف يكون هناك فردوس، وإليه يرنو النظر دائماً".

لِمَ لا بد أن يكون هناك جنة لتنظر وجه المسيح دائماً؟ لأن تلك هي البشارة رؤية المخلص "لأن الله الذي قال أن يشرق نورٌ في ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح" (كورنثوس (2)، 4: 6).

سوف أتمجد في مخلّصي الذي افتداني بدمه

وما راعه إلى ذلك خطيئتي التي ساقته إلى المسامير المريرة

وتم تعليقه على شجرة الحساب

سوف أتمجد بمخلّصي

الذي قهر سلطتي الخطيئة والموت

مخلصي الوحيد قبل الحساب المقدس

الحمل الذي هو صلاحي..

الحمل الذي هو صلاحي..

سوف أتمجد بمخلصي

الذي كسب لي حياتي، التي هي رهن له

ليس بي توق إلى أحدٍ سواه

أنا راضٍ به.. هو.. وحده

سوف أتمجد بمخلصي

إخلاصه.. هو الأرض التي أقف عليها

وعلى الرغم من جبروت خصومي واندفاعهم لمواجهتي

ثابت أنا على موقفي... وعطفه يحتويني

ثابت أنا على موقفي... وعطفه يحتويني

سوف أتمجد بمخلّصي

الذي يحملني على جناحي صقر

متوّجاً حياتي بلطف المحبّ

نشيد انتصار هو ما سأترنم به إلى الأبد

سوف أتمجد بمخلصي

الذي ينتظرني عند بوابة من ذهب

وعندما يدعوني سيكون هناك فردوس

ووجهه هو ما أرنو إليه وإلى الأبد..

ووجهه هو ما أرنو إليه وإلى الأبد..

إلى من أنشد آمين.

التوسل إلى الله

التوسل إلى الله هو مهمة موجودة لنشر المشاعر تجاه سلطة الله المطلقة على كل الوجود من

أجل سعادة البشرية وذلك من خلال يسوع المسيح. نحن نريد نشر الحقيقة بأن الله هو أكثر إشراقاً إذا ما كنا نحن أكثر رضاً وقناعة به. لم يتلق جون بيبر أي امتياز وحق ملكي مقابل كتبه التي ألفها لقد تم إرجاع عوائدها إلى مداخيل صندوق التوسل إلى الله. لقد تم تصميم ذلك لبثّ هذه المشاعر لدى الآخرين.

آخذين ذلك بعين الاعتبار.. ندعوكم لزيارة موقع Desiring God Website at desiring God.org.

سوف تجد خمسة وعشرين عاماً من العظات الدينية لجون بيبر دون مقابل موجودة ضمن مخطوطات، والمئات منها ضمن بيانات سمعية محملة. بالإضافة إلى مقالات مجانية ومعلومات حول مؤتمراتنا المزمع عقدها. ثم خدمة على الإنترنت تسمح لك بشراء ألبومات سمعية ومناهج تعليمية للأطفال حول مركزية الله. كتب ومراجع للكاتب نويل بيبر، وما يفوق ثلاثين كتاباً أيضاً للكاتب نويل بوبر. بإمكانك أيضاً أن تجد معلومات حول مهمات رسالتنا عبر إذاعة هيئة التوسل إلى الله.